أنس السيد

نيائهس

"زمن الإنسان كقلبه، إن حاول إخضاعه فشل"

٨

نيانوس

رواية

أنس السيد

مقدمة

قد تكون الذكريات ملاذًا طيبًا تعوذ به من ضيق أيامك وأساها، وقد تكون سامة مؤلمة.. مؤلمةً حد كُرهك للماضي والحاضر والمستقبل، تحاول المجازفة بالتأقلم فتفشل.. تُعاود بالنسيان.. فتفشل، هكذا كان حال هذا الرجل حتى تغير كل شيء..

فلنعُد بآلة الزمن إلى هذا اليوم الذي بدىٰ عاديًّا مع شروق شمسه، اليوم الذي لعنه أحفاد آدم وحواء فيم بعد.. اليوم الذي تسببت أحداثه في تمزُّق المسارات الزمنية تباعًا بتمزق القمر إربًا إربًا..! اليوم الذي أتىٰ بفجوة زمنية.. وما أتىٰ من ورائها إربة من إرب الجحيم.. أرض اللارحمة.. بنفسجٌ ودىٰ بالأرض إلى ملحمة الطين والنيانيين.. إنها «مملكة نيانوس» إرث هاوية الزمن.

إهداء

أود التعبير عن الكثير بالكلمات، ولكني سأكتفي بذلك الإهداء إلى شخصي المُفضل حتى وإن غاب اليوم أو للأبد..

إلى: حبة الرمان

(1) الصرخة الأولىٰ

مارس 2044 | صحراء آنتي الغربية

على يابسة قارة آنتي الجليدية -والتي تُمثل جزيرة عملاقة انحلَّت مؤخرًا من القارة القطبية الجنوبية- بمنزل يصدر الدخان من مدخنته وعلى أريكةٍ مُتسخة ترسي أمام نافذة زجاجية كبيرة يجلس العالم الرياضيّ المتقاعد «رشيد الأحمر»، بيده كوب من القهوة المعتادة خاصته، وأعلىٰ معصمه أسوارة قد تم اختراعها حديثًا.. تعمل على تنظيم حرارة الكائن الحي لتمنحهُ البرودة أو الدفء، ارتشف قليلًا من الكوب ثم وقف لينظر من النافذة، وعندما يقف نرىٰ كُم سترته الأيمن فارغًا لبتر إحدىٰ ذراعيه بالآونة الأخيرة، وقف يستعيد بعضًا من ذكراه الحميمة مع زوجته، مع بعض من الدمع المدفون؛ لشوقه إلى ونيسة دربه التي ماتت منذ بضعة أشهر، كان حادثًا أليمًا فقط.

وبدأ بالتحاور ومع زوجته -داخل عقله- قائلًا:

ما كنت لأتخيلني وحيدًا هكذا يومًا، أيضًا حضرت تلك القهوة مئات المرات فلم أجد مذاقها كما كان معكِ يا أبرار، حاولت لمرات أن أترك كل شيء ورائي وأبدأ من جديد، لكن البشرية لم تعد كما السابق، كيف سأُساعدهم؟ صدقًا هم لا يعيشون إلا لأنفسهم، وكذلك سأفعل بدوري..

تركت العمل.. وتركت المختبر.. تركت منزلنا الذي أمَّ بسببي، لكنني لن أتركك..

صمت ليرتشف القليل.. ثم أسرَّ بصوتـه العليل: سترين ما سيفعله زوجك.

أنهى قهوته التي لم يعجبه مذاقها، ثم وردته مكالمة هاتفية من سلفه «عثمـان» وهو الأخ الوحيد لزوجته، كان طبيبًا بالعيون يعمل مع الأحمر لعدة أعوام بمختبره الخاص لهوسهِ بالعلوم الكهروفيزيائية.. وذلك قبل وقوع الحادث المذكور، التفت الأحمـر يمينًا لشيء ضخم يأخذ حيزًا كبيرًا، مُغطٍّ بستائر من القماش، سار الأحمر مبتعدًا عنها ليخرج من الغرفة، مد ذراعه لذراعٍ خشبيةٍ مُخبأة بالحائط فيسحبها ليصبح باب الغرفة موصدًا وتبين أنها غرفته السرية، وردّ على هاتفه حينذاك..

الأحمر: قُل.. عثمان.

عثمان: ماذا أقول؟ هل تركت شيئًا لأقوله؟ لقد أحرقت الجميع بفعلتك، أتُهاجـر بعيدًا لتلك الصحراء الثلجية وتتركنا وحدنا؟ لم يبقَ الكثير أيها الأحمق، سنموت بمجرد أن يعثروا على أحدنا

الأحمر: نتحدث عبر قمرنا الصناعي الخاص عثمان، لم يجدوا منا أثرًا بعد مرور هذه الأشهر.. أسيأتون الآن برأيك؟

عثمـان: لا أعلم، تتوارىٰ بالجنوب، وأتوارىٰ أنا بالشمال، لم أتحدث لمخلوق خارج حوائطي الأربع غيرك منذ أن أفلتنا منهم

لم يجد ردًّا من سلفه رشيد، فأكمل: ماذا تفعل الآن؟ ألازلت تعمل على هذه الآلة اللعينة؟

الأحمر: أنهيت العمل بها أصلًا يا عثمان، أنت تعرف.

عثمان: نعم نعم صحيح.. أنهيتها وأنهيت زوجتك كذلك..

فأردف بالصوت العالي: أيُّ مغفل يخبئ آلة للسفر عبر الزمن داخل غرفة بلا قفل حتى؟!! أحرقت كل شيءٍ رشيد، ذهبت زوجتك، خسرت مكانتك، فقدت إحدىٰ ذراعيك، كل هذا لم يكن حادثًا قط، بل هو غباؤك، لا تفعل مجددًا أيها الأحمق، وأعلم أنك ستنهيها من أجل إنقاذ زوجتك كما تظن.. لكني لا أريد أن يتأذىٰ أطفالي وزوجتي، سأنتظر أن تُنهي عملك كي يعود كل شيء كما كان، إن لم تفعل فقد انتهىٰ أمرنا، سيصوبون على رؤوسنا يا رشيد..

أخرج زفيرًا ثم أتبع قولًا: أنت اعتني بزوجتك وأطفالك، وأنا أُنهي عملي، مع السلامة

وعندما أغلق رشيد دار حوار مليء بالصخب بين عثمان وزوجته «نرجس».. وبدت غاضبة بعد أن استمعت للمكالمة السابقة..

نرجس: أخذكم الله يا عثمان، ألن تنتهوا أبدًا من اختراعاتكم الغريبة تلك؟ رجال الدولة والعصابات وأثرىٰ أثرياء الأرض يبحثون عنه وعنا كذلك، لماذا لم توشِ بمكانه؟ ألم يقتل هذا الرجل زوجتك؟ ألم يحرقها وجعلها أشلاءً من اللحم المُبعثر؟

عثمان: لا تهذي يا امرأة، تعلمين أنه كان حادثًا، اخترع الرجل شيئًا لا مثيل له، كأنه آتٍ من جنهم.. لكن الخطأ على شقيقتي؛ أيُّ امرأةٍ تدخل غرفة سرية بمختبر عالمٍ كهذا دون إذنه وتعبث به؟ حتمًا غضبي على رشيد لأنه لم ينتبه لدخولها إلى تلك الغرفة، ولكن أنتم النساء.. لديكم عقل كبير جدًا، لكنه لا يعمل إلا عندما تغارون على أزواجكم لتفكروا كيف ومتى ستوقعون بهم وتقتلوهم وهم نيام، اللهم الصبر.

وآنذلك غادر عثمان إلى فراشه وهو غاضب من زوجته، هو يعنف الأحمر دائمًا على ما فعله، لكنه بمثابة أخٍ له، فلا يسمح أن يسبَّهُ أو ينهرهُ أحدٌ غيره

بدأت عينا عثمان في الخلود إلى النوم بعدما ذهبت زوجته للاطمئنان على أطفالها بسريرهم، ثم نام الزوج وزوجته على سرير واحد، ونرى في مشهدٍ موازٍ، يجلس في غرفته كما هو.. ينام لدقائق قليلة في يومه، يسعدُ بالذكريات مع زوجته، يحضر القهوة ثم ينظر إلى ذاك الشيء الكبير المغطى بالستائر، هنا يسير كل شيء بانتظام ولكن .. في الصباح التالي..

مارس 2044 | أمريكا الشمالية

يستيقظ عثمان بعدما حظىٰ بقسطٍ كافٍ من النوم، يفتح عينيه ببطء وينظر إلى جواره.. فلا يرى زوجته نرجس!

قام ينظر إلى غرفة الأطفال ظنًّا بنومها معهم هذه الليلة، فلا يجد أولاده أيضًا! أصابه الذعر والهلع عندما لم يجد أحدًا في المنزل غيره؛ فقد اعتادوا أن يمكثوا في هذا المنزل، لا يخرجون أو يخطون بابه خوفًا أن يجدهم أو يراهم أحد المارة بالجوار، ركض الطبيب عثمان يهرول نحو باب المنزل، يفتح الباب كي يذهب للبحث عنهم، وعندما فُتح.. وجد وراء الباب شخصًا شابًّا يقف مستندًا إلى الحائط.. يرتدي معطفًا طويلًا.. أشقر الشعر وأعور العين اليمنى.. وكذلك شاحب البشرة، نظر له نظرة اضطرابٍ يتبعها استحقار، ثم ابتسم ذاك الرجل الأعور واضعًا يده في جيبه.. ليخرج سلاحًا صوبه صوبَ رأس عثمان!

الرجل الأعور: يا للهول ويا للذهول!.. عثمان؟!.. زدت وزنًا عن آخر مرةٍ ذهبت بها للحاق بكم

ردَّ قائلًا بلسان الازدراء: أجل أنت تعرف، الجلوس مع زوجتي.. أطفالي.. الأكل والنوم.. هذا أفقدني لياقتي، لكن أنت أيضًا تبدو أجمل بعينٍ واحدة، سلِمَت يداي.. أطلقت بعينك لتصبح قرصانًا حقيرًا كما يجب أن تكون

فردَّ الأعور ضاحكًا: أنت محق، لكن.. الآن بإمكانك استعادة لياقتك، فلم تعُد عائلتك على قيد الحياة، قتلهم رجالي قبل دقائق

رفع يده الأخرى مُشيرًا بإصبع الإبهام: بقيَ فقط الفتاة الصغيرة تبكي في حقيبة سيارتي

نظر إليه عثمان وتعتليه ملامح الإنكار، تكاد عيناه أن تدمع أمامه، أقدم على ضربه فلم يستطع؛ فما زال المسدس مصوبًا على رأسه.

عثمان: سأقتلك، سأُنهي كل سلالتك إن كان هذا صحيحًا

ردَّ الأعور بإخضاع: حسنًا لا تستعجل.. فنحن سندفنكم سويًا أيضًا.. كعائلة مترابطة جميلة، مؤكد لن يشتاقوا إليك بعد، فدمائهم مازالت دافئةً في سيارتي..

وأردف بصوتٍ مخيف: الآن أيها السمين.. أين الأحمر؟

عثمان: انظر إلى أيها المسيخ، تقتلني وتقتل سلالتي كلها ولا أخبرك بمكانه هل سمعت؟

ردَّ الأعور مبتسمًا: سنرى أيهـا السمين..

ثم ضربه الأعور بسلاحة بقوة على رأسه ضربة أفقدته الوعي، ومن ثم نادىٰ رجاله؛ كي يحملوا عثمان إلى حقيبة سيارته بجانب الجثث، وركب الأعور بجانب الفتاة التي تبكي، ثم غادر مع رجاله في سياراتهم إلى مستودعٍ قديمٍ مظلم، وفور وصولهم كان عثمان مكبلًا فوضعوه على كرسيٍّ للتعذيب بالكهرباء..

لثلاثة ليالٍ متتالية تم تعذيب عثمان بأقسىٰ الوسائل ولم يوشِ لهم مكان الأحمر بعد، هكذا كان يريد الأعور ورجاله، هم يستدرجونه أولًا بالألم الشديد والتعذيب، ثم يهددون بابنته ليرضخ لهم معترفًا على صديقه..

وقف الأعور أمام الطبيب عثمان.. والذي يجلس مكبلًا على كرسيّ التعذيب، تسيل دماؤه من فمه وإرب جسده، وتبختر الأعور قائلًا: أمهلتك ثلاثة أيامٍ يا عديم اللياقة، والآن لم يعد وقتي كافيًا للألاعيب، فكوا وثاق يده!

فكهُ رجال الأعور حينئذٍ وحملوه إلى الغرفة التي تجلس فيها ابنته، بينما يرفع رجل من رجال الأعور سلاحًا برأسها أثناء نومها، لينظر عثمان نظرة مليئة بالذعر على ابنته، وبدأ بالبكاء والنواح الشديدين.. ويقول بتعتعة: أر.. أرجووك، اتركها هي لتعيش، اقتلني أنا ليس للصغيرة ذنب في هذا، أرج.. -يسعل ولا يقوى على التفوه بكلمه- أرجووك اتركها

الأعور: سأتركها لتعيش، وهذا وعد مني لك.. وللأحمر أيضًا.. فقط أخبرني بمكانه، وستعيش ابنتك، وإلا سأقتلها أولًا أمام عينيك، ثم نجعلك تخضع للتعذيب من جديد وتتفوه بكل ما تعرفه عن صديقك.

سكت عثمان لثوانٍ قليلة ثم أجاب عرض الأعور، قال أنه سيخبره بكل ما يعرف؛ حتى تعيش ابنته -الوحيدة المتبقية على قيد الحياة من عائلته- لتكبر وتنعم بحياةٍ عكس حياتهم كلهم، فهي حياة مليئة والاضطراب والجزع، والمشقة أيضًا.

أخذ رجال الأعور عثمان ليهدأ قليلًا مع ابنته بعدما استيقظت، وكانت خائفةً جدًا على أبيها.. تبكي ولا تتكلم، إلى أن قال لها: حبيبتي! سيكون كل شيء على ما يرام

أخذها بين ذراعيه فهدأت واستكان قلبها وناما سويًّا، وعندما استيقظ الطبيب أخذه رجال الأعور؛ ليتم استجوابه بكل معلومة يعرفها، دام هذا لليلةٍ أخرى؛ ليتأكد أفراد العصابة أنهم ليسوا بحاجة عثمان مرة أخرى، وبعد انتهاء الأمر، أخذ الرجل الأعور عثمان كي يودع ابنته ويزيل الشوق معها.. وآنما غادرت الابنة ذراع أبيها باءت بالبكاء.. تُفتتُ قلبها لحشرات المستودع بينما يأخذها الرجال بعيدًا، سيرسلونها إلى دار أيتام في مكان ما.. حتى تعيش ولا تُقتل كما طلب عثمان، ثم وقف عثمان أمام الرجل الأعور يتألم كل عضو من جسده، وقال له: الآن أخبرتك بكل شيء، دع ابنتي تعيش

فردَّ الأعور: ستعيش ستعيش، لكن أنت، آآخ يا عثمان.. هوَّن الرب على ابنتك فقدان أبيها ايضًا.

ابتسم الحقير بينما كان عثمان واقفًا بين لحظاته الأخيرة، أخرج الأعور سكينًا من خصر أحد رجاله، وذبح عثمان من مقدمة رقبته كالذبيحة! صُفت دماؤه أمام الجميع، هكذا مات عثمان، وماتت امرأته وولديه، لكن ستعيش ابنته كما طلب منه، نظر الأعور إلى رجاله ليتحدث قائلًا: تعرفون تعليمات الرئيس جيدًا، نريد الأحمر حيًّا مهما كلفنا الأمر، ونريد آلته بالطبع، يجب أن نسرع، صحراء آنتي بعيدة كل البعد عن هنا، من يدري ماذا قد يفعل هذا الأبله بينما نحن ذاهبون إليه.

بدأ رجال الأعور يتأهبون للمغادرة إلى آنتي الغربية بينما أجرىٰ مكالمة هاتفية مع رئيسه فأخبره بكل المعلومات التي عقِلها حديثًا، ثم أمره رئيسه بالإسراع في ذهابه إلى الأحمر، وقال له بصوته الذي يخلو من روح العزة: نهاية هذا العالم قد اقتربت، سوف تكون النهاية بداية لعصر آخر، عصر مليء بالتطور والحداثة.. لن نواجه مشكلةً لا حل لها، ولا حتى الموت.

، ـــ لم يخطر ببال الرئيس وأتباعه أنه لا يمكن العبث بالزمن بلا عواقب وخيمة، لم يكن يعلم أن كل من يسكن الأرض سيدفع الثمن إن تم التلاعب بالمسار الزمني، أنهىٰ الرئيس مكالمته عندما انتهىٰ من وصفه للعصر القادم وفقًا لظنه، وحينئذٍ هبَّ الأعور رفقة رجاله إلى صحراء آنتي، حيث يمكث الأحمر حِيال آلته وقهوته، وأحيانًا.. داخل ذكرياته.

بالمشهد التالي، نرىٰ ذاك الرئيس في قصره العارم الأثيث.. حيث تحمل غرفته نساءً جميلات يرتدون ثيابًا لا تستر من أجسادهم شيئا.. وفي كل ركنٍ من أركان غرفته توجد حقيبة سوداء تكاد أن تنفجر من هول الأموال داخلها، نراهُ يبسط أكمام بدلته السوداء بكفيه بينما يتبسم لضحكات العاهرات بغرفته، وآنما أنهىٰ ذلك غادر غرفته ومنها إلى السلم الذي ينتهي بالطابق السفلي من القصر، حيث توجد صالة تمتد لآلاف الأمتار وربما لعشرات الآلاف، وهناك نشاهد الكثير من الرجال والنساء، اليافع منهم والهرم.. هؤلاء الأثرياء هم حُكام الأرض، هم أثرى أثرياء هذا العالم، هم صناع القرارات التي يتخذها حُكام البلاد والدول.. فما من حرب تنتهي أو تبدأ إلا بأمرهم المباشر، وفي هذا التجمع الشامخ وقف ذاك الرئيس أمام الجميع فنراهم هبُّوا للوقوف أمامه كما التماثيل، لا حراك ولا تفوه بكلمة أو حرف واحد حتى يؤذن لهم بذلك.

أمسك الرئيس كأسًا ذهبية تحوي الكثير من النبيذ، ثم قال متفاخرًا: اجلسوا.. كل شيء على ما يرام، وما أن نحصل على تلك الآلة العجيبة سنصبح أكثر من آلهةٍ

للبشر، سنكون نحن فقط من يملك القوة والنفوذ، سنتكم بكل شيءٍ في هذا العالم، حتى الزمان والمكان، سيكونان تحت إرادة حُكمنا..

صمت بينما يرفع كأسه الذهبية للأعلىٰ فصاح بصوتٍ ضاحك: هيا الآاان! بصحتكم.

وقتذاك ذاع الضحك في انحاء البلاط الملكيّ، هبَّ الرجال يلهون مع العاهرات الجميلات تعتليهم ضحكاتهم المتتوقة للرذيلة فملأت الطمأنينة قلوبهم وكفت عقولهم عن التفكير بالأمر، لم يعلموا أنهم على عتبات النهاية، لم يكترثوا للعواقب، هم فقط يريدون السلطة التامة على كل شيء.

*****

ها نحن إذًا.. صحراء آنتي الغربية، حيث الجليد الجذاب يغطي اليابس والماء.. وتتحرك الأشجار بقوة لشدة الرياح حينئذ، ونرىٰ الأعور مع جيشٍ من الرجال المدربين بدقة، لا يهابون الموت.. ولم يذق أحدهم طعم الفشل من قبل.. حتمًا لا وجود للفشل في مهمتهم، وهي جلب الأحمر حيًّا والاستيلاء على الآلة التي معه، بدؤوا بالتسلل بهدوء وسلالة، يحاصرون المنزل الخشبي من كل جهاته.. تبع حصارهم اختباء يترصدون به ظهور الأحمر خارج المنزل، حتى يكون مصيره محتومًا ولا يقرب آلته..

وبعد بضع ساعات من المراقبة المتواصلة لم يظهر الأحمر، لا يوجد أي شيء بالخارج سوىٰ مساحات ثلجية، نظر الأعور بتمعن -بمنظاره- عبر نوافذ المنزل، ولا يرى شيئًا سوىٰ الفراغ، وعندما ظنوا أنه نائم بالداخل أعطى الأعور أمرًا بمداهمة المنزل، وذكَّرهم بهمس ألا يستعملوا أسلحتهم، بل هي فقط لتهديد رشيد؛ حت يستسلم دون أن يتأذى أحد..

بدأ الرجال بالاقتراب من المنزل، خطوة بخطوة يحاصرون المنزل من كل الأطراف,بدأوا باستعداداتٍ أخيرة للمداهمة ثم اقترب الرجل الأعور من باب المنزل وكسر الباب بكل دقة وسلاسة، وأسرع إلى الداخل مع بعض من رجاله، عند دخولهم لم يجدوا به أحد! بحثوا مرارًا وتكرارًا ولكن لا أثر.. وبعد بضعة دقائق من البحث، وجد أحد الرجال قطرات دماء تتسرب من تحت أحد جدران الغرفة، فهب مسرعًا للأعور لإخباره، وعندها أمر رجاله أن يتفقدوا ما إن كان هناك غرفة مستترة خلف الجدار قاموا بتفقد الحائط إلى أن وجد أحدهم ذراعًا خشبية فقام بسحبها فانفصل الحائط الخشبي عن بعضه، وظهر باب خشبي وبعض الدماء تغطي جزءه السفليّ، وفي تلك اللحظة هبوت لفتحه بسرعة ورأو ما رأوه!! الآلة الزمنيَّةَ التي يبحثون عنها منذ أشهر، ولكنها مدمرة بالكامل!

حوائط هذه الغرفة.. ملخطة بالدماء! ولا أحد يعلم ما الذي حدث، قال الأعور حينئذ: يالل..!! أهذه دماء رشيد؟ كيف تناثرت بهذه الطريقة؟ كأن وحشًا ضاريًا كان هنا! ما هذا لا أفهم شيئًا!

وبعد ثوانٍ أخرى ناداه أحد رجاله بالخارج وصاح خائرًا بلسانه المرتعب:

- أيها الزعيم أيها الزعيم.. تعالَ بسرعة!!!

وأردف آخر قائلًا بالذعر: يا زعيم.. عليك أن ترىٰ هذا

سارع الأعور ومن معه إلى خارج المنزل.. وفورَ خروجه نظر إلى السماء ليرىٰ يومًا بدىٰ كأنه نهاية العالم -وهو كذلك-، نظروا إلى السماء أجمعين.. وإذ

أن الظلام ينتشر في جميع أنحائها، هناك شيء مهول يحجب ضوء الشمس، يبدوا كأنه.. القمر! القمر!!! إنه يقترب! أو ربما يزداد حجمًا!!! لا يعرف أحدهم شيئًا حيال هذا فظل الحال هكذا لبعض الوقت، حتى أصبحت الأرض مظلمة تمامًا.. لا شمسَ في لكوكبنا، بل ظلامٌ دامس، وفجأة بلمح البصر!!.. تحول لون القمر للون البرتقالي الذي امتزج بالأرجواني الداكن!!,! ظن كافة سكان الأرض أن تغير لونه يوحي بالخير، لكنها كانت الكارثة الكبرىٰ وأولىٰ نكبات الزمان، يتوهج القمر بشدة، يلتهب كما لو كان يبتغي انفجاره، وكان كذلك بالفعل..

في هذا اليوم.. ينظر جميع من عليها إلى السماء الممزوجة بالبرتقالية المخيفة.. ينظرون إلى نهاية العالم، كل شيء سينتهي، سيتحول الجميع لأرواح تطوف فوق أجسادها،

مات الأمل..

ماتت الحياة..

يودعون بعضهم بعضًا..

ويتأمل أكثرهم ذاك المشهد الأخير..

ظنًّا أنه آخر فصل من القصة، لكنها مجرد البداية فقط.

وفي لحظة مليئة بالصراخ والنواح.. البكاء والخوف.. الخشية والهلع الشديدين.. تمزق القمر..!!!

(2) فجر نيانوس

— عزيزي القارئ.. أخرج زفيرًا عميقًا وافتح عينيك بشكل جيد؛ فالآن تحل نهاية العالم، وتحل بدايته أيضًا، كعالم آخر أقل ما قيل عنه أنه «فوضىٰ عارمة»، وقبل سرد بداية الملحمة، وكيف انشق القمر لمئات الأجزاء، وما هي مملكة نيانوس القديمة، دعنا نعد إلى الوراء.. إلى ذلك اليوم، يوم الحادث الفظيع الذي كسر قلب عالمنا رشيد، يوم وفاة زوجته..

— قبل عدة أشهر...

أغسطس 2043 | بابل بالعراق

في يومٍ شديد الحرارة.. نشاهد أبرار تقود سيارتها البيضاء ذاهبةً للتسوق وقت الظهيرة، وعند وصول سيارتها للمول التجاري قادت إلى ركن السيارات لتتركها هناك ثم تغادر السيارة إلى المول بثيابها الأنيقة وحقيبتها اللطيفة يُرسم عليها أرنب ورديٌّ، وبعد دلوفها قضت ساعةً أو أكثر بالداخل، تتسوق الكثير.. كالملابس وغيرها، وبينما تتجول زوجة الأحمر الجميلة داخل المول ترىٰ حشدًا كبيرًا من العانى بممر الأجهزة المُصغرة الحديثة -الأجهزة المصغرة كانت طفرة صناعة الأجهزة الكهربايية حينها- فهبَّت إلى ذاك الحشد لتتفقد الأمر، وعندما سألت أحد العمال عن سبب التجمهر أجابها بأسلوب مهذب:

- إنه اختراع هذا العام سيدتي.. أسوارة معدنية بسيطة عملها تنظيم درجة حرارة جسم الانسان بضخّ البرودة أو امتصاصها، وهذا أفضل للجميع بالطبع؛ نتفادى موجات الحر المستمرة كما تعلمين.

فتحدث أبرار تجوبها الإيجابية: هاه أخيرًا! وجت حلًّا لألّا أعبأ بأمر الطقس..

صمتت لتبتسم وأردفت: بهذا سأذهب أينما أشاء وقتما أشاء، لن أكترث لسماء بابل بعد الآن

وأكملت إلى العامل: من فضلك أحضر لي أسوارة من هؤلاء.. وضعها في قائمة مشترياتي

العامل: بأي الألوان سيدتي؟

أبرار: أظن الفضيّ سيكون مناسبًا

وآنذلك سارت أبرار إلى باب المول الزجاجيّ فتوقفت لتلتفت يسارها.. ثم أخرجت بطاقة زجاجية زرقاء من حقيبتها ووضعتها أمام مستشعر ذكي إلكترونيّ، وفي لحظات أنارت بطاقتها للإشارة بقبول عملية الدفع.. وبعد انتهائها حملت حقائب قماشية تحوي مشترياتها، وسارت إلى الخارج ترتدي هذه الأسوارة، بدت سعيدةً في هذا اليوم؛ فلن تحمل همًّا للطقس المرير بكافة مدن العراق.. وكافة المدن بالشرق الأوسط.. جميعها مصابة بالحر الشديد

وبينما تفكر أبرار ذاهبةً إلى مركن سيارتها لتعود إلى منزلها لطهيِ الغداء قبل أن يعود زوجها كالمعتاد.. نظرت إلى ركن السيارات باحثة عن السيارة البيضاء.. فلم تجدها! ظنت أنها في ركن آخر هنا أو هناك ولكن لا أثر لها، وحينئذٍ توقفت عن البحث للحظات.. ثم أغمضت عينيها تضم شفتيها لتكظم الغيظ.. وضربت جبينها بكف يدها.. تعنف نفسها قائلة:

- غبية يا أبرار.. غبية

- خِلت من قبل أنني أصبحت أذكىٰ من رشيد.. والآن أظن أنه عليّ استبدال عقلي بشيءٍ آخر ينفعني، ربما أضح حبة بطاطس.. نعم، أحب البطاطس

وبعد تعنيف نفسها بصوتٍ عالٍ. أيقنت بسرقة السيارة فسارعت إلى أفراد الأمن بالمول للإبلاغ عن سرقة السيارة، وصاحت بأفراد الأمن المساكين أنها لن تهدأ حتى تعود سيارتها؛ فهذه السيارة هي هدية عيد ميلادها السابق من زوجها العزيز، وما أن تم ابلاغ المدير عن ذلك أتىٰ بنفسه فاصطحب أبرار إلى غرفة كاميرات المراقبة الرئيسية، تم فتح التسجيلات الجديدة.. نظر كلاهما كما فعل من يجلس على الحاسوب الذي يعرض الڤيديو فوجدوا فتاةً نحيفة الجسد لا تظهر لها عين ولا وجه، ترتدي نظاراتٍ سوداء ووشاحًا غطىٰ جُل وجهها تقريبًا، ازدادت أبرار غضبًا وقتذاك.. فهددت كافة المسؤولين عن المول وقالت بصوتٍ غاضب:

- لن أسمح للسارقة بالافلات من يداي، ابحثوا في كل مكان عن سيارتي البراقة.. إنها تعني الكثير لي، أهذا طلبٌ صعب؟

فحينها رد المدير الشاب:

- لا داعي للقلق سيدتي، حتمًا ستعود سيارتك.. سأبلغ الشرطة لمراجعة كافة الكاميرات بالطريق العام.. وسنجدها بكل تأكيد

وحينئذٍ هزت رأسها راضية ثم غادرت الغرفة نزولًا إلى السلم لتكون أخيرًا خارج المول بأكمله.. وأخذت تفكر بالذهاب لمختبر زوجها أولًا لتخبره بالأمر، وربما تقضي اليوم معه بالمختبر ولا بأس بطلب البيتزا اللذيذة للغداء، هكذا كانت تحدث أبرار نفسها.. استقلت الجميلة سيارة للأجرة لتذهب إلى زوجها.. كما أن مختبره ليس بعيدًا عن المول التجاري.

بعد مرور القليل.. تصل إلى مختبر زوجها والذي يبدو من الخارج منزلًا كأيّ منزل عادي، ولكن بالداخل توجد الكثير من الأشياء الرائعة والغريبة، توجد أشياء لامعة وبراقة وأيضًا.. يوجد الشيء الذي لعنه نسل آدم وحواء فيما بعد..

وقفت الجميلة أمام بوابة المنزل العادية لتفتحها بمفتاحها.. ومنها إلى باب المنزل حيث لوحة زجاجية تلتصق بالباب.. وضعت بصمات كلتا يديها على اللوحة ليُفتح باب المختبر بسلاسة، دلفت منه بكل هدوء وميسرة تشتهي مفاجأته بمجيئها.. وآن دخولها للمختبر ترىٰ ونرىٰ معها العديد والعديد من الأشياء البراقة والمنظمة..والغريبة كذلك، وبعد ثوانٍ معدودة من السير البطيء رأت زوجها يُمسك بعض الأشياء المضيئة أمام لوحة ذكية كبيرة يُعرض عليها بناء هندسي غريب.. إنه أشبه بصندوق من معدن مجهول ضخم هيئته مستطيلة يقف على وجهٍ مربع الهيئة مع وجود بعض الأنابيب الملتفة حوله.. لم تكترث أبرار لكل هذا فقط تريد أن تفاجئ حبيبها.. كان يجلس وحده حينئذٍ فأيقت أن شقيقها الطبيب لم يأتِ اليوم، سارت على مهلٍ واقتربت منه آتيةً من خلفه كي تضع أصابعها تغمي عينيه.. فابتسم الأحمر مزيلًا يديها فأدار وجهه حيالها سريعًا ثم أمسك بها وشدها لتُرمىٰ كالدُّمية إلى صدره.. مرر أصابعه على خصل شعرها التي غطت إحدىٰ عينيها لتبتسم له فقبَّلها بكل حُب وحنان.. استمرت الرومانسية لبعض الوقت ثم دارت بعض الأحاديث بينهما عن أمور شتىٰ وحينئذٍ لاحظ رشيد أن زوجته تُخفي أمرًا عنه.. فحدَّثها يُلاعب خصلة من شعراتها قائلًا بنبرة اللُطف: ما الذي يشغل بال زوجتي الجميلة؟ هل حدث شيء مزعج؟

ردَّت بطريقتها الطفولية العفوية: في الواقع نعم، مزعج لأبعد حد، لقد سُرقت سيارتي.. تلك البيضاء التي أهديتها لي في عيد ميلادي، وأظن أنني سأبكي من الغضب، تعرف أنني أُقدس كل ما تهديه لي..

نظر إلى زوجته نظرة حنانٍ وأُلفة ليقترب أكثر، وضعها بين ذراعيه فقال لها: لا تقلقي، حتى إن لم نجدها سأُحضر لك سيارةً أجمل، سأحضر لكِ نجمةً لتمتطيها عوضًا عن السيارة.. أريد أن أشهد القمر يجلس فوق النجوم، ولكن أظنه غير ممكن

فأردف مداعبًا إياها: أنتِ قمري ونجومي، كلا.. أنتِ الكواكب، الكواكب مُميزة بسحرها الخفيّ.. كما تمتازين أنتِ بعينيكِ.

فابتسمت له قائلة: أحبك أحبك للغاية يا عزيزي، أدامك الله لي وأعطاك عمرًا فوق عمرك حتى وإن كان من عمري أيها الأحمر الوسيم.

وبعد تلك الأُلفة ترك الأحمر زوجته ليذهب إلى الحمام المتواجد بالطابق -الطابق السفلي- بينما جلست هي تتأمل بعضًا من الغوامض التي حولها دون أن تلمس شيئًا، وبعد مرور دقائق معدودة شعرت الجميلة بالملل ومن ثم قررت تفقد الطابق العلويّ من المختبر عله يحمل شيئًا مثيرًا للاهتمام، صعدت إلى أعلىٰ لتجد العديد من الغرف فكانت تعلم الكثير منها والبقية لم تفتح أبوابها يومًا، بدأت بالنظر إلى ما في داخل كل غرفةٍ دون الدخول إليها لتتتابع الأشياء الغامضة أمامنا، ومع آخر غرفة بالطابق وجدت أبرار شيئًا واحدًا فقط في هذه الغرفة وبدىٰ كأنه يشبه الشيء الذي ظهر باللوحة الذكية أمامها فور دخولها للمختبر، كلا بل إنه هو! آلة مضلعة تخرج منها بعض الأنابيب والملفات، تبدو جميلة للغاية كأنها نوع من الفن التشكيلي، لم تبدو كآلة للزمن على الاطلاق، بدأت بالاقتراب من الآلة لفضولها بمعرفة ما تفعله وفي نفس لحظة اقترابها من هذا

الصندوق التصقت أسوارتها المعدنية بمعدنه الداخلي الغريب وعلِقت داخل ذاك الشيء ارتعبت حينئذٍ ولاذت بالصراخ عندما شعرت بالأسوارة الملتصقة تزداد سخونة: رشيييد.. ساعدنييي، رشييدي، هذا الشيء يصبح أكثر سخونة، في الاعلى ساعدنييي

سمع رشيد صراخها لحظة خروجه من الحمام فركض جازعًا إلى الأعلىٰ، فباشؤ بتفقد جميع الغرف بعدما توقفت أبرار عن صراخها ثم وقف لثانية! رأىٰ آخر غرفة بالممر تُشع ضوءًا شديد الشدة فركض مهرولًا إليها، وآنما انخرط بالغرفة المضيئة وجد زوجته تهتز بطريقة مرعبة!!! وكأن خلاياها تتذبذب متجاذبة ومتنافرة!! ترتعد جزيئات جسدها بين ذرات الهواء! كان من الصعب الاقتراب لهذه الآلة لإصدارها موجاتٍ تُقصي كل شيءٍ عنها عدا المعادن فتسحبها نحوها، موجات رباعية الأبعاد.. لم ولن نراها نحن البشر، وبعد عدة محاولات متتالية استطاع الأحمر أن يقترب من الآلة فأمسك بذراع زوجته، لقد حاول، حاول قدر استطاعته أن يسحبها ولكن دون جدوى، وفي مشهد يائس مليء بالصراخ والشجن نعيش معهما لحظات الفراق بينما يبكيان خوفًا أن يترك أحدهما الآخر، اشتد الضوء المنبعث حتى فقد الأحمر قدرته على فتح عينيه لكنه مازال يُمسك بذراع زوجته ولا يفلتها، وبعد ثوانٍ قليلة، اندكَّت آلة الزمن.. أصدرت موجاتٍ قوية جعلته يفلت ذراعها فأمسك بمعصمها ساحبًا يدها وتلك الأسوارة، وبلحظة واحدة اشتدت قوة إقصاء هذه الموجات مما أطاح بعالِمنا إلى النافذة بقوة هائلة ابعدته عن مربع المختبر بأمتار! وقع الأحمر من الطابق الثاني إلى الطريق وراء المختبر فتكسرت عظامه وانحَطم جسده.. تسيل الدماء من رأسه وجسده، وقبل أن يغيب عن وعيه نظر إلى النافذة التي تُصدؤ الضوء بطريقة مُخيفة!! يرقد على الأسفلت ولا يقوىٰ على الحراك، نصف ذراعه اليمنىٰ عبارة عن بعض الأشلاء والعظام المفتتة، ينظر إلى مختبره ينادي زوجته للمرة الأخيرة بنبرة تملؤها الخوف، وبالتو واللحظة.. اشتعل المنزل بنيرانٍ بيضاء غريبة عمت بالمكان لتُحرق كل شيء!!! تحول المختبر في دقيقة واحدة لكومة من الأشياء المغطاة بالرماد!! وفر كافة الجيران المجاورين بعيدًا عن مكان الضوء والحادثة، نظر رشيد لذاك المنظر نظرة باكية وتعسية، وقبل أن يغيب عن الوعي نظر إلى ذراعه التي تحولت إلى أشلاء فوجد بها أسوارةً معدنيةً مُلطخة بالدماء، وفقط حينئذ.. غاب الأحمر عن الوعي

سارعت عربات الإطفاء وسيارات الإسعاف والشرطة لإنقاذ من بالمنطقة لكن لا مصابين سوىٰ المواطن رشيد، والذي تعرف على وجهه كافة أفراد الشرطة والمباحث الفيدرالية.. إنه العالم العراقي رشيد الأحمر! رأوه غائبًا عن الوعي، وذراعهُ بالكامل بدت كأشلاء من اللحم تلتصق بها الأسوارة الفضية، حالته مزرية تمامًا، أخذته سيارة الإسعاف لتأخذه من الموت.

*****

وبعد خمسة أيام من وقوع الحادث...

داخل إحدىٰ أكبر مستشفيات بابل بالعراق وبغرفة العناية المركزة يُفيق الأحمر من غيبوبته التي دامت لأيام، وجد نفسه على سرير يتحرك بسرعة وهناك أصوات لجرس إنذار لا يوحي بالخير، فتح عينيه ببطءٍ ليجد رجلًا وامرأة يدفعون السرير، يرتدي كل منهما كمامة على فمة تغطي نصف وجهه، يرتديان زي الأطباء والممرضين، وآن وصولهما لنهاية الممر حمله الرجل سريعًا على ذراعيه وضغطت المرأة زر المصعد الخاص بالعمال ليفروا منه إلى الطابق السفلي للمشفىٰ، بعد دقائق من نزولهم أصبحوا بالخارج فأسرعوا إلى سيارة سوداء قادتها المرأة بينما وضع هذا المختطف جريحه بالكراسي الأمامية وأغلق الباب ليركب هو الآخر بالكراسي الأمامية، قادت المختطفة بأقصىٰ سرعتها تبتعد عن المشفىٰ قدر المستطاع، وما أن وصلا إلى طريق آمن وجدا سيارتان تلاحقهما من الخلف يخرج من نوافذها الزجاجية رجال مسلحون يطلقون الرصاص على السيارة!! وحينذاك أخبرها بألَّا تتوقف عن زيادة السرعة فأومأت برأسها بينما أخرج سلاحًا من تحت كُرسيّه.. ونظر بالمرآة ليستطيع التصويب جيدًا فبدأ بأولىٰ رصاصاته لتخترق رأس أحد الرجال، تبعتها الرصاصة الثانية لتخترق جسد الثاني.. وظل إطلاق النار مستمرًا إلى أن اصطدمت إحدىٰ السيارتين بسيارة لأحد العامة بينما استمرت الثانية بملاحقة هذين المختطفين، وحينئذٍ نرىٰ بها ثلاث رجال يقود الأول ويُطلق الثاني على السيارة السوداء.. ويُخرج الثالث رأسه ويده صارخًا بالسائق ليُسرع أكثر! ويبدو أنه رئيس هذه العصابة، وبعد تبادل إطلاق الرصاصات استطاع المختطف الذي يرتدي ثياب

الطبيب إطلاق رصاصة أصابت عين الثالث اليمنىٰ فتوقفت سيارته فورًا لإنقاذه وغيرت مسارها لتعود إلى طريق آخر غير ذلك.. وأكملت سيارة المختطفين السوداء طريقها بعيدًا عن المكان..

وبعد ساعات من القيادة قصد المختطفان منزلًا مهجورًا قد تركا به أطفالهما الثلاثة وحدهم وقررا التزام المنزل ليومٍ أو اثنين لألّا يعثر عليهم أحد، وعندما دخل كليهما حاملين الأحمر الجريح بدأ باستعادة وعيه بطريقة مؤلمة؛ فيبدأ بتذكر ما حدث، الآلة.. أبرار.. أدمعت عيناه قليلًا حتى وضعه المختطفان على الأريكة ليستريح قليلًا، وحينئذٍ خلع كلاهما تلك الكمامات لنرىٰ وجهيهما بوضوح، طيلة ذلك الوقت.. لقد كانا عثمان وزوجته نرجس!! أتيا لإنقاذ رشيد من يد الأعور -أو الرجل الذي أصبح أعورًا بفضل عثمان- فنظر الأحمر آنذلك إليهما وسألهما بصوته الناحب: ماذا حدث؟ لماذا أخذتماني من المشفىٰ؟

فردَّ سلفه عثمان بصوتٍ حزين: جئنا لننقذك هذا سبب، والثاني لأعرف ما حدث لشقيقتي، قال لي أحد أفراد المباحث الفيدرالية أن المختبر صار كومةً من التراب.. لا يُسمح لأي أحد بالدخول لهذه المنطقة بعد الحادث، بعد أخذ بيانات لوحد الذكي وجدوا لك بالنص العريض وجود نية لاختراع آلة للزمن.. وتسرب الخبر حتى سمعه أثرىٰ أثرياء الأرض.. أنت الآن مطلوب من كافة جهات الدولة وجل العصابات

وأردف ببعض الغضب: لقد تركت أطفالي وحدهم لليلة كاملة مخاطرًا بحياتي وحياتهم من أجلك، والآن أريد أن أعلم الآن وفورًا، ماذا يجري؟

صمت رشيد ليستوعب ما قاله عثمان، ثم قال بلسانْ لا يقوىٰ على الكلام: يجب أن نبتعد عن هنا، بعيدًا عن الجميع، لدي منزل بصحراء آنتي المحظورة، أعرف كيف سنذهب إلى هناك

فتفوهت نرجس بغضب: ما قصدك بـ"سنذهب"؟ لن أذهب إلى لأيّ مكان معك، لا أريد أن أتحول لكومة من العظام واللحم كما حدث لأبرار، سأبقىٰ مع أطفالي هنا

فردَّ الأحمر بغضب واستحقار لا يقوىٰ على الصياح: عثمان.. أسكت زوجتك وإلا صفعتها..

نظر إليها مكملًا: إن أردتِ الابتعاد عني حسنًا لكِ ذلك، سأذهب وحدي لصحراء آنتي الجنوبية، وأنتما الاثنان خذا الأطفال وابتعدا قدر المستطاع كما تشاءان، فلتذهبا لأمريكا الشمالية، أمتلك شقة قديمة هناك تحتجب عن أنظار الجميع، وبها ما يكفي من الطعام المعلب.. كانت خطتي بأن أذهب مع أبرار إلى هناك بالشهر المُقبل، ولكن أراد الله غير ذلك.

وأردف لكليهما بكلام يملؤه السعال: خذا أطفالكما واذهبا في الصباح الباكر، من الآن فصاعدًا سنلتزم الهدوء والصمت؛ لألّا يكون الموت مصيرنا المحتوم

وبعد دقائق وجيزة صعد الزوجين للطابق العلويّ ليخلدا إلى نومهما بينما ظل الأحمر مضجعًا على الأريكة يتألم، وجهه مطمور بالحزن على فراق زوجته، والندم لاختراع الآلة الفاشلة اللعينة، وفي الصباح الباكر غادر الأحمر وحده إلى صحراء آنتي بأقصىٰ الجنوب، ولبث هناك بأحد منازله القديمة التي سكن بها منذ أعوامٍ عند عمله على أبحاث ترتبط بهذه القارة، وبعد أيام وصل إلى عالمنا إلى تلك الأرض الجليدية ومنها إلى منزله فنظف المكان جيدًا ولبث به لعدة أشهر، بينما ذهبت عثمان بعائلته إلى أمريكا الشمالية في منزل الأحمر القديم، وما حدث بعد ذلك تعرفون معظمه أصلًا...

— وبعد توضيح الأمور يا عزيزي فلنترك منبت الأمور ولنعُد ثانيةً إلى يوم النكبة القمرية حيث تجمدت تلك الأحداث الضارية

*****

مارس 2044 | مجرة درب التبانة

بعيدًا بالفضاء الخارجي نرىٰ النكبة بزاوية أخرى عكس ما رأيناه بالمرة الأولىٰ، نشاهد القمر فيزداد حجمًا ويتغير لونه بطريقة مريعة.. يزداد حجبه لضوء الشمس ويستمر الأمر للقليل من الوقت حتى تمزق القمر إلى شقوقٍ أصغر بحجم قمرنا العادي تقريبًا، وانشقت تلك الشقوق إلى شقوق أخرى حتى تحزل القمر لمئات من الصخور السوداء الملتهبة!! نتج عن هذا الانشطار المتتالي انفجارٌ وارفٌ أودىٰ بسكان الأرض.. انطلقت الشظايا بحجم القمر صوبَ كوكبنا البريء.. فتسقط الجبال.. تدك الأرض دكًّا هائلًا.. عمت الفيضانات الشاسعة وفاضت حمم البراكين الجهنمية.. حُرقت الأشجار وهلكت غالبية فصائل الحيوانات والطيور، مات كل من عليها تقريبًا، ثمانٍ ونصف مليار إنسان لم يبقَ منهم سوىٰ آلافٍ من الناجين وقد أُطلق عليهم فيما بعد النكبة «ورثة الأرض»، تتحول الأرض لكومة خراب ولن تعود الديار آمنة للبشر كما كانت على عهدها السابق.

وبعد حدوث جل الأمور بالفضاء.. وخلف طيات الظلام حيال كوكبنا الأرضي نرىٰ كائنًا يُحلق أمام الأرض!!!! جسده أقرب لجسدِ الانسان لكنه أكبر!!! وملامحه بشرية الأصل نوعًا ما..

أيعقل؟!! أهو إنسان؟!! كلا.. بالأحرى هذا المخلوق هو شِبه إنسان، كيف لإنسان أن يُحلق بالفضاء كالعفريت هكذا؟ نراه غريبًا بلا شعرة واحدة برأسه أو جسده، ذا عيون بنفسجية جذابة ووجهٍ شديد الجمال والفتون.. لونه داكنٌ لأقصىٰ التفكير كما الأفارقة، تُغطيه بعض الملابس الغريبة والمطرزة بإتقان تُغطي جسده كاشفةً

أحد ذراعيه فقط، ترىٰ كيف يطوف هذا الكائن وإلى أي الأجناس ينتمي؟ وما عمله في مجرتنا البشرية؟

طاف أمام الأرض يراقب التمزق القمري.. وانتظر حتى كف القمر على انشطاراته.. عندما استقرت الأمور قرر هذا الغريب تفقد عالمنا.. نراه وقد دلف إلى كوكب الأرض بسرعةٍ تقارب سرعة الضوء وربما تفوقها سرعة، ومن ثم بدأ ليتفقد كامل الكوكب، فيستطيع زيارة الكثير من بقاع الأرض بوقتٍ لا يتعدي الدقيقة.. وتلك كانت أولىٰ المعجزات على الأرض بعد حدوث نكبة القمر.

وعندما انتهى من تفقد الكوكب تحولت عيناه إلى بقعتين من السواد الداكن.. وبدىٰ كأنه يتواصل مع أحد فيهذي بكلامٍ غير مفهوم بتاتًا.. لسانٌ آخر بلغة أخرى.. لغةٌ لن نفهمنا نحن البشر البدائيون، وبعد القليل من ذاك اللغو الغامض عادت عيناه إلى عهدها البنفسجي الجذاب من جديد، وبالتو واللحظة سارع بمغادرة عالمنا كما دخله.

بعد مغادرة ذاك الغريب تُصبح الأرض كوكبًا يختلف في صفاته ومظهره، تحيط به أشلاء قمرية كثيرة، وتصبح الشمس محجوبة عن الغالبية الكاسحة بقاع الأرض عدا بعض البقاع التي وصلها شعاع النجم الشمسي.. شملت هذه البقاع قارة آنتي بأكملها والتي ستكون محط تركز ورثة الأرض فيما بعد.

ـــ وها نحن ذا نعبر الآفاق الفضائية صُحبة الغريب ذا العيون البنفسجية بمركبته فائقة الغرابة.. تتشكل مركبته في سفينة فضائية على هيئة هرمٍ مقلوب رماديّ اللون.. به العديد من الخطوط المحفورة المرسومة بدقة تضيءُ باللون البنفسجي الياقوتي.. ويُكمل الغريب سفره عبر الآفاق، كوكبٌ يتبعه نجوم.. أبعاد غريبة تتبعها أبعاد أغرب إلى آن وصوله أخيرًا خارج مجرة درب التبانة، وأكمل سعيه مُسارعًا بسفينته التي مالت إلى الأمام فتضاعفت سرعتها.. وبعد الكثير من الطوفان بالفضاء وصل الغريب لوجهته المقصودة.. وطن سلالته

بأكملها بمجرة نائية عن مجرتنا نحن البشر، المجرة الأعظم في جمالها على الإطلاق والتي سماها سكان كوكبها المائي الوحيد باسم «مجرة زاي»

كيب لار | مملكة نيانـوس

عندما دلف إلى تلك المجرة أُدلف بين النجوم والكواكب، أرانا بديع خلق الله في جمالها.. الكثير من النجوم والأقمار والكواكب مختلفة الألوان والأحجام مع الغبار الكوني اللامع.. وما بين ذلك الحشد من كواكب وأقمار وغيرها من الأجرام السماوية الآسرة وُجد كوكب يضاعف حجم الأرض مراتٍ عديدة تغطيه مساحات مائية من محيطات وأنهار كما احتوىٰ غلافه الغازي على الأكسچين بنسبة تقارب نسبته بكوكبنا، وبذلك يكون ذلك الكوكب هو أكثر من تشابه بكوكبنا إذ سمته ملكة نيانوس فيما بعد بـ«توأم الأرض».. نرى أرض ذلك الكوكب من الأعلىٰ، وتبدو كأنها قد انقسمت لنصفين غير متكافئين في مساحتهما، نصف يُعطي ألوانًا أكثرها الرمادي والبنفسجي والنصف الآخر تُغطيه مساحات ذي لون ذهبي بديع، وها هو الفضائي يخترق الغلاف الغازي.. ومنه يسعىٰ بمركبته إلى ذاك النصف الذي يتناسب مع ألوانه.. رمادي بنفسجي.. وما أن حطت مركبته على برجٍ شاهقٍ جذاب يُفتح باب تلك المركبة ليخرج منه الغريب تخطو قدماه على آخر طوابق البرج.. فيسير بضع أمتارٍ للأمام لنرىٰ بمداد بصره مملكة الظلم والظلام.. أرض اللارحمة وشعب اللعنة الأبدية، إنها المملكة الضارية «نيانوس»

وها هو الغريب بعدما حدق بأطراف مملكته أغمض عينيه البنفسجية الأخاذة ليختفي من مكانه بطرفة عين.. فهبط من البرج ليهب مُسرعًا ما بين أنحاء المملكة كما فعل على كوكب الأرض ليتوقف آنئذٍ أمام قلعة حمراء بدت كأنها من وقود النار والحجارة.. يأخذ أقدامه إلى بوابة القلعة لنرىٰ الحراس من نفس جنسه.. يشبهونه في مظهره.. ذي عيون بنفسجية آسرة وجسم جذاب شديد السواد.. يمتلكون شيئًا أشبه بالجوهرة ذي لون أحمر تلتصق بجبينهم فسُميت تلك الجوهرة بـ«»، يُكمل الغريب سيره ما بين الحراس تباعًا إلى ممرات القلعة حتى وصل إلى صالة شاسعة تُحاصرها حراسة مشددة.. وما أن رأوه فانحنوا له

مغمضي الأعيُن سامحين له بالدخول، وتُفتح بوابة الصالة الملتهبة على مصراعيها لنرىٰ خلفها تلك الصالة العظمىٰ.. أشبه بالبلاط الملكي.. الكثير من الحراس المتراصين في صفين متوازيين طوليًّا ظهورهم للجدران خلفهم ووجوههم تحدق لبعضها.. تتخلل بينهم عواميد ملتهبة كما البوابة.. وبنهاية تلك الصالة الملكية وُجد عرش المملكة الذي تجمع جواهره بين القوة والغموض، يتألق بالجواهر البنفسجية والداكنة.. صُمم بفخامة ونُحِت بدقة حيث تتشابك الجواهر متراصة لخلق تدرجات ناعمة تعزز من تميز التفاصيل.. وآن رؤيتك له للمرة الأولىٰ ستعلم أن من يجلس عليه سيكون رمزًا للنفوذ والسلطة بالمملكة، من تجلس على هذا العرش تختلف عنهم كل الاختلاف.. تبدو كأنها إنسانة عادية؛ فلديها شعر أسود مسترسل يصل لأسفل ظهرها، وعيناها بنية لا بنفسجية، وجسدها عادي كجسد الأنثىٰ.. فليست طويلة القامة عريضة الجسد مثل هؤلاء السود الفضائيين.. وها الغريب وقد وقف أمام العرش ليُكمل سيره فيصبح أمام الملكة مباشرة.. يضع يده اليمنىٰ على يسار صدره ويُطأطئ رأسه تحيةً للملكة فأومأت برأسها.. ومن هنا دار الحوار بينهما باللغة العربية خاصتنا..

- لقد حدث، ولكن لم أستطع تفسيره.. انشق بذات اللحظة التي وصلت بها، ما العمل الآن؟

فصمتت الملكة لتُفكر حتى ردت بصوتها البشري: لا أعلم، ولكن كيب لار لم تعُد ملاذنا الآمن، يُخطط زعيم آرا لتدميرنا بالآونة القادمة، لم يكتفوا بقتل زوجي.. بل يريدون إنهاء السلالة كلها

وأردفت بعد صمتٍ آخر: والدك كان أعظم النيانيين يا نارو، لكنه رحل.. وأنت من سيعتلي العرش عندما ننتهي من هذه الحرب

نارو: أمي.. لأين الذهاب؟ لن أترك نيانوس لتكون إرثًا لمملكة آرا!!

الملكة: نيانوس ليست أرضًا فقط يا عزيزي، نحن نينانوس.. نحن غضب الليل وقسوته.. ونحن من سيقضي على سلالة سيليثورا كلها، ولكن حتى ذلك الحين علينا أن نستتر عن أنظارهم..

وأردفت بتفاخُر: سنتخذ موطني موطنًا لشعبي، وآنما نستعد سنعود ثانية لإنهاء هذا الأمر.. لن أدع الشياطين يغزون مملكتي ويحاصرون شعبي من جل الاتجاهات، أحتاج لثقتك فقط

صمت نارو بينما يمسح وجهه بيده ثم رد قائلًا: لكِ ما تريدين

أخرج زفيرًا بفمه وأردف: سأرسل الحراس لجمع شعبنا بالباحة المجاورة للقلعة، ستتحدثين إليهم بحلول الغسق

أومأت برأسها حينئذٍ وغادر ابنها نارو تلك الصالة لينفذ ما قاله، بينما تربعت الملكة على عرشها.. أخذت شهيقًا قويًّا تبعتهُ ابتسامة مستترة، وقالت تحدث نفسها بصوتٍ عالٍ: اقترب يومك المنتظر يا آسيا.. بل اقترب كثيرًا.

(3) ما بين الذرية والأخرىٰ

— تحتاج للتفاصيل في ذلك الوقت لاستكمال أحداث ما قبل الملحمة يا عزيزي، خذ نفسًا عميقًا وأخرجه.. وافتح تلك العيون جيدًا فنحن على وشك إبصار العديد من الأمور حيال ذلك الكوكب..

الكوكب المائي «كيب لار» كوكب مجهولةٌ نشأته.. ولكن مع وجود حضارتين من أقوىٰ حضارات الكون قيل أنه كوكب قديم النشأة إذ بدعت الحياة به قبل آلاف السنين، وتلك الحضارتان أتيا إثر مملكتين من الممالك الجبارة.. مملكة «نيانوس» ومملكة «آرا»..

— «مملكة آرا».. أولىٰ الممالك بأرض كيب لار والتي تمثلت أرضها بالأرض الذهبية.. شملت النصف الأكبر من كيب لار حيث كان شعبها هو الأقوىٰ بين سكان الكوكب، فصيلة من الكائنات البرمائية ذات الأقدام.. جلودهم زرقاءٌ سماوية بعيون صفراء مُخيفة.. يمتازون بالبأس الشديد والجيوش العاتية، وكذلك اتسمت شعوبهم بالحكمة وحُسن التدبير، سُمي شعب مملكة آرا باسم أول ذكر نشأ من جنسهم «سيليثور» لذا أُقبت السلالة بني سيليثور، وبمصطلح أفضل «السيليثوريون».. بينما أُقبت مملكتهم بذاك الاسم نسبةً لجبل آرا أعظم وأشهق الجبال بأرضهم الذهبية.

— «مملكة نيانوس».. ثاني الممالك بأرض كيب لار والتي تمثلت بتلك الأرض التي لحَّفها السواد البنفسجي.. كانت هذه المملكة هي الحلقة الأقل قوة بالكوكب رغم جبروت جيوشها، ولم تكن أرضها مجرد مساحة من اليابس والماء، بل كانت أرضًا لُعنت منذ آلاف السنين بعدما آوىٰ بها «النيانيون».. شعب هذه المملكة العاتية وقد اتسموا بلعنة اللارحمة حيث يسفكون دماء بعضهم ويجوبون بالمملكة فسادًا وظُلمًا.. يسري حب السلطة في دمائهم الخسيسة، سماهم أسلافهم

نسبةً إلى أعظم المحاربين القدماء والذي سُمي بـ«سليل الظلام».. وبلغة الظلال القديمة سليل الظلام تعني الكلمة الظلالية «ني-آن»، ومن هنا أتىٰ نظام الحُكم الملكي وانتهىٰ نظام القبائل بعد مصرع المحارب نيان لتُلقب بـ«نيان-أوس» أي أرض نيان ليتم تعميم المملكة بذلك اللقب.. «مملكة نيانوس».. امتاز النيانيون بجلود شديدة السواد وعيون شديدة البريق البنفسجي.. لديهم ما هو أشبه بجوهرة حمراء بمنتصف جبينهم سُميت بـ«حجر الحياة» ينطفئ لونها عند الموت.. تشريحيًّا يماثلون البشر في تكوينهم تقريبًا.. وكذلك امتازوا بالتدرج في قواهم بداية بالنسل الملكي إلى الوزراء إلى الراعين وصولًا للنيانيين العُجَّز.. ولكل منهم قوة مختلفة تميزه عن غيره وخصوصًا كل من وُلد بدماء ملكية.

— يظل آل نيان وآل سيليثور بحاجة للماء مثلنا نحن البشر لكن بكميات تتفاوت حسب تكوينهم، تظل المملكتين في صراعٍ منذ الأزل.. وزاد النزاع بعد قدوم الملكة آسيا.. أولىٰ من حبا أرض الكوكب من البشر، لتتزوج من حاكم مملكة نيانوس وتُنجب منه الوريث الشرعي «نارو».. وبعدئذٍ مات الملك لتُصبح جُل المملكة تحت إرادة الملكة البشرية الأولىٰ «الملكة آسيا»

*****

— لا يزال الكثير لنعرفه عن كل من المملكتين، وحتى يحين الوقت لذلك عليك المشاهدة كزائرٍ للتاريخ يا عزيزي.. بِتنا الآن على مشارف بدء الملحمة الأكبر، ملحمة الطين والنيانيين

أبريل 2044 | بابل بالعراق

بعد الخراب المذكور والفوضي العارمة في كل مكان، نرىٰ شخصًا يرتدي بذلة سوداء ملطخة بالدماء.. جاثيًا على الأرض بجانب سلاح ناري، اختبأ في هذا

المنزل أثناء حدوث التمزق القمريّ.. وقد نجا حيث فقد وعيه إثر التصادمات والإندكاكات الأرضية فقط، وعندما أفل عن غيبوبته الطويلة أفاق في ذلك المنزل المُحطم كليًّا لسقوط أشلاء من القمر بالقرب من مربعه، أخذ يناضل بذاكرته ليتذكر ما حدث، وما أن فعل حتى سارع بالوقوف على كلتا قدميه وبدىٰ له أن أحدهما قد كُسرت أثناء النكبة، لكنه قاوم الألم واستطاع السير واضعًا سلاحه من الأرض إلى جيبه، أمسك بهاتفه الجوال فلم يجد إشارة خلوية.. ومن شدة الغضب قام برمي الهاتف بقوة ليُصبح قطعة من المعدن، وآنئذٍ سار هذا الرجل رويدًا رويدًا بين حُطام المنزل.. يفتش الأثاث والأجهزة الكهربائية المُحطمة.. وأثناء بحثه توقف أمام لوحة ذات إطار خشبي سقطت على الأرض، أمسك الرجل باللوحة وحاول إزالة ذلك الغبار الكثيف عن زجاجها بكوع ذراعه الآخر، ومن ثم نظر إليها بتمعن.. اتضح أنها صورة لزوجين، وأيُّ زوجين.. إنهما رشيد وأبرار!، هذا المنزل المحطم ينتمي لرشيد الأحمر وربما لم يختبئ ذلك الرجل بمنزل رشيد للنجاة من النكبة فحسب، وبعد التحديق إلى الصورة غادر المنزل سيرًا ليتفقد ما حوله، وإذ لا يرىٰ شيئًا سوى الفوضىٰ العارمة، جاب الشوارع سيرًا ولم يجد غير الحطام الذي يحوي جثثًا وأشلاء جثث، توقف للحظات لشعوره بغصة في قلبه، مد يده في جيبه ليخرج سلاحه.. أمسك بذاك المسدس يلتمس الانتحار فوضع طرف الفوهة بفمه،أطلق!! ولكن لم يمت؛ كانت الذخيرة فارغة آنئذٍ وبذلك قد فشل في انتحاره، ألقى سلاحه بعيدًا نحو الحطام المشتعل أمامه، ثم عاد إلى منزل رشيد المحطم ليلبث به..

*****

كيب لار | مملكة نيانوس

بالباحة المجاورة للقلعة الحمراء بالمملكة اجتمع حشد يضم كل النيانيين.. رجالًا ونساءً.. وأطفالًا أيضًا، قد احتشدوا بأوامر من نارو عزيز المملكة والملك القادم، جميعهم يتهامسون فيما بينهم إبان انتظارهم لخروج الملكة لتُخبرهم بأهم خبر شهدته المملكة، وبعد قليل من الانتظار.. تظهر الملكة آسيا رفقة نجلها نارو يدًا باليد يد فتنحني لهما رؤوس المتواجدين من نيانيين وحُراس واضعين قبضتهم

اليمنىٰ يسار صدورهم كما فعل نارو من قبل، وبعد بعض المراسم الملكية من هتافاتٍ وما شابهها تبدأ الملكة بالتحدث إلى شعبها العريض..

تحدثت الملكة آسيا بلسانٍ عربيّ وصوتٍ تقشعر له الأبدان وتخضع له الآذان: نيانوس! يا شعبي الديجوري.. عشنا العديد من الصعاب سويًّا، خضنا آلاف المعارك ضد السيليثوريين، والآن علينا أخذ هدنة من هذه الأمور.. علينا أن نعود أقوىٰ من ذي قبل، سنسترد ما هو لنا.. سنأخذ الأرض والعرض، وبكل تأكيد يوجد ثمن لذلك..

بدأ النيانيون بالتهامس والتساؤل عما يجري قلقين حيال خطابها حتى أردفت كلامها: سنغادر الكوكب

وفي ذات اللحظة هب كافة الشعب بالصياح والاعتراض على ذاك الحديث، من يستطيع ترك وطنه؟ هكذا تساءلت عقولهم.. كل قبل أن يعرفوا إلى أين الذهاب حتى.. وعندما قاطعها شعبها باعتراضهم غضب العزيز نارو بشدة.. وحينئذٍ ضرب اليابسة ضربة قاسية بقدمه فاندكت جدران القصر دكًا! اهتزت الأرض من تحت أقدام المملكة بأسرها فصمتوا جميعًا يملؤهم الخوف من نظرات نارو الشاحبة.. فأنصتوا من جديد لتُكمل آسيا حديثها:

- في غضون الساعة الأخيرة من اليوم سنغادر المجرة ذهابًا إلى موطني.. كوكب الأرض، أصغر.. لكنه سيفي بالغرض، على الأرض تربيت ومنها أخذني القدر وإليها سيُعيدني من جديد.. اعلموا أنها ستكون بداية ممتازة لتكوين جيوش أقوىٰ بنطاقٍ أوسع.. سيكون كيب لار لنا حينما نستعد لشن حرب ممتازة على جيوش بني سيليثور لنقضي على سلالتهم الزرقاء بأكملها.. تلك الأرض لن تتسع إلا لمملكة واحدة بمذهب واحد.. أنا وأنتم، أنتم النيانيون وأنا بنت حواء التي هويت من الزمن، أنا التي ستعيد لهذه الأرض مجدها، سأكون في كل زمان ومكان كما يريدني القدر أن أكون..

وأكملت بعد صمت لم يدم: تأهبوا جيدًا وفكروا بما ينتظرنا.. نحن ذاهبون لأرض الخير والشر.. نعيمٌ وسعير.. ويفصل بين كل منهما العقل، لذا أُفضل الاتسام بالحكمة بالآونة القادمة.. انتهىٰ.

وبعد الخطاب تعود الملكة أدراجها إلى الداخل وتبعها نارو تاركين شعبهم وسط الحراس بالخارج، وأثناء سيرها قام الحديث مع نارو عن خطتها لاحتلال الكوكب، لكنها لم تُبدِ أي رغبة بإيذاء ورثة الأرض الناجين من نكبة القمر، ورغم ذلك سيكون كل الأذىٰ بفضلها لاحقًا

بعد ساعات.. تأهب الجميع لمغادرة كيب لار في سرية تامة، وعندما تأهب الجميع في مركباتهم الفضائية الهرمية نراهم كأسطول من الجن بملامح الأفارقة على وشك غزو كوكب الأرض، نرىٰ الملكة.. تجلس بإحدىٰ المركبات بالصفوف الأمامية تنتظر اللحظة المرتقبة للمغادرة، وبعد قليل من الوقت أعطت الأمر النهائي بالمغادرة، ويغادر أسطول نيانوس كوكبهم على أملٍ بالأرض، وأن تكون الحياة الجديدة ذي قيمة ودلالـة، ولكن بالوقت ذاته لم يغادر جميع النيانيين هذا الكوكب، هناك شاب نياني لم يغادر.. لقد اختبأ بجبل بعيد عن قومه حتى لا يُكشف أمره، ظل مختبئًا إلى آن مغادرة أسطول نيانوس لينظر إليهم من تلك القمة الجبلية ونرىٰ هيئته كأي نيانيٍّ عادي يرتدي طوقًا طويلًا من القماش يغطي نصفه السفلي بينما يُبرز عضلات صدره وبطنه العلوية لتلمع تحت سماء كيب لار البرتقالية..

استغرقت رحلة ذهابهم إلى الأرض وقتًا قصيرًا مضىٰ بهم وبمن يسكن كيب لار، ولكنه لم يكن وقتًا قصيرًا بمن على كوكب الأرض.. خمس وثلاثون عامًا!! أي عندما تصل المركبات النيانية إلى الكوكب سيكون قد مضىٰ خمس وثلاثون عامًا على النكبة القمرية.. هذا بفضل مرورهم بثقب أسود في الفضاء لا تحكمه قوانين الزمان، وللجاذبية تحكم بالزمن كذلك، فيمر الوقت أبطأ بكيب لار عكس الأرض لعدم وجود نجمٍ كالشمس ليدور كيب لار حوله، بعد مرور خمس

وثلاثين عامًا من النكبة القمرية يدلف أسطول نيانوس إلى مجرة درب التبانة وصولًا إلى المجموعة الشمسية بعد بعض الوقت، لتُرىٰ الأرض بشكلها الغريب بالنسبة للملكة، تغير الكوكب عما كان عليه قبل النكبة فأصبح فائق الجمـال تدور الأقمار المحطمة من حوله بأحجام متفاوته من قمر ضخم وصولًا إلى فُتات من القمر، وتغيرت أماكن القارات لتتلاحم بعضها وتتنافر الأخريات.. بفضل التغيرات الجيولوجية والجغرافية بالكوكب، وبعدما حدقت الملكة آسيا بذلك المنظر من خلف إحدىٰ النوافذ الشفافة بمركبتها أدارت ظهرها للنافذة لتخطو بضع خطواتٍ نحو نارو.. فيقف كلاهما بمقدمة السفينة استعدادًا لبداية الغزو الأعسر منذ بداية الخليقة البشرية.

*****

2080 | آنتي الكبرىٰ

كان بعد مرور النكبة بخمس وثلاثين عامًا، خمس وثلاثون عامًا من العُسر.. خمس وثلاثون عامًا من الأنين اليومي، لكنها مرت.. بمُرها ومُرها لا حلو بها..

ها البعض من ورثة الأرض يرتدون معاطف ثقيلة ويقومون بالصيد بأحد الأنهار بقارة آنتي والتي لم تعُد صحراء كسابق عهدها، فقد هاجرت كافة الأسماك عبر المحيط نحو محيط هذه القارة لتوافر ضوء الشمس، ونرىٰ بعض النساء يحصدن الطحالب التي تنمو بتلك البيئة الثلجية فيتغذىٰ عليها البشر وتُستخدم كطُعم للأسماك أيضًا، ونرىٰ بعض الرجال الأقوياء يقومون بسلخ نوع هجين من الغزلان والدببة لتوفير لحومهم بينما يتكفل أُناس آخرون بالاهتمام بأمور الحيوانات.. تغذيتها وتكاثرها.. لألّا تنقرض؛ لأن الغزلان والدببة من هذا النوع هم آخر ما تبقىٰ من الحيوانات على كوكب الأرض حينذاك، هلكت بقية الفصائل الحيوانية إثر النكبة والتغيرات إلخ...

بالضفة الأخرىٰ من هذا النهر نرىٰ أكواخًا كبيرة مشيدة تجلس بكل كوخ العديد من العائلات يشعلون النار ببعض الحطب ويجلسون حولها محاولين تجنب البرودة بذلك، تأقلم الجميع بعض الشيء.. لقد تجمعوا هناك.. بقارة آنتي الجنوبية؛ فلم يعم الدمار هناك كما حدث بغالبية بقاع الكوكب، فلا وجود لبراكين على وشك ثورانها، ولا وجود للفيضانات وما شابهها..

وها نحن نرىٰ رجلًا بسترة بنية جميلة ومطرزة يمتطي غزالًا كبيرًا له فرو أبيض، وبدأ بتفقد أمور البلدة المجاورة له، فيراقب عمل الصيادين وحاملي الحطب، ويراقب النساء يحصدن ويزرعن الطحالب الغريبة.. وبينما يراقبهم يرحبون به باسمه.. «القائد أوغو»..

وبالضفة الأخرىٰ عند نهاية النهر الضيق نرىٰ فتاة بالعشرين من عمرها تقريبًا، تضع تاجًا رفيعًا أعلىٰ رأسها وترتدي عباءة بنية مفتوحة تُطرز ببعض من الفرو الأبيض فاتضح أنها الأميرة بهذه الأرض، تمتطي ظهر غزالٍ آخر يشابه غزال الرجل إلى الأكواخ تتفقد الأمور من خارج أحد الأكواخ.. فترىٰ تجمعات من النساء اللواتي تُرضعن أبناءهن حرصًا على نموهم ليستمر نسل البشر ويزداد عددًا فوق عدده الضئيل، رآها أحد الرُّضع بينما تحمله أمه فابتسم لها لتبتسم هي الأخرى، وأكملت الفتاة إلى كوخٍ يبعد بكيلومترات لتصل إلى كوخ مليءٍ بالمعالجين والأطباء.. ويبدو أن أعداد المرضىٰ في ازدياد بفضل غياب الكثير من الموارد لصنع الأدوية، بعد دقائق مضت لاحظت الفتاة ظهور توهج بالسماء ليتحول إلى بقعة سوداء عريضة! وتفتتت تلك البقعة وتموجت لتصبح نقاطًا سوداء متكدسة، إنه أسطول نيانوس.. مركبات هرمية مقلوبة سوداء قد اخترقت الغلاف الجوي لتوها ليلحظها كل من عاش من البشر، محدقين إلى السماء بكل ارتباك وريبة، وآنذلك صاح بهم القائد أوغو بينما يسارع بغزاله: جميعًاا إلى أكواخكم هياا..

ركض الجميع خائرين إلى أكواخهم يختبئون بها كالفئران، وبعد ثوانٍ معدودة نظروا من أبواب الأكواخ إلى أسطول الأهرامات التي تطوف بالسماء! أسطول نيانوس.. قدمت السفن إلى الأرض تلتمسها بما عليها، عند رؤية القائد لذاك المشهد تشتت ذهنه ودنف عقله.. لا يصدق ما تراه عيناه، وبعد قليل أتت الفتاة الأميرة بغزالها ليتوقف بالقرب من غزال القائد أوغو ويتبعهما الكثير من الجنود والحرس الملكيّ يركضون نحوهم بما أوتَو من السرعة لحمايتهم.. يحمل كل حارس سيفًا ودرعًا باللونين الأحمر والفضي بينما حمل الجنود سيافًا قصيرة ودروعًا بنية شبه مستطيلة ، وعندئذٍ شاهدوا جميعًا هؤلاء النيانيين أثناء مغادرة سفنهم ليظهروا أمام أنظار البشر.. بعيونهم الماسية البنفسجية وجسمهم الأسمر الجذاب ليتبادل كلا الجنسين نظراتٍ ليست أليفة، ويُدغم الخوف في قلوب البشر لا تصدق عيونهم ما تراه! عندئذٍ تبادل أوغو نظراته مع الأميرة يهزون رؤوسهم محاولين استيعاب كل هذا، وفجأةً تقدم القائد أوغو بغزاله نحو النيانيين ليعرف ما يجري هنا..

صاح بهم أوغو عاليًا بقوله: من أنتم؟ ومن أين أتيتم؟ وماذا تريدون منا؟

لم يرد أحد من طائفة نيان آنذاك فقام بإعادة أسئلته للمرة الثانية فلم يجد جوابًا لها.. إلى أن تقدمت الأميرة فقامت باستدعاء قائد هؤلاء الكائنات الغريبة وإلا سيقوم الحراس بطعنهم واحدًا تلو الآخر.. وبعد عدة لحظاتٍ من الصمت التام بين الطرفين تخرج الملكة آسيا من مركبتها رفقة نجلها نارو يدًا باليد.. لينحني كافة النيانيين بالخارج لهما كما اعتادوا أن يفعلوا، حدقت الملكة آسيا بالأميرة طويلًا فارتبك القائد أوغو لهذا، فأمر القوات البشرية بالاستعداد لأي مواجهة قادمة لألّا تتأذىٰ الأميرة فأخرجوا سيوفهم يحملونها أثناء التحديق بهؤلاء المردة..

لا تزال الأميرة تتبادل تلك النظرات مع آسيا ملكة نيانوس، رأت وجهها البشري المختلف عن جماعتها فأخذت النظرات إلى الحديث مع البشرية الفضائية تلك..

الأميرة: هل أنتِ بشرية مثلنا؟

آسيا: ماذا تعنين بذلك؟

الأميرة: لقد أتيتم من السماء.. وجميعهم يبدون أضخم بجلد أسود كجلود الشياطين وعيون غريبة اللون والهيئة، يتشابه الجميع هناك، باستثنائك.. أنتِ مثلنا، هل أنتِ من البشر؟

لم تتفوه الملكة بالكلام حينئذٍ.. وبعد ثوانٍ من الصمت ابتسمت آسيا لها ابتسامة غريبة لتتعجب الأميرة قائلة: تبتسمين؟!!! .. أريد أن أهرف من أنتم وماذا تقصدون بمجيئكم إلى هنا؟

فردَّت آسيا بصوتها البارد الهادئ: كلا، بل أنا مثلهم.. ستعرفين حتمًا من أكون، ولكن اسمحي لي أولًا، من أنتِ يا صغيرة؟

الأميرة: أنا آيْ، حاكمة هذه الأرض ومن عليها

فردَّت آسيا بصوتٍ يحمل الضحك والاستهزاء: أنتِ؟ هاهاهههاا.. لم أضحك هكذا منذ طفولتي! كم أنتِ ظريفة يا فتاة..

وأردفت بجدية: كيف لفتاة شابة أنتِ أن تحكم وحدها هذه المساحات الشاسعة؟

فردَّت آيْ: أنا أميرة هذه الأرض، ووالدي الملك منعزل هذه الأيام يحارب المرض وماتت والدتي منذ سنوات عديدة لذا أنا الحاكمة هنا، لن أسمح لبعض المصبوغين بالاعتراض على ما أريد.. وإلا سأجهل الحراس يق..

قاطعتها آسيا قائلة: كفاااكِ ثرثرة يا صبية فقدت اتزان رأسي آخ.. لا يهم.. المهم أنني أريد رؤية والدك العجوز هذا..

فردت بغضب: من أنتِ لتتحدثي بهذه الطريقة عن الملك ساركان؟ سوف تحل نهايتكم أيتها المرأة المتسلطة ، عودوا من حيث أتيتم..لا مكان لكم بيننا من الآن..

وعندما أنهت كلامها تعجبت الملكة آسيا لما سمعته، وغلبها الصمت لبعض الثواني الطويلة..راودتها بعض الشكوك حيال أمر الملك؛ لقد عرفت رجلًا بنفس الاسم في صِغرها ومقتته بشدة، كما أن ملامح الأميرة تُشبه ملامحه إلى حد كبير كما تعتقد آسيا ذلك، ولكن بعد مُهلة قامت بتجاهل تلك الشكوك للإيمان بالصدف.. ربما مجرد صدفة،ربما..

الملكة آسيا: ليس لنا مكان بينكم إذًا.. أشعر بالحزن حيال هذا..

وأردفت بعد صمتٍ تبعته نظرات لا توحي بالخير: من الآن فصاعدًا لن يتحدث أحد غيري هنا، نارو..!

نظر إليها نظرة لا تحمل خيرها فابتسم ابتسامةً يملؤها الشر والشحنة، وردَّ بنبرته الداخلية المخيفة: طلبتِ ذلك، وستحصلين عليه

وفي لمح البصر.. قام نارو بنزع سياف الجنود ودروعهم كما فعل الأمر ذاته بأغراض أوغو والحرس الملكي الخاص بالأميرة، ووُضعت تلك السياف بدروعها بأيدي النيانيين من خلفه ليعود بنفس الثانية لمربع أمه من جديد، وبعد لحظاتٍ فائقة القِصر نظر كافة البشر بأيديهم ليلحظوا اختفاء السياف والدروع.. كلا! بل صارت بأيدي هؤلاء الشياطين!!! خفقت قلوب البشر نبض الشعر والارتعاب.. ارتعدوا ظنًّا أن هؤلاء نوع من الجن الأرضي أو العلوي، ولربما يكون نارو شيطانًا أسود يسعىٰ لوهم البشرية وإخافتهم فقط، هكذا دارت الأفكار المتناثرة بعقولهم.. وظل جميع البشر في توتر وتوجُّس عدا آسيا، والتي أخذت بالتحديق بكامل غضبها نحو أوغو وجيشه الذي آب بالخوف عوضًا عن روح البسالة..

وفي غضون لحظات سارت الملكة بضع خطواتٍ تتقدم شعبها لتنظر بعينيها الحادتين إلى مربع البشر.. ينبعث من وجهها الغضب والكراهية، باشرت بالتحدث في صوتٍ عالٍ ارتجفت له الأبدان وذبُلت به الوجدان:

- أنصتوا يا بني آدم وحواء.. كما حكمت مملكة نيانوس سأحكم هذه الأرض من الآن فصاعدًا، وسيبقىٰ شعبي متى أشاء وكما أشاء.. وإن اعترض حُكامكم على ذلك سأجعلهم كالحشرات تحت أقدامي، سأجعله يرجو الموت فلن يموت ليومٍ واحد.. بل كل يوم.. ليُصبح عبرة للبقية، الآن لا أريد رؤية محارب واحد وإلا سأغرز رؤوسكم بدمائها بتلك الثلوج الكثيفة، نارو..!

نظر إليها فأردفت: خذ الجيش.. وانتشروا بكافة أنحاء تلك اليابسة وصولًا لحوافها ولا تغادروا إلى يابسة أخرى

أومأ نارو بالإيجاب لأوامر والدته، وفي غضون دقائق غادر الجنود إلى أكواخهم عندما سمح لهم القائد أوغو بذلك ليحتموا بها، وما بقيَ محارب إلا وبكىٰ من خوفه، ما بقت شجرة إلا وفقدت بهاء أوراقها من مهابة صوت آسيا، لقد جاب صوتها القارة بأكملها حتى كاد أن يُوقظ الموتىٰ من قبورهم، وبعد القليل لم يبقَ

سوىٰ آسيا، الأميرة آيْ والقائد أوغو أيضًا، أخرجت الملكة زفيرًا عميقًا أثناء النظر للطبيعة الجليدية تبعه ابتسامة عريضة، ثم التفتت لتنظر إلى أوغو قائلة: أين مأوىٰ ملككم أيها الوسيم؟ أريد رؤيته والتحدث إليه..

لم يخرج أوغو عن صمته لا يتفوه بكلمة حتى قامت آيْ بالوقوف أمام آسيا مباشرة لتُجيب بدلًا من أوغو قائلة: حسنًا، رغم مرضه وعدم درايته بما يحدث الآن سآخذكِ إليه، ولكن عديني بألا يتأذىٰ شعبي، هناك نساء وكبار بالسن، وأطفال أيضًا، لا أريد أن يتأذى الأبرياء الذي سعَو لتعمير هذه الأرض من جديد.

آسيا: لقد كنت طفلة ولم يرحمني القدر، والآن لا أرىٰ آدميًّا إلا وكان مذنبًا، سيُحاسب الجميع وبالأخص هؤلاء من كانوا في طفولتي

آيْ: لم أفهم بعد ماذا تقصدين لكنك آدمية مثلنا.. أليس كذلك؟

ردت آسيا: بلىٰ كنت آدمية، لكن في الحقيقة لم أعد كذلك، لا بأس.. خذاني إلى ملككما قبل حلول الليل..

فرد أوغو مُعلقًا على كلام آسيا: لم يُعد ليلٌ هنا، ما رأينا الليل منذ وقت طويل كان بعد حدوث النكبةد

آسيا: اممم.. أيًا يكن خذاني إلى ملككما، أريد التحدث معه ببعض الأشياء التي قد ترتبط بتلك النكبة، وإنه ليومٌ لن ينتهي إن كان الملك أحد هؤلاء المذنبين

وإبان ذلك تبادل القائد وأميرته نظرات تتساءل عما يجري، تعجبا من قول تلك الآدمية الفضائية ولكن حتمًا أملا بكشف الستار عن الحقائق المجهولة، تقدمت آسيا لتُجاورهم ليبدؤوا طريقهم إلى ذلك الملك حاكم الأرضيين.. أو من تبقىٰ منهم على قيد الحياة، امتطت آيْ غزالها الأبيض ليتبعها القائد بفعل ذلك وتقف آسيا أمامهما تحدق بجمال الغزلان إلى أن حدثتها الأميرة: اصعدي.. القصر بعيد عن هنا

أدامت الملكة النظر بآيْ نظرات مُدغمة بالاحتقار، ثم سارت خطواتٍ ليسارها قائلة: سأركب مع الوسيم.. أعجبني خاصته أكثر

نظرت إليه آيْ أثناء تأفُّفها مما سمعته، وفور ركوب آسيا انطلقت الغزلان الملكية مُسرعة في طريقها إلى المكان الذي تلتمس آسيا دخوله ألا وهو قصر حاكم البشر.

(4) فان-توراس أم الضلال البعيد؟

— عزيزي القارئ.. هل سبق وأن قرأت عن السفر عبر الزمن؟ لا أتحدث عن سيناريوهات خيالية أو في غير المألوف، بل أتحدث عن السفر الحقيقي عبر الزمن، بطريقة علمية سيُجيبني البعض أن ذلك قد يمكن حدوثه إذا تحرك الجسم بسرعة تُضاهي سرعة الضوء أو ربما تتجاوزها، نعم وهذا ليس خاطئًا لكن هل وسبق أن راودتك نفسك عن مصير من يسافر عبر الزمن؟

أتحدث عن العالم رشيد، تُرىٰ هل نجح بالسفر عبر الزمن أم فشلت الآلة كما فشلت في نقل أبرار زوجته عن طريق الخطأ؟ في الواقع لقد نجحت الآلة في نقل شخصٍ آخر عبر زمن مختلف، وكان ذلك الشخص يعيش طفولته عند دلوفه إلى آلة الزمن، أما رشيد فلم ترد جثته على عيون الأعور ورجاله ممل يعني بأنه على قيد الحياة، ولكن أين؟ وفي أي زمانٍ يلبث؟والشخص الآخر من يكون؟ وكيف فعلها باستخدام آلة رشيد؟

لن تسبق الأحداث يا عزيزي، بل عِشها كما أفعل.

2080 | آنتي الشرقية

آسيا.. آيْ.. أوغو.. يذهب ثلاثتهم إلى القصر الملكي ركوبًا على ظهور الغزلان البيضاء، وأثناء رحلتهم جميعًا تسترجع آسيا بعضًا من ذكرياتها بكوكب الأرض،

مشاهد شديدة القصر لم نفهم منها كيف تسير الأمور داخل عقلها، تتذكر طفولتها.. تتذكر يومًا فيه قد صرخت بشدة أثناء تواجدها بآلة معدنية تصدر الضوء الشديد بينما يحاول إنقاذها رجل يرتدي بذلةً سوداء، إنها آسيا.. هي من قام بالسفر عبر الزمن باستخدامِ آلة العالم الأحمر، وتظهر ملامح الرجل الذي حاول إنقاذها من الآلة الزمنية، لم يكن الأحمر.. بل كان ذاك الرجل ذا البذلة السوداء الذي حاول الانتحار وفشل به!! ولكن من يكون؟

الآن وأخيرًا قد وصلت الغزلان إلى القصر الملكي، حصنٌ ليس بصغير أو عملاق قد تم تشييده لعائلة الحاكم، حوله بعض الأبراج الصغيرة ليمكث بها هؤلاء المسؤولون عن إدارة الغذاء وإدارة الصحة لمنع تفشي الأوبئة إلى آخره إلى آخره..

ويتم فتح بوابة الحصن ليتنحىٰ الحراس جانبًا ناظرين بغرابة لتلك المرأة التي ترتدي ثيابًا غريبة الهيئة، وآنذلك ينحني الحراس للأميرةِ الماجدة آيْ بنت الملك ساركان، وأثناء دخولهم إلى الحصن نرىٰ فتاة عشرينية تُدعىٰ ناصفة تتحدث مع أحد الخدم على السلم، إنها الخادمة الخاصة بالملك والتي تكفلت بكافة خدماته مع مساعديها بالآونة الأخيرة، رأت ناصفة الأميرة آيْ تأتي برفقة قائد الجيش وامرأة أخرى غريبة ترتدي ثيابًا غريبةً مثلها، فذهبت ناصفة إلى ثلاثتهم لتنحني إلى جلالة الملكة المنتظرة آيْ، ويدور الكلام حينئذ..

قالت ناصفة بينما تنحني: أيتها الأميرة، مرحبًا من جديد بجلالتك

آيْ: مرحبًا بكِ، قولي كيف حال أبي الآن؟

ردت ناصفة متوترة أثناء نظرها إلى المرأة الغريبة: إنه نائم يا أميرتي، أعطيته الطعام وتلك الأعشاب بانتظام، مازال المرض رفيقه.. ولكن حسب ما قاله المعالجون سيتعافىٰ قريبًا

هزت الأميرة آيْ برأسها لأعلىٰ وأسفل، وبعد ذلك اصطحبت الملكة آسيا لغرفة الملك ساركان، ودلف أوغو وناصفة إلى الغرفة بصحبتهم أيضًا، وبمجرد دخول آسيا لتلك الغرفة، ترىٰ وجه الملك نائمًا على سريره فتظهر بعض الدهشة على وجهها! وأخذت شكوكها بالازدياد حتى أصبحت حقيقة، وآنئذٍ سرت رعشة بجسدها وكأنها رأت الموت بعينيها، إنها تعرف الملك منذ عهد طفولتها كما راودت نفسها بذلك سابقًا، ولكن كيف تعرفه وأين؟

اقتربت آسيا من الملك لتنظر إليه بتمعن وقالت: ماذا أصابه؟

ردت ناصفة ببعضٍ من التلعثُم في حديثها: إنه مريض منذ فترة يا سيدتي، ولكنه سيتحسن بعد أخذه تلك الأعشاب التي وصفها معالجو الشرق

وبمجرد أن انتهت ناصفة من جملتها تسقط إحدىٰ المزهريات المتواجدة بالغرفة لتُكسر على أرضيتها!! لم يبدو شيئًا غريبًا حينها، لربما تم وضعها بشكل خاطئ..

وبعد ثوانٍ صاحت الأميرة قائلة: يا إلهي، ناصفة..! اهتمي بأمر المزهرية، وغادري الغرفة بعد انتهائك

هزت رأسها مجيبة لأوامر الأميرة، وفور انتهاء ناصفة ومساعداتها من بقايا المزهرية ذهبوا جميعًا خارج الغرفة ليبقىٰ بداخلها آسيا وأوغو، وآيْ ووالدها..

آسيا : تلك الخادمة غريبة، ماذا دهاها حتى تتوتر بهذه الطريقة؟

آيْ: تلك هي ناصفة لا تهتمي لأمرها، الآن وقد رأيتِ الملك نائمًا، هل عسانا أن نتركه ليستريح؟

آسيـا: وهل تركني أستريح كي أفعل أنا اليوم؟

فردَّت آيْ متأففة بينما يشاهدها القائد: ماذا تعنين بذلك؟ كفاكِ ألغازًا وأخبريني من تكونين؟ ولمَ تتحدثين عن أبي بهذه الطريقة؟

آسيا: لا وقت للشرح، أريد أن يستيقظ العجوز

وأردفت بهمسٍ غاضب أثناء التحديث بعينيه المغمضتين: هناك الكثير لنتحدث عنه.

اقتربت آسيا من الملك، وحاولت تشخيص حالته باستخدام علوم كيب لار الطبية -الطب في كير لار يتقدم بسرعةٍ فائقة، كما أنهم عرفوا الكثير عن البشر بفضل تواجد آسيا هناك-، وبعد تشخيصها لحالة الملك بالنظر إلى لسانه وإلى جفونه والحبوب التي برقبته علمت بوجود خيانةٍ في المكان، هناك من يحاول تسميم الملك بالبطيء حتى لا يُكشف الأمر، خطر أمر الخادمة في ذهنها؛ إنها خادمته الخاصة من عساه يفعل ذلك غيرها؟ كما أنها بدت متوترة للغاية من اللحظة الأولىٰ التي رأتها بها آسيا.. كما لو كانت مجرمة هاربة ينتظرها الإعدام، أنهت آسيا فحص الملك ساركان ولكنها لم تُخبر ابنته عما يجري، فقط أخبرتها بجلب أنواعٍ من أوراق شجرة الموز وبعض النباتات أيضًا، فردت الأميرة حين ذلك:

- ما عادت الأرض تنبت كما السابق، لا موز.. لا فاكهة ولا خضراوات ولا أزهار حتى.. نحن أوسط مساحات من الثلوج والجليد، لا تُنبت الأرض سوىٰ الأشجار والطحالب التي نعتمد عليها وعلى والأسماك في غذائنا

وبعد قليل من تفكير آسيا قررت استدعاء نجلها نارو ذا النسل الملكي؛ لقدرته على شفاء الجروح وإزالة السموم، لذلك ذهبت نحو نافذة الغرفة واضعةً يدها على حواف النافذة، ومن ثم أخذت تتهامس بعضًا من الكلمات الغريبة -كتلك التي تهامس بها نارو عندما حطت أقدامه على كوكب الأرض بالمرة الأولىٰ-، تحولت عيناها لبقعتان من السواد الداكن أثناء هذيانها بتلط الكلمات التي تنتمي للغة الظلال، وبعدما انتهت ظهر نارو أمام القصر في لمح البصر!!! مُسود العينين كأمه، ودخل عبر البوابة الخاصة بالحصن احترامًا للقواعد الخاصة بالمكان ليس إلا، ثم سار صعودًة إلى غرفة الملك لتعود عيناه لعهدها البنفسجي كما كانت، وعند دلوفه حدثته الملكة قائلة: ساعده في الشفاء.. أريده أن يستيقظ..

وما أن أمرت العزيز نارو بفعل ذلك قام بوضع يده على جبين الملك لتتوهج عيون كليهما تباعًا، ويظل الوضع هكذا لثوانٍ معدودة، وعند انتهائه من الأمر تكف عيونهما عن الانبلاج ليزيل نارو يده عن جبين الملك، وبعد قليل من التحديق بالملك يستيقظ من غيبوبته جازعًا كمن يقظ من قبره!وعندما استيقظ نظرت له آيْ وأوغو لا يُصدقان كل ذلك، شعرا بالذعر والدهشة في آنٍ واحد، بدأ الملك ينظر من حوله فرأىٰ ابنته آيْ بالقرب من أوغو، ورأىٰ تلك المرأة التي تضع تاجًا فائق الجمال فوق رأسها، وأخيرًا حطت عيناه على وجه نارو ليُصيب الخوف قلبه فيخفق بقوة، وحدث نفسه بصوتٍ مسموع: ما ذلك المخلوق؟ هل أحلم؟ عيناه كالكريستالات التي لم ترد بأي ركن من الأرض! جلدٌ أسود؟!!!

وحينئذٍ هب الملك للكلام مع الأميرة قائلًا: آيْ! ابنتي ماذا يحدث؟ وما هذا الجني الأسود؟

ارتسمت ابتسامة على وجه آيْ لكنها بدت ابتسامةً كاذبة بعض الشيء، وردت قائلة: اشتقت إليك يا أبي، وأنا كنت أطرح هذه الأسئلة قبل أن يوقظك المارد

فعقب نارو: لستُ بمارد..!

قال الملك غاضبًا: كيف أيقظني لم أفهم؟ ماذا حدث لي؟ من هؤلاء فليُجبني أحدهم

ابتلعت آيْ ريقها بشيءٍ صغيرٍ من الارتباك والتوتر، ثم قالت مُحاولةً شرح ما حدث: لقد فقدت الوعي منذ أسابيع، وذاك المارد قام بسحر فضائي أو ما شابه، ويبدو أنك قد شُفيت تمامًا بفضله

عقب نارو ثانيةً: قلت أنني لستُ بمارد.. بل نيانيٌ

تحدث الملك حينئذٍ موجهًا كلامه لذلك الرجل الأسود ذا العيون الكريستالية: حسنًا، شكرًا لك، والآن ماذا تريد؟..

وأثناء كلامه نظر إلى تلك المرأة ليجدها تضع تاجًا طويلًا فائق الجمال فحدث ابنته قائلًا: ما هذا يابنتي.. هل أصبح لأنتي حاكم جديد؟!! لماذا ترتدي تلك تاجًا غريبًا كهذا في قصري؟

ابتسمت آسيا ابتسامتها المُعتادة آنذاك، ثم تحدثت قائلة: عذرًا يا آيْ، اذهبي مع أوغو الوسيم واجلبوا قومكم، أريد حشد كل البشر من نساءٍ ورجالٍ وأطفال بأيّ

باحةٍ تعجبكم، أما نارو فسوف يأخذني أنا وملككم بعيدًا عن هنا، هناك الكثير من الأشياء لأتحدث عنها معه، على انفرادٍ بالطبع، هيا يا عزيزي..

أمسك نارو بيد الملك الراقد على قراشه وبيد الملكة، ليختفي ثلاثتهم بسرعة جبارة! وبعد لحظات غادرت آيْ رفقة أوغو وأمروا حراس القصر بجمع كافة الجنود والحراس وتسليحهم من المخازن بأفضل السياف وأقواس الرماية، لقد تم اختطاف الملك للتو..! وقام أوغو بأمر أحد رجاله بجلب ورثة الأرض كما طلبت آسيا تحسُّبًا للاتفاق فيما بعد

*****

في مشهدٍ آخر.. وفي بقعة بعيدة عن القصر أتىٰ نارو بآسيا وساركان، مكان بالغ الهدوء فيخلو من المخلوقات بشرية كانت أم حيوانية، وبعد لحظات أومأ كل من نارو ووالدته برؤوسم ليعود ملك نيانوس المنتظر إلى القصر الملكي من جديد حتى يتم جمع كافة الجيوش النيانية داخل الحصن ومن حوله، فهو يعلم ما تسعىٰ إليه والدته، ستُعلن نفسها ملكة للبشر وأرضهم وتتوج نفسها بتاجٍ فوق تاجها، ليس ذلك فحسب.. بل ستقوم مملكة نيانوس على كوكب الأرض كما خططت منذ البداية؛ لتستطيع البدء من جديد لتصبح مملكتها أقوىٰ وأعظم من ذي قبل.

اقتربت آسيا رويدًا رويدًا من الملك ساركان، ثم قالت له بصوتٍ ناعمٍ كأنها تُداعبه بلسان الشر: كيف الحال يا عجوز؟

ظهرت الحيرة على وجهه وصاح في غضب: كيف تجرئين على مُناداتي بالعجوز؟ وكيف أتيتِ بي إلى هنا؟ لم يستعِب عقلي بعد.. كأنكم نوع من الجن أو ما شابه، من أنتِ يا امرأة؟

ردَّت آسيا بعبوس: ألا تذكرنـي؟

الملك ساركان: بالطبع لا أذكرك، هل أعرفك؟

آسيا: لا تسألني هذا السؤال بل اسأله لنفسك، أعرف أنك أردت شيئًا جيدًا، ولكن لماذا لم تذهب بنفسك؟ أخبرني لماذا؟

ساركان: لا أفهم كلمةً مما قلتِه، قولي من أنتِ يا امرأة؟

آسيا: لقد أنقذتني من الضياع، ثم وهبتني لضياع

أكبر وأبهم أيها الساذج الكبير

غضب الملك من قولها بشدة فمد يده في عباءته الملكية ليُخرج خنجرًا صغيرًا منها، أمسك بخنجره ناظرًا إلى المرأة الغريبة بغضب وكراهة، وقال لها مُهددًا: انظري إليّ أيتها العاهـ*رة، لا أعرفك.. ولا أريد معرفة هويتك، ولكن إن سُفكت دماؤكِ بيداي ربما تخبريني لماذا جئت بهؤلاء الجن إلى هنا.. وربما أعرف من أنتِ

غلب الصمت على آسيا لبضع ثوانٍ لتبتسم بعدها لساركان ابتسامتها المُعتادة والتي يتبعها الكوارث في كل مرة، جعله ذلك يزداد غضبًا فهاجمها بعنفٍ بخنجره الخاص حتى يهددها فقط ليس إلا، وبمجرد اقترابه من آسيا ليُكبلها بذراعه ويهددها أمسكت آسيا بيده بقوة أولًا، وعندئذٍ توهجت عيناها من جديد وبدىٰ كأنها تنوي أكله حيًّا الآن، إنها غاضبة.. يثور الكيد بداخلها.. كما لو كانت الجحيم بُقعة فقط من عينيها الحادتين، نظرت إليه عينًا بالعين لتقول له بصوتها

العميق المُغتاظ: سأجعل الموت خلاصك الوحيد مني.. سأكسر عظامك واحدة تلو أخرى.. ستندم على كل ذلك.. على كل أخطائك يا ساركان، لن أغفر لك

ازدادت عيناها توهجًا لتقوم بقول كلماتٍ غريبة بلغة الظلال القديمة، وآنما انتهت من ذلك فقد ساركان وعيه من جديد، ولكن هذه المرة لن تكون مجرد غيبوبة يحلم بها كما فعل في نومه، بل سيكون ما هو أسوأ من الموت.. لن يستطيع التحرر من سُباته إلا بإرادة الملكة آسيا، وعندما سقط على الأرض كما تسقط الجثث في الحروب قالت مُحدثةً إياه: سأحتاجك حيًّا أيها العجوز، ولكن لن يدوم ذلك

وبعد تلك الأحداث أتىٰ نارو لمربعهما ثانيةً ليجد العجوز غائبًا عن الوعي فسار للتحدث مع والدته، تحدث قائلًا: أيتها الملكة، لقد حاولوا مواجهتنا أمام ذلك الحصن، وبالطبع باؤوا بالفشل..

آسيا: أهناك جرحىٰ من ورثة الأرض؟

نارو: جماعتنا بخير، ولكن جماعتك ليسوا بخير كما يبدو لأقول لكِ

فردَّ آسيا ببعض الذهول: مهلًا لحظة!! لا تقل أنك قتلت كافة الناجين من البشر؟

ردَّ نارو رافعًا كتفيه مُقلصًا وجهه: في الوااقعِ.. لا، كافة المواطنين بخير، أما عن الحراس والجنود..

قاطعته آسيا لتمسح وجهها بكفها وأشارت بيدها قائلة: لا تكمل.. لا تكمل فهمت، هل الأميرة آيْ على قيد الحياة؟

فردَّ هو: نعم الأميرة الفاتنة بخير، ولكن القائد الذي يُرافقها خرج إصاباتٍ بالغة، لم أذهب لمساعدته أو القضاء عليه قبل أن أسألكِ

آسيا: ستساعده؛ نحتاجه حيًّا.. كما سنحتاج هذا العجوز أيضًا، ولكن ذلك لن يدوم، حان وقت الذهاب الآن خذني أنا وذلك النائم إلى ذاك الحصن من جديد..

****

ذهب ثلاثتهم إلى الحصن الملكي بقوة نسل نارو الملكي، وهناك نرىٰ مشهدًا لا نراه كل يوم، نرىٰ ورثة الأرض في زحام بباحة شاسعة تُجاور الحصن الملكيْ، يذوقون طعم الرعب لمجرد تخيل مصيرهم، ظنوا أن هؤلاء الجماعة ستقتلهم أو تعذبهم، وباتجاهٍ آخر.. يهمد القائد أوغو على الأرض.. يُنازع روحه إثر تلك الإصابات البالغة، وأمام جدران مجاورة تبكي آيْ وترافقها ناصفة أثناء مشاهدته يموت بالبطيء، يُحاوطهم حراس نيانيون لألّا يهربا، وعندما وصلت آسيا برفقة نارو يحمل العجوز فاقد الوعي على ذراعيه حدق الجميع بالملك وبآسيا، ترتعد أجسادهم خوفًا وتعجز ألسنتهم عن وصف ما يشعرون به، ذهب نارو إلى جماعته ليضع العجوز مابين ابنته وخادمته فجثيا بقربه وظنا أنه قد انتقل إلى الرفيق الأعلى آنذلك..

قام نارو برفع آسيا أعلىٰ ذلك الحصن فتصبح بالقمة؛ حتى يراها كل من عليها، وحينئذٍ تفشىٰ الصمت في أرجاء تلك الباحة وظل الصمت قائمًا إلى آن تحدث آسيا فوق ذلك الحصن، وأمام كافة ورثة الأرض، أمـام تلك الجثث من حراسٍ وجنود بشريين، أمام الملك الغائب عن الوعي وخادمته.. وابنته التي تعجز عن التقاط أنفاسها، أمام قائد الجيوش البشرية والذي يُنازع روحه محاولًا البقاء على قيد الحياة، انطلقت الكلمات السنية بلسانها ليرتجف من سمعها.. صاحت آسيا بنبرة جمهورية جليلة:

- أيها الناس.. الناجون من النكبة القمرية.. ورثة الأرض البشريين، أنصتوا جيدًا، صارت أرضكم إمرتي ورئاستي ومن الآن فصاعدًا لا وجود لحُكم البشر..

وأردفت بعلو الصوت: أُعلن ذلك الكوكب المائي الصغير موطنًا لنا جميعًا، بشرًا ونيانيين، نحن.. نحن النيانيون، حُكام مملكة نيانوس، جاء قومها من الجحيم ليتشكلوا في عيونٍ بنفسجيةٍ كريستالية، من أراد منكم النجاة من الجحيم فليُطع أوامري.. ومن لم يُرد رأسه في مكانها فليفعل ما يحلو له، من الآن فصاعدًا لا وجود لساركان، أنا ملكة هذه الأرض وهذه المملكة، مملكة نيانوس.

صمتت لبُرهة لتلتفت صوبَ صفوف النيانيين فأكملت مُحدثةً إياهم: سأكون مُمتنة للغاية إن لم يقتُل أحد الجنسين الآخر؛ لا أريد أن تقوم النزاعات اللامُنتهية كما قامت بيننا وبين السيليثوريين، من الآن فصاعدًا، سأكون أنا بداية ما أريد.. وسأكون نهايته إن أردت... هذا كل شيء.

وبعدمـا أنهت خطابها الكارثيّ هتف النيانيون بلغة الظلال كلامًا غير مفهوم، وانحنىٰ من تبقىٰ من البشر سمعًا وطاعةً لجلالة الملكة الجديدة.. حاكمة الأرض وما عليها، وإبان الأحداث.. قام نارو بمُداواة جروح أوغو كما فعل بالسابق مع ساركان، وعاد قائد الجيوش بصحةٍ جيدة ليستطيع الوقوف على قدميه ثانيةً!

وبعد الأحداث الممزوجة بالمشاعر الحادة.. قام النيانيون بالتجمع بمكانٍ يبعد عن الباحة بالقليل، وفجأةً توهجت عينا نارو بينما يقف بالقرب من والدته وحينئذٍ توهجت عيون النيانيين أجمعين ليقوموا بالطيران فوق الأرض.. وبدؤوا تشييد قلعة من النار والحجارة بسرعةٍ تفوق أي شيء، لم تمر خمس دقائق حتى انتهو من تشييدها.. لنرىٰ تلك القلعة المخيفة والتي تشابه تلك التي بأرض نيانوس بكيب لار، وبدىٰ أنه سيكون الحصن الملكيّ الجديد للملكة المُبجلة، وفي غضون دقائق أخرى سارع الحُراس النيانيون بالدخول إلى تلك القلعة الحمراء الجديدة لتدلف آسيا برفقة العزيز نارو، وتبعهم بعض الحراس النيانيين يجلبون آيْ ووالدها ساركان.. وتلك الخادمة كذلك، وأيضًا سار خلفهم القائد أوغو مُكبلًا بأغلالٍ سحرية ليُصبح عاجزًا كما البقية، وبعد دلوف الجميع تم إلقاء هؤلاء الأسرىٰ -آيْ، أوغو، ساركان، ناصفة- في زنزانات داخل تلك القلعة المشيدة للتو، وظل البقية من الجنود النيانيين يتبادلون نظرات البشر بالخارج.

****

كيب لار | مملكة آرا

على أرض كيب لار داخل مملكتها، وتحديدًا أعلىٰ الأبراج الملكية هائلة الارتفاع، نشهد العرش الذهبي مكشوفًا ليلمع تحت السماء البرتقالية.. يتربع فوقه كائن ذا جلدٍ أزرق وعيونٍ صفراء اللون تبدو كعيون السحالي، بنية جسده وتشريحه لا يشبه بنية البشر كما الحال مع النيانيين أشباه البشر، تلك السحلية الزرقاء تكون أقوىٰ وأعظم وأطغىٰ أفراد السيليثوريين، أقوىٰ الكائنات على

الكوكب والذي تُضاهي قواه قوة النسل الملكي بالمملكة الأخرىٰ.. إنه حاكم مملكة آرا وزعيم السيليثوريين «الزعيم ڤان-توراس»

كان على عرشه حينذاك.. ويتمثل أمامه كافة الجبابرة وقادة المحاربين، أُمراء بلاد آرا، وزراء المملكة وأيضًا كافة المسؤولين عن أي شيء يخص المملكة، كان الزعيم صامتًا ينظر نحو أصابع قدميه بينما يحركها.. كله آذان صاغية لإنصات المناقشاا فيما بين الوزراء والجبابرةِ وغيرهم..

أحد المسؤولين: لا يمكن ذلك، نحن نعرف هؤلاء جيدًا ونعلم آسيا التي ستعود من جديد.. لن تفر هاربةً هكذا.. إنها آسيا يا قوم

أمير إحدىٰ الإمارات: هذا صحيح، بالتأكيد سيبقىٰ شعبها خارج المجرة لبعض الوقت بإحدىٰ الكواكب البعيدة حتى يزدادوا بأسًا وقوة، وإن حدث ذلك سيرتدون إلى كيب لار مجددًا

مسؤول آخر: إن كان الأمر كذلك فيتوجي عليهم إيجاد كوكب مائي آخر؛ هم في حاجةٍ إلى الماء أكثر منا نحن.. لتسلم ألسنتهم من الظمأ المُميت

مسؤول ثالث: لا لا لا.. كيف ذلك؟ لا وجود لسائل الحياة في مكانٍ آخر غير كيب لار

أحد الوزراء: لا أظن هذا، لقد أتت آسيا من كوكبٍ مائيٍّ أيضًا، ألم ترو جميعًا حدَّ الشبه بينها وبين جنس النيانيين؟

أمير لإمارة أخرى: الجميع يعرف أنها جنس مختلف عنا جميعًا، بفضل عينيها.. ليست بنفسجية اللون، ما عهدتُ يومًا فردًا نيانيًّا لا يمتلك عيونًا بنفسجية أو حجر الحياة الأحمر بجبينه، وتلك الخيوط الرفيعة التي تنسدل من أعلىٰ رأسها..!

تحدث الوزير مُعلقًا على كلامه: يُسمىٰ شعرًا يا غبي

فردَّ الأمير: حسنًا.. لم نفهم أيضًا من أين أتت هذه الأنثىٰ؟ وإلى أين ذهبت؟ كفاها خرابًا بالكواكب ألم يكفي ما فعلته؟ لقد أشاعت أننا من قتلنا زوجها الملك!! لا أعلم كيف صدقها شعبها الأبلة..

أكمل أمير آخر: لقد ازداد الأمر سوءًا بفضلها، كنا على وشك إنهاء تلك الصراعات ولكنها قد أفسدت الصُلح.. بطريقةٍ أو بأخرى لا مفر من الحرب..

وبعد الكثير من ضجيج تلك الحوارات والمناقشات رفع الزعيم رأسه المُطأطأة ثانيةً ليقوم بالنهوض من عرشه، وفي تلك اللحظة جمدت الألسنة وكفت عن الكلام احترامًا لزعيمهم المُبجل، وبعد قليل من الصمت.. بدأت مناقشة أخرى تدور بين الزعيم وكافة أُمرائه ووزرائه، إلخ...

تحدث الزعيم يصيح بصوته شديد الغِلظة: لا نستطيع السفر عبر خطوط الزمان ومرابع المجرات، ولا نعرف مكان آسيا وشعبها، والأسوأ من كل ذلك.. لا نعرف أمر الزمن في مكانهم، من الممكن أن يكون زمانهم مُسابقًا لزماننا، وبذلك بينما تتناقشون سيكون قد مضى سنوات على هذا الأمر بالنسبة إليهم في خطهم الزمني المجهول، وستكون عودتهم بداية حربٍ لن تكون مبشرة بالنصر لنا كما أرىٰ

وعندما انتهىٰ الزعيم من كلامه، قام أحد الوزراء بالمشي لخطواتٍ قصيرة نحو الزعيم يتقدم زملاءه، ُدعىٰ كلويْ أقصر فرد من بني سيليثور، يبدو كالقزم.. ولكن يهابه الجميع كما يحترمه الزعيم كثيرًا ولطالما نالت آراء الوزير إعجابه لحكمتها ورزانتها، طلب الوزير كلويْ من زعيمه أن يطرح عليه بعضًا من الأشياء فردَّ الزعيم قائلًا: قُل يا كلويْ، آمل أن تُسعفنا بأفكارك كما تفعل دومًا

أومأ الوزير برأسه ثم قال: أيها الزعيم، كما قال هؤلاء.. إنها مجرد كاذبة ساخطة لن ننتهي من أفعالها إلا بمقتلها، لا نعلم كيف مات ملك نيانوس، أو بالأحرىٰ لا نعلم كيف قُتِل وعلى يد من قُتِل؛ فجميعهم يعشقون السُلطة، ولكن.. ربما نكون في حاجة إلى فردٍ منهم حتى يساعدنا

الزعيم ڤان-توراس: لقد بحث الجميع في كافة بقاع كيب لار ولم نجد منهم فردًا واحدًا، هاجرت آسيا برفقة شعبها كاملًا، نحن حتى لم نأسر منهم فردًا وا.... مهلًا، لحظة لحظة أخبروني ألم نأسر أحد أفراد نيانوس من قبل؟

فأجابهُ أحد المسؤولين: بلى أيها الزعيم، ولكن ماتوا جميعًا منذ زمن

الزعيم ڤان-توراس: ليس أمامنا سوىٰ تفقد الأمر بأنفسنا، علينا أن نُغادر الزمن كما فعلوا أولًا، وأيضًا قد يستغرق البحث عن كوكبهم وقتًا طويلًا ونحن في حاجة ماسة الوقت، فنحن من نجهل الوضع الآن وليس هم، ألم نستطِع بعد أن نسافر عبر الزمن كما فعلوا؟

الوزير القزم: بلىٰ، في حربنا الأخيرة خرجنا ببعض السفن الهرمية المسروقة بداخلها بعض الخرائط المخطوطة لما خارج المجرة، لكن لا وجود لكوكبٍ مائي بها

الزعيم ڤان-توراس: وما هو اقتراحك أيها الغضروط القزم؟

ردَّ القزم -أعني الوزير كلويْ-: بعد البحث الطويل، لم نجد أيَّ أثر للنيانيين، وقد نظرنا حول تلك القلعة الحمراء فلم نجد شيئًا، ولكن نستطيع الذهاب جوف تلك القلعة الحمراء؛ عسىٰ أن نجد شيئًا مثيرًا للاهتمام

الزعيم ڤان-توراس: لا أعلم إن كان ذلك صائبًا، من يدخل تلك الدائرة يُصاب بلعنة كولا.. ولكن إن كانت هذه تضحية من أجل الحرب فأرسل قافلةً من المُستطلعين إلى الداخل، ولتبقَ أنت خارجها إلى أن تتأكد من أمان أرضهم

آنئذٍ.. وبينما يتحدث الزعيم.. سارع بعض الحراس إلى تلك الأبراج يبادرون بإخبار الزعيم شيئًا هامًا..

الزعيم ڤان-توراس: ماذا أصابكم؟ هل ستقوم القيامة؟

فأجابه أحدهم: كلا يا الزعيم، لقد أتىٰ نيانيٌّ إلى هنا، إنه بالأسفل.. بالصالة الملكية السفلية، لقد أتىٰ للتو طالبًا رؤية جلالتك، وسموَّ الأمراء والوزراء.. لديه رغبة برؤية الجميع

تحدث الزعيم بصوتٍ تواق: ماذا تنتظر، اجلبه أمامي بسرعة..!! لا أصدق.. هل زارنا نياني للتو؟!!

وبعد لحظات.. يخطو النياني ببطءٍ نحو كافة الأمراء والوزراء، ونحو الزعيم أيضًا.. لنرىٰ وجهه وهيئته، إنه النياني ذاته.. ذاك الذي أبىٰ أن يلحق بشعب آسيا مختبئًا بجبل بعيد، بدىٰ الآن أنه قرر أن يسلك طريقًا يُعارض آسيا وأهدافها، ولربما يحيك أمرًا آخر...

(5) يُدعىٰ الأعور

مملكة نيانوس الجديدة بآنتي الكبرىٰ | 2080

هنا داخل القلعة الحمراء المُشيدة توجد زنزانة كبيرة تأسر الأسرىٰ الذين عهدناهم، ساركان النائم والذي لم يعُد ملكًا بعدما تولت آسيا حُكم البشر، ابنته آيْ، خادمته ناصفة، وأيضًا القائد أوغو والذي قد تعافى تمامًا من تلك الأضرار الجسيمة التي حلت به، دارت الأحاديث داخل الزنزانة الكبيرة وقتذاك..

ناصفة: لم يستعِب عقلي ما حدث بعد، فليصفعني أحد على وجهي، هل أنا في حُلم؟

وآنما أنهت الجملة صفعتها آيْ على وجهها بقوة.. وصاحت بها: كفاكِ الآن وإلا قطعت لسانك، مازالت تتحدث الساذجة..! أيبدو هذا كالحُلم؟ أم إنه كابوس لن ينتهي إلا بهلاكنا جميعًا؟ حتى لا ندري مع أي نوع من المخلوقات نتعامل، أظنهم من الجن، لقد قرأت عن تلك الخرافات القديمة التي شاعت قبل النكبة، خرافات بوجود فضائيين وما شابههم خارج الكوكب، يبدو أنها لم تكن مجرد خرافات أو أساطير، هناك جني من الكائنات خارج الأرض، لا أصدق حقًا..

عقب أوغو قائلًا: ولا أنا، كدتُ أن ألقىٰ حتفي بالأمس.. نازعت روحي مرارًا إلى أن أتىٰ ابنها الذي يدعىٰ نارو، شُفيت تمامًا! لا أثر لوجود جرحٍ صغيرٍ حتى

فعقبت آيْ: وقد عالج أبي أيضًا، كان ذلك قبل أن يُغمض من جديد، يبدو أن تلك الساقطة آسيا قد أعادته إلى عِلته ثانيةً، وأنا حقًّا أريد أن أتناقش مع والدي حيال الأمر، بدىٰ لي أنهما يعرفان بعضهما البعض ومنذ زمن، ولربما هي التي تعرفه لا أدري

وظل الحديث قائمًا على هذا النحو حتى قام أحد الحراس بالدخول أمام الزنزانة ليُنادي بأوغو؛ لقد طلبت الملكة رؤيته وقتذاك.. نهض أوغو من مربعه ليذهب برفقة الحارس النياني إلى آسيا ليزداد حيرةً فوق حيرته..

وفور مغادرته.. دار جدال يملؤه الصياح والسُباب بين كل من آيْ وناصفة..

صاحت آيْ بها قائلة: أيتها الحمقاااء!! ألا تستطيعين فعل أمرٍ بشكلٍ صائب ولو لمرة واحدة؟

ردَّت الحمقاء قائلة: وماذا عسايَ أن أفعل؟ فعلت ما أمرتِنِي به.

آيْ: نعم قد فعلت، ومن ذا الذي ينام بزاوية الزنزانة؟

ثم أردفت تهمس بصوتٍ خافت: لماذا فشلتِ في قتلِهِ يا ناصفة؟!! لماذا فشلتِ بقتل أبي أخبريني؟ قلتِ لي سيستغوّق الأمر بضعة أيام فحسب، مرت الأيام ولم يحتضر بعد.. لقد فشلنا في المحاولة الأخيرة لإنهائه

ناصفة: لم أفهم بعد أيتها الأميرة، طيلة السنوات.. لماذا أردتِ قتله بشدة؟ إنه عجوز طاعن في الست، سيموت عاجلًا كان أم آجلًا، هل كانت غايتكِ السُّلطة والجلوس على العرش و..؟

آيْ: لا، أيتها الخرقاء.. لدي أسبابي الخاصة، أريد الخروج من مملكة آنتي

ردت ناصفى بنبرة سخرية نوعًا ما: وكيف ذلك سمو الأميرة؟ يعلم الجميع بأن الحياة خارج حدود جزر آنتي مستحيلة؛ هناك فيضانات.. براكين.. زلازل وكوارث طبيعية، وتلك القارات الشمالية الأخرى في ارتطامٍ سرمديٍ ببعضهم البعض، حتى أني لم أذكر تلك الأمطار السامة والظلام القاتل وما تبعهم بعد، كيف تريدين الذهـاب إلى تلك الأراضي الوعرة؟

ردَّت آيْ ببعض التأفف: لم أقصد كافة القارات أيتها الغبية، أريد فقط الخروج من تلك الأسوار المتجمدة، أخبرني أبي تاراتٍ عديدة عن عدم احتمالية وجود نوع من الحياة خارج حدود آنتي، لكني لم أكترث لذلك.. مازلت أؤمن بوجود حضارة أخرى غيرنا من ورثة الأرض.. منذ ولادتي وأنا أؤمن بذلك، وحتمًا هناك أُناسٌ آخرون، ألم ترَيْ من بالخارج؟ لقد أتت ساقطة بشرية من السماء قبل يومين، بالطبع هناك المزيد من العاهـ*ـرات أو الأوغـ*ـاد خارج الحدود.

ناصفة: لا أُرجح ذلك بتاتًا، حتى وإن أردتِ ذلك، فلم يعُد ممكنًا، لقد تم غزو الأرض كما نرىٰ، وإن مات والدك لن يُحدث فارقًا كبيرًا

آيْ: يا لغبائك..!!

وأردفت بعد صمت يحمل الغضب: اخلدي إلى النوم وكفاكِ ثرثرةً مهي، سأنتظر أنا إياب أوغو، ينتابني شعور سيء حيال ما تحيكه آسيا بشأنه

ناصفة -بابتسامةٍ مُزعجة-: حسنًا يا آيْ

آيْ: مهلًا لحظة، ماذا قلتِ للتو ؟!!! هل ناديتني باسمي؟ سوف أقوم بت...

قاطعت ناصفة كلام الأميرة آنذاك، وقالت لها بصوتٍ عالٍ تعتليه لضحكات المستفزة: ماذا ستفعلين يا جميلتي؟ لقد أصبحنا سواسيةً داخل الزنزانة، آنما نعود إلى النور من جديد ونذوق طعم الحرية ستعود الأمور كما كانت عليها سابقًا، سأخلد إلى النوم كما تريدين لربما تكون ليلتي الأخيرة، في هذا العالم المُبهم، كم أتمنىٰ أن يكون هذا مُجرد منامٍ ليس إلَّا.

وبعد انتهاء ناصفة من كلامها المتناثر قامت آيْ بصفعها للمرة الثانية..!! ثم صاحت بغضب: وها تلك صفعة أخرى لأُثبت لكِ أنه ليس حُلمًا.

وأثناء شجارهما قام أحد الحراس بإخماد الجمر المُشتعل لتنطفئَ الأضواء.. لتخلد آيْ وناصفة إلى النوم؛ فقد سببوا الازعاج والصُداع للحراس النيانيين أثناء هذه الثرثرة، وبعد دقائق قليلة.. نامت ناصفة داخل هذه الزنزانة، وتبعتها آيْ والتي غلبها نومها بعد ساعات، وظل أوغو خارجًا.. رفقة الملكة آسيا.

في زاوية بعيدة من القلعة الحمراء وتحديدًا بالبلاط الملكي نرىٰ آسيا تجثم على عرشها الذي يشبه عرشها بكيب لار، ونرىٰ أوغو أيضًا، منتصبًا أمامها بخوفه، لتتحاوؤ معه بخصوص ما أرادته..

آسيا: أخبرني يا أوغو، كم عمرك؟

رد أوغو ببسمة خفيفة: ثلاثون عامًا سيداي، لماذا سألتِ؟

آسيا: أردتُ أن أعرف ما إن كنت عِشت النكبة القمرية أم لا

أوغو: كلا لم أفعل، لقد ولدت هنا بصحراء آنتي الغربية.. التحقت بالجيش في عامي السادس، وعندما بلغتُ عامي الرابع والعشرين تقريبًا أصبحت قائد تلك الجيوش العريضة، أو..يعني... قصدا أنني كنت كذلك، قبل أن تقتلي كل الحراس والجنود، لم أعُد قائدًا بعد الآن

آسيا: لم أقتل أحدًا.. هم من اختاروا مصيرهم

وأردفت تبتسم: ولم لا تكون قائدًا يا أوغو؟ أنت خبير بتلك الأراضي، وتعرف الكثير عن شتىٰ بقاع الأرض بالتأكيد، كيف أُلقي بك إلى التهلُكة بهذه البساطة؟

أوغو: سأفعل ما تريدين جلالة الملكة، وهذا إن لم يكُن أمرًا مستحيلًا

آسيا: كلَّا.. ليس مستحيلًا، أنصت أيها الوسيم، أريد استكشاف شتىٰ بقاع الكوكب.

ردَّ أوغو يملؤه الذهول: جلالة الملكة! مُحالٌ أن يحدث، هناك العديد من الكوارث التي لا تُعد ولا تُحصىٰ.. حتى أنني لم أذكر انعدام الضوء والطاقة.. وتلوث المياه والإشعاع وغيرهم الكثير، لا يوجد شيء على كافة القارات الأخرى، لا شيء سوىٰ العدم

آسيا: لقد أسأت فهمي ثانيةً، لا أكترث لأحوال الأرض، هناك أشياء أخرى تدور في ذهني، قل لي يا أوغو؟ هل هناك احتمالٌ ولو أقل من الواحد بالمائة بوجود أفراد آخرين من البشر خارج حدود آنتي؟

وأردفت تنظر نظراتٍ مُريبة: هل هناك احتمال صغير أن أرىٰ إنسانًا يحمل سلاحًا ناريًا بيده؟

ارتبك أوغو عند سماع قول آسيا بشدة، وقام بالنفكير العميق للحظات، يك قال: في الواقع لقد قال الملك السابق أن ذلك أمرٌ مُحال، أما الأميرة آيْ، أعني.. الأميرة السابقة آيْ أبدت آراءًا أُخرى.

آسيا: نعم.. وما تلك الآراء؟

أوغو: تحدثت معي مرارًا بشأن إيمانها الشديد بوجود حضارة أخرى من ورثة الأرض في مكان آخر.. ولكن لم يكترث والدها لذلك، وأنا لم أُبدي رأيًا؛ مازلنا نجعل الوضع خارج حدود آنتي لذا أؤمن بتساوي الاحتمالات في ذبك

آسيا: لا وجود للنور خارج مملكتكم، وهناك طاقة نووية استشعرها نارو هناك.. يُمكنني تخمين وجود نوعٍ من الاشعاع السام كما ذكرت أنت، لا أريد المجازفة بشعبي للدخول هناك، وأيضًا أنتم مثلي من البشر لن يستطيع بشريٌّ فعل ذلك

صمتت لبرهة ثم أكملت: ولكن.. يمكنك التحدث مع آيْ بذلك الشأن، ينتابني شعورٌ غريبٌ حيال التفكير بالأمر، فقط اجمع كافة ما يمكن جمعه من عقل آيْ دون أن تعرف أنني قد أمرتك بذلك.. هذه فرصتك الثانية يا أوغو، وستكون الأخيرة كذلك، لقد أعادك نارو لذا لا تدعنا نأتي بك إلى هو ما أسوأ من الموت

أوغو: لكِ ما تريدين أيتها الملكة، لن تعرف آيْ شيئًا؛ لم تعُد مُوكلتي بعد الآن، بل جلالتك

وبعد انتهاء أوغو من الكلام، اصطحبهُ الحراس إلى الزنزانة من جديد ليفعل ما أُمر به، ولتعرف آسيا ما إن كانت آيْ تعرف المزيد مما يجهله البشر عن هذه الأراضي الوعرة.

*****

كيب لار | الصالة الملكية بقصور مملكة آرا

وها قد عدنا حيث توقف النياني أمام زعيم مملكة آرا وكل المسؤولين بالمملكة، وعم الصمت كافة الألسنة حتى تحدث الزعيم بصخبه: تستحق الشكر الجزيل أيها الأسمر، ونحن كنا نتحدث بشأنكم للتو..

أخذ النياني شهيقًا طويلًا تبعه زفيرٌ بارد، وقال للزعيم في حذر: الزعيم ڤان.. قبل أن أخبرك بما تتوق لمعرفته.. هناك مقابل لذلك

ڤان-توراس: هذا يتشرط الحديث الآن، انظر.. قد نسمح لك بالبقاء على قيد الحياة، ما رأيك بذلك؟

النياني: أعرف ما تريده جيدًا، ولكنك لم تعرف ماذا أريد بعد

رد ڤان-توراس ساخرًا: وماذا تريد يا ذا العيون البنفسجية؟ هاا أتريد العرش خاصتي؟

النياني: لا، أريدكم أن تتركوا قتل آسيا لي، وما دون ذلك فهو لكم

وبعد تلك الجملة غلب الصمت أرجاء الصالة الملكية، وفي غضون بضع ثوانٍ.. غلبهم الضحك المصحوب بالكلمات الساخرة..! ضحك كافة الأمراء والوزراء كما ضحك زعيمهم، فمن هذا النياني الذي تجرأ على ذكر هلاك آسيا بهذه السهولة؟ إنها آسيا، لا نيانية هي ولا سيليثورية، إنها الغموض بحد ذاته

ڤان-توراس: حسنًا فهمني أولًا، هل حقدك على ملكتك جعلك تقول هذا؟ أم أنها من أرسلتك لي حتى أبتلع الطعم وأحتسي الندم بعده؟ قل لي لا تخف يا صغيري.

وبعد كلامه الساخر عنه.. التزم النياني لبعض الوقت، وبعد ذلك حدث ما لا يُصدقه أحد، لقد طاف هذا النياني إلى الأعلىٰ بسرعة كما يُسرع البرق.. توهجت عيناه بشدةٍ فاستعد الحراس والوزراء لمواجهته.. الجميع يتأهب لسفك دماء ذلك النياني الأخرق،وفي تلك اللحظة.. وأمام أنظار الوزراء والأمراء، أمام عيني زعيم آرا.. حدث أمرٌ مالوف.. ازداد توهُّج عينيه أثناء طيرانه فوق الجميع ليهبط إلى أسفله بسرعة جبارة.. ضاربًا الأرض من تحته بيديه، وعندما ارتطمت قبضتاه باليابسة،....

يا للرعد!!!! من هذا؟!!! تُراه من؟!! لقد اندكت الصالة الملكية بأبراجها وحصونها.. اندكت أرض آرا بالكامل لترتجف كل الجبال على هذه الأرض! وآنها.. طُرح الجميع أرضًا عدا زعيمهم ڤان-توراس، بعد الأحداث الزلزالية والمروعة لم يكتفي النياني بعد، لذا.. بدأ ثانيةً برفع كفَّيه إلى السماء البرتقالية بينما يشاهده الزعيم دون أن ينطق، وإذ بصاعقةٍ بنفسجيةٍ مُدوية تخترق جسده كاملًا.. ليُصبح مزيجًا متناقضًا من الجسد الأسود المعتم والبرق المتوهج المخيف، بدىٰ كائنًا غريبًا، لا يُمكن وصفه بالقول، يجب أن تراه لتعرف..

عندما انتهىٰ جنونه تحدث من جديد ليوجه كلامه إلى جميع بني سيليثور فينصتون إليه في ذهولٍ مما قد رأوه، يلزمون الصمت والأرض جميعًا، بينما ظل ڤان-توراس واقفًا لم يرمش حتى أثناء تلك الأحداث ، وظل ينصت إلى حديث النياني كما فعل الجميع..

النياني: اسمعوني.. أو لن تسمعوا من جديد، لست هنا كي أُلقي التحية وأرحل، وأنت يا ڤان-توراس، هل تراني الآن أمزح لتسخر من حديثي؟ أترىٰ كيب لار؟ تغمرها النزاعات بين المملكتين ولكن ليس لنا دخل في ذلك، هذا ما وجدنا عليه أسلافنا القدماء فكررناه تباعًا، أنا لا أطلب السلام، بل سأعرضه عليكن، أريد شعبي.. وأريد آسيا، لن أسمح أن يأخذها موت مني، حين تكون تؤوب آسيا رمادًا متناثرًا لن يكفي لما فعلته، لقد قتلت الملك..!!! تلك البشرية الصغيرة قتلت أبوايظ. ثم قامت بإلقاء التهم على زعيمكم، فلنقتص منها سويًّا، وإلا ستكون نهاية العوالم على يدي هذه المرأة.

دخل الذعر أفئدة بني سيليثور لترتجف أجسادهم الزرقاء، وظل الزعيم ڤان-توراس كابحًا لكل شيء.. لم يفهم قول النياني بعد، لقد قال أبي توًا.. إنه ابن الملك رايدن..! ابن ملك نيانوس الراحل، أيعقل ذلك؟ هل آسيا تكون والدته؟ مُحال، لماذا قد يريد قتل والدته؟ وكيف لفردٍ من النسل الملكيّ أن يكون مجهولًا بين الجميع؟ لقد كان متواجدًا أمام مرأىٰ النيانيين أجمع قبل مغادرتهم..!! هكذا تساءلت العقول حول هذا الأمر، نظر إليه ڤان-توراس نظرةً حادة تحمل الكثير.. وقال له في حيرة:

- دعني أفهمك.. من أنت؟ ومن تقصد بوالدك؟

النياني: أُدعىٰ رايدن، اسمي وحده يكفي لتعرف من يكون أبي.

امتلأ ڤان-توراس بالذهول.. ثم حدثه قائلًا: انظر، نحن شعب قوي ذا بأسٍ شديد وحكمةٍ لا تنتهي.. وأظن أنك تعرفني جيدًا، إن أردتَ عراكًا فها أنا.. وأنا من سينتصر كما تعلم، ولكن.. أعجبني قولك، سأوافق على عرضك..

أردف بعد صمتٍ آخر: فلنتحالف سويًا لنضع تلك البشرية تحت أقدامنا، ولكن إن أسأع إلي أو لشعبي.. أو لم تحترم قدوسية أرضنا سأقضي عليك بطريقةٍ أو بأخرى، وفكر بهذا جيدًا.

رايدن: هممم.. لك هذا يا زعيم آرا، وأخبر وزرائك بتجهيز الجنود والأباطرة، سيغادرون مملكةَ آرا كما سنفعل أيضًا

كلويْ -الوزير القزم-: وإلى أين الذهاب أيها الآبد؟

حدث رايدن زعيم آرا قائلًا: من هذا الصغير؟

رد الزعيم قائلًا: إنه اااا.. إنه كلويْ، يمكنك اعتبار جسده عقلًا كبيرًا جدًا، سنحتاجه..

رايدن: جيد.. لا أُمانع، ربما ستفيدنا بعض الحكمة بين ما سأقوم به من دمار شامل

عقب الوزير كلويْ: هل تعرف أين تستوطن آسيا حقًّا؟

رايدن: نعم، في موطنها الذي جاءت منه..

وأردف مكملًا: كوكبٌ مائيٌّ صغير.. لكنه يشبه كيب لار نوعًا ما.. في مجموعة من الكواكب الصغيرة ونجم يُسمىٰ الشمس يمدهم بالضوء والحرارة.. تفقدت الأمر بنفسي ولكن.. حسنًا لا يهم، حتمًا سنُدبر نحوهم، ولكن ليس بعد.. سيحدث ذلك في الوقت المناسب له.

****

يدلف أوغو زنزانته من جديد لتستيقظ آيْ لحظة دخوله إلى الزنزانة، وتنهض سريعًا تتهامس الأمور مع أوغو.. بينما ظل ساركان راضٍ في غيبوبته، وناصفة.. تشخر بصوتٍ كاد أن يصل إلى رايدن وڤان-توراس وهما بكيب لار..! دار الحديث في الزنزانة بصوتٍ لا يسمعه الحراس.. فحدثته آيْ قائلة:

- ما الذي حدث؟ أخبرني لماذا أرادت تلك الساقطة رؤيتك ؟

أوغو: ليس بالأمر المهم، أرادت أن تتأكد من عدم وجود أُناسٍ آخرين خارج حدود آنتي الكبرىٰ، وقد أكدتُ لها ذلك.

قالت آيْ متسائلة: وهل تثق بك؟

رد أوغو: لا أعلم، بدت مُقتنعة برأيي نوعًا ما، أي عاقلٍ سيؤمن بوجود نوعٍ آخر من الحياة على الأراضي الوعرة؟ لقد أصبحت أرضًا فانية مجهولٌ ما بها وما عليها، هذا وإن كان بهـا شيء غير الظلام الدامس

آيْ: أنا أؤمن بذلك يا أوغو، أؤمن بوجود طائفة أُخرىٰ من جنسنا البشريٌ، حضارة أخرى من ورثة الأرض خارج جزر آنتي

أوغو: تقولين هذا للمرة الثانية، أما زلتِ تصدقين بتلك الخرافة؟!!

آيْ: حسنًا، حسنًا يا أوغو صدق أو لا تصدق أنا لا أؤمن بذلك فقط، بل لا أشك في عدم حدوث الأمر، أعرف أمورًا أخرى، أمورًا غامضة لا تعرفها أنت

أوغو: وما هي تلك الأمور يا أميرتي غامضة؟

آيْ: أميرة؟ لماذا أكون أميرة بعد الآن؟ كلَّا يا أوغو، لقد أصابتني ناصفة بالجنون قبل أن تخلد إلى نومها وشخيرها، تقول آيْ بلا مُقدماتٍ أو ما شابه**!!**

أوغو: أنتِ موكلتي أيتها الأميرة، ولائي لك، ولكن صدقًا ما ذلك الأمر الذي قطع الشك باليقين؟ ما سبب إيمانكِ القوي بوجود حضارة أخرى من ورثة الأرض؟

آيْ: سأخبرك، ولكن.. عدني بألا لا يعرف أحد عن ذلك الأمر.

أوغو: بالتأكيد يا سمو الأميرة، لن يعرف أحد بشأن ذلك الأمـر -يكذب، يقصد لن يعرف أحد باستثناء ملكتي آسيا-، والآن.. ما الذي يحدث؟

آيْ: لم أثق بأحد من قبل باستثنائك أنت وناصفة،لذا سأُخبرك.. أخبرني هل سمعت يومًا عن شخص بعينٍ واحدة.. ويدعىٰ الأعـور؟**!!**

وآنذلك حدق بها أوغو كأنه قد اصطدم برأسه..**!** وبدىٰ أنه يعرف ذلك الاسم.. تلعثم قليلًا قائلًا: ك..كلا، من يكون؟

آيْ: كان عجوزًا له تاريخ مليء بالغموض، في الواقع أؤمن بوجود صلة غامضة بينه وبين والدي أيضًا، ذات يومٍ كنت أتفقد الجبال سيرًا صُحبة القليل من الحرس، وفي ذلك اليوم.. أمرت الحراس بالعودة إلى الحصن وحدهم وأنا سأعود وحدي لاحقًا؛ لأستمتع بجمال هذه الجبال دون إزعاجٍ من أحد، وآنذلك.. وعلى جبل في أقصىٰ الجنوب رأيت شخصًا يسير نحو حافة الجبل.. يتلفت خلفه باستمرار، وكأنه لِص أو ما شابه..! فقررت أن أتبع خُطاه من بعيد.. أمضيت وقتًا كافيًا في مراقبته حتى توقف العجور أمام هاوية الجبل، لم أفهم حينها لماذا قد يأتي عجوز إلى ذلك المكان بمفرده.. حتى رأيته رافعًا بذراعيه إلى الأعلىٰ كأنه يحتضن الحرية.. ويُقدم بالقفز من تلك الهاوية، ركضت نحوه بأقصىٰ سرعة لدي وآن لحظة قفزه من الأعلىٰ استطعت اللحاق به والامساك بذراعه، شددت عضُده بأقصىٰ طاقتي وقوتي.. وهو فقط عجوز أعور لا يريد إلا الانتحار، دار الحديث بيننا حينئذٍ وصحت به قائلة:

- ما الذي تفعله أيها الرجل الأخرق؟ أتنجوا من نكبة القمر وتذهب إلى الجحيم بقدميك؟ هيا ساعدني لأرفعك، أنت ثقيل جدًا سأُفلتك هكذا..!!!

تحدث الأعور آن بُكائه: أفلتيني، سأموت اليوم.. ما بقىٰ سبب لأعيش من أجله، لم أعُد بحاجة إلى روحي، لا يوجد هدف أو مراد، ولا رئيس ليُمليني ما افعله بالخطوة التالية..

آيْ: كفاك ثرثرةً وساعدني، لا أكترث من قتل من.. ومن هذا الرئيس؟ أتقصد أبي أم ماذا؟

الأعور: إذًا.. أنتِ ابنة ساركان

آيْ: مرحبًا أنا آيْ، هل سنتعرف على بعضنا البعض وأنت مُعلق بذراعي هكذا؟ مجنون.. هيا ساعدنييي

الأعور: لن يُفيد، لقد اخترت مصيري بالفعل، أما ساركان فسيقتله البشر إن علموا بما فعله بهم وبما يخبئُه

آيْ: لقد سئمت من ثرثرتك أيها العجوز، هياا سا.. ساعدني ستُفلتك يدايَ يا اخرق!!

ابتسم العجوز الأعور حينئذٍ.. وقال بنبرة هامسة: لن أبقىٰ.. أفللتنيييييي...

أنهى الأعور جملته ساحبًا يده لتُفلته آيْ.. وسقط من فوق هاوية الجبل، ويلقىٰ مصيره الأليم، انتحر الأعور.. بينما ترتجف آيْ.. يرتعد فؤادها جزعًا مما رأته للتو..

تحدثت آيْ مُخاطبةً أوغو: وفي ذلك الحين حاولت أن استجمع نفسي من جديد، حاولت استيعاب ما قاله العجوز الأعور للتو، لكني لم أفعل.. لم أفهم كلمة واحدة مما قاله، لكني استطعت وضع بعض الاحتمالات.. فعندما عدت إلى والدي لأخبره بما حدث أنكر هو احتمالية الحياة خارج جزر آنتي وأنكر معرفة الأعور أيضًا، في ذلك اليوم تأكدت بوجود خطبٍ ما

وأردفت بعد صمتٍ وضعت به يدها على كتف أوغو: صدقني.. يكذب والدي على الجميع، هناك حياة سريى خارج حدود آنتي، ولكن أين وكيف؟ لا أعلم

ذلك الأعور.. لقد سفك دماء عثمان وعائلته، وحاول الإمساك بالأحمر، والآن – تأكدنا من انتهاء شر السفاح، لقد قتل نفسه، أو بالأحرىٰ قتلته نفسه الآثمة..!

(6) حيٌّ ميت..!

مارس 2044 | صحراء آنتي الغربية

قبل النكبة القمرية بثلاثة أيام...

نرىٰ الشخص الأكثر غموضًا حتى الآن يجلس أمام آلته الزمنية، يرتبك ويزداد توتره في منزله المستتر عن أنظار الجميع، إنه العالم الأحمر، وهذه المرة.. إنه أحمر حرفيًا..! احمر وجهه بينما يراقب الآلة فيبدو عليه القلق والغضب الشديدين.. يُرجرج أقدامه ذات اليمين وذات اليسار؛ فقد علم باختطاف الأعور عثمان، وقد علم أيضًا بمقتل نرجس وأطفالها، ولا يعلم ما يتوجب عليه فعله الآن.. حدث نفسه حينئذٍ قائلًا: يا الله...!! يا الله..! كيف؟ كيف وجد مكانهم؟ لم أخبر أي أحد بذلك الأمر.. ولا حتى المنظمة، والآن قُتلت عائلته بسببي وسيقومون بتعذيبه بسببي أيضًا، سيُكشف أمري حتمًا.. كله خطئي أنا.. أنت تسبب المتاعب لمن حولك يا أحمر، ماتت زوجتك، وقُتلت عائلة أخيها.. قد يُقتل هو الآخر.. وكل الحق عليك أيها الأبله ال.. آآه

ظل يُلقي اللوم على نفسه ولا يعلم ما يفعل، ظل هكذا متوترًا.. يحدق إلى الأسوارة المعدنية مرارًا وتكرارًا -تلك التي كانت بيد أبرار يوم الحادثة-، إبان ذلك.. طرأ أمرٌ ما بذهن رشيد ليقرر إجراء مُكالمة عاجلة، أمسك بهاتفه.. ومن ثن قام بكتابة رقمٍ طويلٍ جدًا جدًا فاتصل به، وآن نقره على الاتصال.. ظهر على شاشة هاتفه الرقم 22-24، ما تلك الشفرة؟ وماذا تعني؟ تم إجراء المكالمة ليُجيب حامل هذا الرقم مُكالمة الأحمر..

المُتصَل به: ألو..

رشيد: آه.. اا مرحبًا..

المُتصَل به: من يتكلم؟

رشيد: إنه أنا، الأحمر.

المُتصَل به: من الأحمر؟

رشيد: اوه لقد نسيت التعليمات لتوي، حسنًا.. من 45-21 إلى 22-24، إنه رشيد الأحمر، كيف حالك يا.. لحظةً واحدة -ماذا كان اسمه ماذا.. نعم تذكرت- كيف الحال يا ساركان؟

ساركان: يا للهول..! أيُعقل ذلك؟ العالم الأحمر أهذا أنت؟ أين أنت؟ لم يجد أحد موقعك.. ولا أبي ولا أي فردٍ من المنظومة..

رشيد: سأخبرك بهذه التفاصيل ولكن هز ساقيك أولًا، لدي مهمة لن أنفذها أنا.. ولن أثق بأحدٍ بعد الآن غيرك أيها العميل ساركان

ساركان: حسنًا لحظةًةةة واااحدة.. هاا هيَ سُترتي، الآن.. أخبرني بالتفاصيل؟ هل الهاتف مُراقب؟

رشيد: لست تلميذًا، بالطبع ليس كذلك، والآن استعد لمُغادرة القارة والدولة التي تمكث بها أيًا كانت، ستُغادر إلى أمريكا الشمالية، هناك ستتقفىٰ أثر رجل اسمه رافاييل فرانسيسك المدعو بالأعور، إنه شرير...

قاطع ساركان حديثه قائلًا: مهلًا لحظة..! لن أقوم بتلك المهمة إن لم تخبرني بأدق التفاصيل، مازلت الطريق طويلًا إلى آنتي نوعًا ما..

مسح رشيد عينيه بيده قائلًا: هاااه حسنًا، سأُخبرك

وفي طريقه إلى أمريكا الشمالية قام رشيد بإخباره بما حدث للتو، بأمر مقتل نرجس وأولادها.. وبأمور عديدة أخرى -عدا أمر الآلة الزمنية-، ولكن ما الذي نراهُ الآن؟ هل رشيد مجرد عالمٍ رياضي متقاعد؟ أم أن هناك شيئًا آخر..؟

ـــ العالم الفيزيائيُّ والرياضيُّ رشيد الأحمر، عالم متقاعد مؤخرًا بعد الحادث، ولكن قبل تلك الأحداث.. قديمًا منذ عدة سنوات كان يعمل رشيد في منظمة سرية تُدعىٰ «آيْ» وبالعربية «العين»، هذه المنظمة الخطيرة تأسست منذ قرون عدة، ليست تابعة لأي من منظمات الدول المعروفى في العالم، إنهم قوات سرية.. لا يعلم أحد بوجودهم إلا كبار كبار رجال الدولة، حتى رجال أمن الدولة ورؤساء الدول لا يعلمون بوجودهم..

ـــ عندما كان يقوم بتنفيذ مهامه لم يكن يفعل بمفرده؛ هو ليس من تلك القوات فعليًا.. فليس مدربًا على القتال وغيره بما فيه الكفاية عكس كافة أعضاء المُنظمـة.. كان كل ذلك قبل لجوئه إلى آنتي الغربية وهروب عثمان وعائلته نحو أمريكا الشمالية، كان هناك عميل من أعضاء تلك المنظمة يقوم بالمهمات رفقة الأحمر؛ لأنه مجرد مهووس بالعلم، فقط أداة يستدرجون بها المنظمات الفاسدة

والرجـال الأوغاد وغيرهم، وكان العميل يدعىٰ «الرائد مايلـز»، عميل سري قام بالعديد من المهام خلف رشيد، ولكن قد افترقـا منذ مغادرة رشيد لهذه المُنظمة؛ حفاظًا على سلامة زوجته ليس إلا..

ـــ أما عن ساركان فليس بعيدًا عما يحدث؛ لأن العميل ساركان يكون ابن الرائد مايلز.. تعرف على رشيد كان في بداية تدريباته ليصبح خليفة لوالده لاحقًا، وها قد أصبح عميلًا قويًا.. كما كان والده.

ـــ كل فرد من المنظمة لديهِ شفرةٌ سرّيَّـة؛ فمثلًا ساركان 22-24، أما رشيد 21-45، لن تفيدنا الأرقام في الأحداث القادمة، اعلم فقط يا عزيزي.. أن ساركان هو ابن الرائد مايلز، صديقُ الأحمـر القديم..

وبعد ساعاتٍ عديدة -نصف يومٍ تقريبًا- تمكن ساركان من التوصل للخيط الذي سيقوده إلى الأعور ورجاله.. سارع بالاتصال برشيد ليُمليه خطوته القادمة، وها المكالمة تبدأ بينهما..

رشيد: تحدث.. هل وجدت الأعور؟

ساركان: اااااا نعم، وجدت مستودعًا بعيدًا عن الأنظار، تتبعت آثارهم حتى جئت إليه

رشيد: ماذا فعلت؟ من حي ومن ميت؟ لا تتركني متوترًا هكذا يابني..!

ساركان: لا أعلم تحديدًا كم من أحياء بالداخل، ولكن أؤكد وجود عثمان حيًّا بالداخل.. لمن لن يدوم ذلك إن لم أتحرك

رشيد: أنصت إليّ.. سأعتمد عليك في هذا الأمر، أريدك أن تنقذ عثمان وتأتي به إلى العراق سريعًا.. إلى بيتي القديم الذي سجلته المنظمة باسم مواطنٍ آخر

ساركان: نعم نعم ذاك المنزل..

رشيد: هو يعرف ما سيفعله، هناك آلة هناك.. فقط دعه يدلف إليها، هو سيقوم بالباقي

ساركان: وماذا إن لم أستطِع إنقاذه؟ هل آتِ إليك؟

رشيد: كلا لن تفعل، سوف تنقذ عثمان، وإن فشلت في ذلك.. عليك إنقاذه بالدخول إلى الآلة الزمنية

ساركان: مهلًا لحححظة..!!! ماذا قلت..!! قلت زمنية لتوّك؟

رشيد: كلًّا لم أق...

قاطعه ساركان يصيح به قائلًا: لا..لا.. خانك لسانك، لن أدخل إلى اختراعاتك يا رشيد، إن مات عثمان أنت الخاسر، أنت عالم رائع فلتدلف أنت إلى هناك أولًا.. أو علينا التحدث إلى أبي.. سيعرف ما يفعله

وآنذاك نظر رشيد إلى الحائط الذي يستر الآلة الزمنية خلفه، قائلًا لساركان: لن أستطيع أن أفعل؛ هناك أمور أخرى عليَّ القيام بها، وبخصوص الأمر فلن يعرفه أحد غيرنا.. الآن اذهب ولا تُهدر المزيد من الوقت

وأكمل حديثه بعد ثوانٍ صامتة: سأثق بك يا ساركان، أريد أن يدخل الشخص الصحيح إلى تلك الآلة، إن دخل شخصٌ دون ذلك ربما تحدث أشياء أكبر من أن يفهمها عقلي

ساركان: ولكن كي...

وقبل أن يُكمل ساركان كلماته، أغلق رشيد مكالمته، وبدىٰ ساركان غاضبًا لذلك، لكنه لم يُهدر الوقت، وها هو ذاهب في محاولته لإنقاذ عُثمان..

أما عن رشيد الأحمر ففور إغلاقه للمكالمة قام بتحضير كوب لذيذ من قهوته المعتادة.. وغادر تباعًا من غرفته السرية فيسحب الذراع ويُغلق الحائط، ثم يجلس على الأريكة صوبَ نافذته.. يحتسي القهوة.. والندم كذلك.

****

مملكة نيانوس بآنتي الكبرىٰ | 2080

ها وقد عدنا للحاضر، وبعد أسبوع آخر من أسر أوغو وآيْ، وناصفة والملك ساركان أيضًا، قررت آسيا اجتلابهم جميعًا أمامها؛ هناك العديد من الأمور لتتحدث بشأنها، وبالأخص تلك الأمور التي ستعرفها من القائد أوغو..

هب الحرس النياني بفتح الزنزانة الكبيرة.. أخذوا بإصدار أصوات بأيديهم لإيقاظ الأسرىٰ النائمين، عدا ساركان.. يلبث في سُباته ولن يستيقظ إلى أن تأذن آسيا له بالعودة من جديد، حمله أحد الحراس ليخرج هؤلاء الأسرىٰ إلى الملكة برفقة الحرس، ثم اصطفوا أمامها صفًا واحدًا متلاصقين ببعضهم.. ونرىٰ الملكة آسيا وهي لا تزيل عيونها من على آيْ؛ كانت تتهامس مع أوغو حينذاك، صاحت بهما قائلة: فيمَ تتهامسان يا عزيزاي؟ أهناك ما يدعو للهمس أمام ملكتكم؟

أجابت آيْ: أنتِ.. لستِ.. ملكتي.. كم مرة سأقول لكِ هذا؟

ابتسمت آسيا ابتسامةً ساخرة وقالت: هاه يا لها من فتاة..! ومن ذا الذي يتسنم العرش هنا؟ هل والدكِ النائم؟!

وضعت قدمها اليسرىٰ على اليمنىٰ وأردفت: انظروا.. إن أردت قتلكم من البداية لفعلت، لدي أسبابي وراء بقائكم على قيد الحياة، باستثناء الخادمة المتوترة، لا أكترث لاستمرارها بتاتًا..

سارعت آيْ بالتنفس وقالت من الذعر والتلعثم: لماذ..ا أيتها ال..للملكة؟ ما الذي أس..أستطيع تقديـ .. ـمه لجلالتك كي أبقىٰ حية؟

آسيا: لا أكترث لما ستُعطيه لي أيتها الجارية

وأردفت لأوغو قائلة: وأنت يا وسيم.. ألن تعطيني شيئًا مثيرًا للاهتمام؟ أم أنك ستفعل كما فعلت سابقًا؟ -تكذب آسيا كي لا تشُك آيْ في أمرهما-

أوغو: كلَّا لن أفعل، لستِ ملكتي أيضًا

آسيا: ما أجمل الانتماء! ياا للمبادئ البشرية.!! كما تريد، أنت لستَ آيْ كي تبقىٰ حيًّا بعد جملتك هذه، لم أعُد بحاجةٍ إليك بعد هذه اللحظة، وكذلك الحال مع الفتاة الجارية، أيها الحرس..!! أعيدو الفاتنة -آيْ- إلى الزنزانة؛ دعنا لا نفسد متعة قتلِ القائد والجارية ببكاء آيْ.. بالإضافة أنني لا أريد إدخالها في سُبات هي الأخرى.

وأثناء سحب الحراس لآيْ إلى الزنزانة باءت بالصراخ والنواح الشديد؛ ويبدو أنها تحب أوغو وتهتم لأمره كثيرًا، صرخت بصوت شقيّ وعيون باكية: اتركونيبي..اتركوا يديبي كلَّا لن تقتلوه.. هل جننتم..؟!؟! أرجووكيي لا تقتلي أوغو، أرجوكي كللاا لا تقتليه، أوغووو لا تتركني وحدي.. أوغو أرجوك لا تذهب لا تتركني .. آسيا .. الملكة آسيا أرجوكيي هيا دعيهِ يرحل، لاااا اتركونيي

أثناء بكائها ونواحها، قالت الملكة آسيا آنذاك: أكملي همسكِ لجدران الزنزانة بعد الآن، سأدعكِ هناك، لن أدعكِ للموتِ كما سأفعل مع الوسيم

ومن ثم نهضت آسيا من عرشها لتقترب رويدًا رويدًا من ناصفة، وناصفة.. تتصببُ عرقًا.. لا تقوىٰ على ابتلاعِ ريقها.. تكاد أن تهلك من الشعر.. وآنذلك وقفت الملكة أمامها وعينًا بعين.. يُشاهدهما أوغو جاثيًا على ركبتيه مُحاطٌ

بالحراس من حوله، لم يفهم ما الذي يجري حينها.. لماذا تفعل آسيا ذلك؟ هو لم يخنها ولم يُخبرها بما تود معرفته بعد..! هل تهدد الآن بقتله؟

ناصفة: أرجوكي، أرج... -تسعُلُ بشدة- أرجوكي أيتها الملكة، لا أُريد أن أموت، ليس لديَّ أهل أو أقارب، لكني أستطيع أن أهِب ما تبقىٰ من أعوامي تحت طاعةِ جلالتك

ابتسمت آسيا أثناء اقترابها أكثر فأكثر من وجه الخادمة، ثم قالت لها: وهل سأقوم باستخدام خادمة بشرية في ظل وجود كل هؤلاء السود؟ لدي خدمي وكفىٰ بهم، لن أحتاج إلى خائنة مثلك

توترت ناصفة عندما سمعت جملة الملكة آسيا، ثم قالت لها في توتر وخشية: عفوًا..! عن .. عن أية خيانة تتحدث ملكتي؟

فأجابتها آسيا في مسمعٍ من أوغو والحرس: أتحدث عن خيانتكم لساركان يا عزيزتي، أعلم جيدًا وجود خائنٍ في ذلك الحصن، ورأيت في عينيكِ شيئًا مُثيرًا للشك منذ البداية، وعندما فحصت النائم تأكدت بوجود خيانة لا تُغتفر، لقد حاول أحدكم تسميمه.. ومن عساه يُدبره غير الخادمة خاصته؟

لم تستطِع ناصفة اجتلاب أنفاسها آنذاك؛ فاستجمعت ما تبقىٰ لديها من الشجاعة، ثم حدثتها قائلة: هذا صحيح أيتها الملكة، لقد خنتُ الملك، ولكن لم يكن ذلك الأمر من تدبيري

آسيا -بصوتٍ مُريع-: ترىٰ من المجنون الذي سيدبر مكيدة كهذه لحاكم البشر دون أن يهابَ الأمر؟ من قام برسم ذلك الأمر؟

صمتت قليلًا لتُكمل ببعض الهمس المُرتفع: أخبريني.. وسوف أنظر في أمر بقائكِ على قيد الحياة

قالت ناصفة في تلعثُمٍ شديد: أيتها الملكة، من قام بـ... من قام بتدبير الأ... -يا الله كيف أقولها هكذا..!- من قام بتدبير الأمر هي ...هي... هي تكون...

آسيا: يااا قولي وإلا سألطخ يدايَ بدمائكِ القذرة تلك، هيا من فعل؟

ناصفة: من فعل هذا هي... هي الأميرة آيْ

لزمَ الجميع صمته في تلك اللحظة، وبدىٰ الإنكار على وجوههم

آسية: لماذا أصدقك؟

ناصفة: لأنها الحقيقة أيتها الملكة، أنتِ من أراد معرفة الحقائق، وها قد فعلت ما بوسعي

آسيا: لا أعلم يا ناصفة، أهذا كل شيء؟

ردت يملؤها الخوف قائلة: لقد أخبرت جلالتكِ بكل ما أعرفه، وأطلب المغفرة.. سامحيني أيتها الملكة، سأفعل ما أؤمر بعد هذه الساعة..

وبعد ذلك، ابتسمت آسيا ابتسامتها المُعتادة، ثم اقتربت من ناصفة أكثر..! رويدًا رويدًا حتى صارت وجوهها متلاصقة، واقتربت آسيا بشدة كأنها ستُقبل ناصفة أو تأكلها فباءت بالصراخ والهلع حتى كادت أن تموت من الخوف..

آسيا: اهدئي اهدئي.. أحضروا لها قليلًا من الماء

جلب أحد الوزراء المجاورين جرعة من الماء، وأتىٰ بها للملكة فقدمته إلى ناصفة؛ لتشرب منه وتهدأ قليلًا..

وبعد ثوانٍ قليلة من ارتشافها للماء، أفلتت ناصفة تلك القارورة بيدها وجثت أرضًا تحت أقدام آسيا..!! تُمسك رقبتها وأسفل صدرها، تحاول التقاط أنفاسها، تحاول النجاة قائلة: ا.. ترىٰ ما هذ.. أشعر بـ.. أحتضر .. أختنق ساعدنـ .. ـني..

نظرت آسيا نحوها نظرة تهجُّم، ثم قالت لهـا ببسمتها التي لطالما تبعها الشر: عزيزتي...!! لقد ساعدتك للتو

ناصفة: ولك.. ولكنك غدرتي ب.. بي

آسيا: هذا ليس الغدر.. بل العدل

وما أن انتهت من الجملة حتى رقدت ناصفة جثةً هامدة..! تسيل الدماء والسوائل من فمها وأنفها.. لقد سممتها آسيا كما أرادت أن تفعل هي مع الملك.. ولكن ليس ببطءٍ كما أرادت ناصفة أو آيْ، بل سريعًا جدًا، ماتت ناصفة، ولكن ظل أوغو يشاهد الجثة مرتعبًا..

وآنها نرىٰ أحد الحراس يخطو نحو آسيا والجثة؛ حتى يزيل الجثة من أمامها، حملها الحارس على كتفه وسار مبتعدًا عن آسيا وأكمل سيره حتى أوقفته قائلة: توقف...!! هل تعرف ماذا ستفعل بها؟ أم أنك تجهل مراسم البشر عند الموت؟

الحارس: سأقوم بحرقها

آسيا: لا.. أيها الغبي، قم بحفر حفرة في مكانٍ ما وألقِها بالداخل واردم الحفرة لتعود كما كانت، لستُ ملعونةً لأدّا أدفنها

الحارس: أوامر جلالتك

سار الحارس خطواتٍ أخرى لتوقفه آسيا مجددًا.. وقالت له: انتظر، بعد التفكير في الأمر، تقبلت ذلك، أنا ملعونةٌ بالفعل.. قم بنزع رأس الجثة وضعها أمام آيْ بالزنزانة؛ أريد سماع صرخات خوفها من هنا، وعندما تنهي الأمر.. قم بدفن الجثة كما أخبرتك

أومأ الحارس برأسه مُغمض العينين

وبعد دقيقةٍ أو اثنتين يكون قد فعل ما أُمر.. لنسمع صراخ آيْ ونواحها من خارج الزنزانة..! تنتحب من الخوف والهلع..! تنظر إلى رأس ناصفة الملطخة بالدماء، لن تستطيع آيْ الخروج من الزنزانة.. ولن تستطيع إخراج رأس ناصفة كذلك، ستظل هكذا كما هي.. في رعبٍ تام..

أما عن أوغو، ينظر إلى آسيا بعيونٍ يملؤها بالخوف، يخشىٰ أن يكون التالي، أثناء ذلك.. أمرت آسيا الحرس بترك أوغو وشأنه، وحدثته بصوتٍ عالٍ بينما تسير نحو عرشها:

- تعالَ يا عزيزي، اقترب لا تخف.. هذا ليس يومَك، إنه يومُك..!

لم يفهم أوغو قول آسيا، ماذا تعني بجملتها؟ هل سيموت أوغو أم لا؟

اقترب أوغو من الملكة آسيا بخوفٍ وحذر.. مع كل خطوة للأمام يصبح مرتعدًا أكثر فأكثر، حتى وقف أمام عرش الملكة ليدور الحديث..

آسيا: قبل أن أقوم بما يتوجب عليّ فعله، أخبرني بكل ما أخبرتك الصغيرة به، أيها الحراس...!! اتركونا قليلًا بمفردنا، ثمة أمور سأتهامسها هنا مع الوسيم..

وبالطبع خرج كافة الحرس من الصالة الملكية، ولم يبقَ سوىٰ أوغو واللعينة آسيا، وساركان أيضًا.. مُستلقيًا على بلاط الصالة الملكية كما هو، وآنذاك قالت الملكة للقائد: بدون مقدمات.. أخبرني بالمفيد والمفيد فقط من كلام آيْ

أوغو: حسنًا جلالتك، قبل سنوات، انتحر رجـ...

قاطعته آسيا: المفيد يا أوغو لا أريد تفاصيلًا بمن مات ومن عاش، أجبني بجملة تُلخث حديث النرجسية آيْ

أوغو: حسنًا سموَّك، سأحاول فعل ذلك، انظري.. عاش عجوز يدعىٰ الأعور منذ زمن، ذاك الرجل قد أتـ...

قاطعته آسيا من جديد تصيح به قائلة: انتظر انتظر مهلًا لحظة...! أخبرني أنني لم أسمعك بشكلٍ صحيح..! هل قلت الأعور؟

ودام صمتها حتى أردفت: أتراجع عما قلته لك، أخبرني بكل كلمة قالتها آيْ، لا تحذف ولو شيئًا واحدًا

مرت نصف ساعة من الحديث تقريبًا.. وبها قد أتم أوغو مهمته فقد أخبر آسيا بما علمه عن الأراضي الوعرة، وبما علمه عن الأعور، وعن الاحتمالية الضئيلة جدًا بوجود حضارى أخرى من ورثة الأرض، وآنذاك.. بدىٰ وجه آسيا ممتعضًا بعض الشيء مما أثار الرعب بقلب أوغو من جديد.. تحدثت حينئذٍ قائلة:

- لا بأس، أعلم ما سأفعله

اسودت عيناها واتسعت بؤرتاهما ليظنها أوغو لحظا نهايته، مر شريط حياته القتالية أمام عينيه.. لكن ظنه قد خاب؛ فكانت الملكة تستدعي نارو نارو فحسب.. عن طريق اتصالٍ باللغة الظلالية بينهما، أتىٰ نارو في مجرد لحظات..

نارو: أوامر جلالتك

آسيا: كلَّا يا نارو، من الآن فصاعدًا سوف تتلقىٰ أوامرك من القائد أوغو

تحدث نارو مذهولًا: ماذا؟!!!

آسيا: سأخبرك لاحقًا، ولكن قبل أي شيء.. أريدك أن تُشيع خبر وفاة أوغو بين الجميع، بشرًا كانوا أم نيانيين، أمامكما مغامرة قريبة، ولكن أولًا لن يعرف أحد بأمر أوغو، لقد مات أوغو للتو

نارو: أرجح وجود بعض من الخطأ في ذلك، ماذا سنفعل ببشريٌّ؟

ردت الملكة قائلة: أنسيت أنك نصف بشريٍّ أم ماذا؟ يجب أن تُقدس البشر أكثر من البقية؛ هم فقط نيانيون.. أنت البشري النياني والهجين الوحيد لذا عليك فعل ذلك

وأردفت بعد زفير قوي: الآن اذهب، وافعل كما قلت

هز نارو رأسه دون التفوه بالكلام، وسارع بالخروج من البلاط الملكي سيرًا لنشر الخبر الكاذب بين الجميع.. لتكون آيْ أول من يعلم بالأمر..

آسيا: أعرف البشر جيدًا، ليسوا أغبياء إلى هذا الحد.. كيف لتلك الحضارة المليئة بالحداثة والتطور والعلوم المختلفة أن تندثر بين ليلة وضحاها؟ لقد أنهت النكبة

وسائل التواصل على هذا الكوكب، لكن آيْ على حق.. هناك حضارى أخرى تفوق حضارتكم، وأريد إيجادها قبل أن يحدث العكس..

وأردفت: استعد جيدًا يا أوغو، ستكون أنت الفاصل بيني وبين البشر

وبعد تلك المشاهد المثيرة للريبة حدث ما أرادته آسيا، شاع الخبر في منازل البشر المستضعفين.. وعلِمت آيْ قبل الجميع، فازداد الأمر سوءًا؛ أرادت الانتحار لتوها لكنها لم تستطِع ذلك بفضل الزنزانة الخالية من كل شيءٍ وأي شي، لا شيءَ سوىٰ آيْ ورأس جثة ناصفة المتعفنة، وبعدئذٍ تلقىٰ نارو تعليماته من جديد ليأخذ أوغو بعيدًا.. إلى حواف آنتي صوب المحيط، لم يأخذا حارسًا واحدًا حتى.. سيتكفل نارو بالأمور القتالية بمفرده..

بعد مغادرتهما.. ظلت آسيا على العرش بينما يستلقي ساركان أمامها على ظهره في سُباته العميق، بدأت بمحاورة نفسها وساركان قائلة: يا للأعور المسكين، لقد أفلت من العقاب، لطالما حلمت بتعذيبه بأبشع الطرق لكن القدر لم يشأ بذلك، أما أنت.. لدي المزيد من الأمور لأتحدث عنها معك، لكني لن أُفسد رحلتك، أنت تعيش ما هو أسوأ من الموت في سُباتك، نم يا عزيزي، ستنام قريبًا إلى الأبد.

(7) ملحمة الطين والنيانيين

حدود جزر آنتي الكبرىٰ | 2080

حيث أوغو ونارو، نراهما يقفان على حافة الجزر صوبَ القارات الأخرى، ولا يعلم من أين يبدأ، وكيف يبدأ، هناك إشعاع رهيب يطغىٰ على قارات هذا الكوكب -عدا آنتي بالطبع-، ولهذا لم يُرد تفقد تلك القارات، وإلا جابها بسرعةٍ تضاعف سرعة الضوء كما فعل مسبقًا..

أوغو: نارو..! ما هي وجهتنا؟

نارو: لا أعلم، هناك عوائق عدة

أوغو: أتعني بذلك الظلام المجهول؟

نارو: ليس ذلك فحسب، الإشعاع كما تعرف.. لا أعلم قدر تحملي لهذه الطاقة الغريبة، ربما يُقضى عليَّ قبل أن أُدرج قدمايَ على اليابسة حتى..

أوغو: عذرًا أيها الأمير، لدي سؤال..

نارو: أخبرني أيها الساذج

أوغو: تستطيعُ الطيران، أليس كذلك؟

نارو: نعم بالطبع، هكذا كنا سنذهب إلى تلك القارات، لن نذهب إلى هناك عومًا عبر المحيط أيها الساذج

أوغو: آآآهه.. في الواقع أقترح ذهابنا عبر المحيط لكن ليس عومًا..

نارو: ماذا تقصد؟

أوغو: يمكننا الاستعانة بإحدىٰ وسائل النقل البشرية، هناك أمر ما لا يعلمه أحدٌ غيري أنا وساركان فقط

نارو: أخبرني، ما الأمـر؟

أشار أوغو بيده للجنوب قائلًا: على بُعد أميال من هنا، أترىٰ هذا الجبل هناك؟

نارو: نعم رأيته، ما خطبه؟

أوغو: هناك غواصة بشرية مُخبأة بسفح هذا الجبل، قرر الملك السابق أن نُخفيها عن أنظار البقية؛ كي لا يجن جنون أحدهم ويلوذ بالفرار إلى إحدى القارات الأخرى.. إيمانًا بوجود إلهٍ مُنقذٍ أو ما شابه، وهذه الغوا...

قاطع نارو حديثه حينئذٍ بقوله: أقصِر الطريق أيها البشريُّ، هل هذا الغواصة قادرة على نقلنا إلى الأراضي الوعرة؟

أوغو: في الواقع.. لا أستطيع التأكد من كفاءتها، أيضًا لا أعلم إن كان الوقود كافيًا للعبور هناك أم لا، ولكن لا خيار أمامنا سوىٰ المحاولة..

نارو: حسنًا، أمهلني ثلاث ثوانٍ..

وآنَ انتهاء جُملته اختفىٰ نارو في لمح البصر كما اعتاد أن يفعل..! رُجَّ أوغو من مكانه ولكن لم يطُل الأمر، بعد مرور ثلاثِ ثوانٍ بالضبط.. عاد نارو من جديد يحمل الغواصة بذراعيه السمراء الجبارة..! هبطَ ليضعها قبالة أمواج المحيط ليكون نصفها على اليابسة والآخر تغمُر المياه جزءه السفلي.. وحدث القائد البشري قائلًا:

- ها نحن ذا، اصعد على متن الشيء أيها الساذج، ستكون مغامرة مُملة نوعًا ما، لكنها مظلمة.. أحب الظلام

أوغو: بالطبع أيها الأمير، لا شك في ذلك

وها هي الغواصة تُغادر آنتي عبر المُحيط الجنوبي لتغوص أسفل المياه، يذهبان صوبَ الأراضي الوعرة الأخرى، ربما أفريقيا.. ولربما أستراليا؛ علَّها تكون أرضًا آمنة تخلو من الكوارث الطبيعية والقمرية.

****

كيب لار | الصالة الملكية بقصور مملكة آرا

هنا داخل الصالة.. يتربعُ الوزراء والأمراء والمسؤولون أجمع في مجلسٍ واحد، يُناقشون أمـر الذهاب إلى كوكب الأرض، وكان النقاش مشتعلًا فيما بينهم كما العادة.. يتحاورون بصوتٍ عالٍ كما لو كان شجارًا، وأثناء هذه الضجة أتـىٰ كلويْ، وقد وقف أمام هذا المجلس العارم بالفوضىٰ.. صاح بهم بنبرةٍ غاضبةٍ كادت أن توقظ الموتـىٰ من صخبها: اصمتووووووووا...!!

وفي اللحظة ابتلع كل فردٍ لسانه ليكُف عن الكلام، بدىٰ أن الوزير كلويْ يهابه البقيى على الرغم من قِصر قامتِه.. بفضل علو شأنه لدىٰ الملك، أردف بعد صياحه حينذاك:

- اسمعوا.. الزعيم يريدنا أن نفوز بالحرب، ولأقول لكم، لا مجال للخلافات وطرح الأسئلة حتى نغادر كيب لار.. كافة هذه الألغاز لن يحلها سوىٰ العزيز النياني رايدن، والآن اخبروني.. أين الزعيم؟

أجابه أحد الأمراء قائلًا: لقد غادر القصـر برفقة العزيز النياني قبل بداية نقاشنا

كلويْ: هل يتفقدان أمر جيش بني سيليثور أم ماذا؟

رد الأمير حينئذٍ: اممم نعم.. ربما

وآنذلك يسمع الجميع صوتًا قد أتىٰ من فوق أحد جبال المملكة والذي يُجاور جبل آرا..! إنه صوت مبارزةٍ ما، خرج كلويْ بصحبةِ الوزراء والأُمراء لتفقد الأمر.. وكانا ڤان-توراس ورايدن

أحد الوزراء: ما هذا...!! هل هما يتشاجران؟ جهزوا الجيش سنقوم بتحطي...

قاطعه الوزير كلويْ قائلًا: اصمت أيها الأبله، بدىٰ أنهما يتدربان على القتال ليس إلا، وإلا ستندك اليابسة إن نشب خلافٌ بين هذين الاثنين، سارعوا بالدخول إلى الصالة وأكملوا ضجيجكم، سأذهب إليهما..

دخل الجميع إلى القصر عدا كلويْ، والذي أراد التحاور مع الزعيم حول أمرٍ ما، لذا قرر الصعود إلى هذا الجبل، نشاهد كلويْ.. يتراجع ثلاث خطواتٍ إلى الخلف فينبطح إلى الأسفل قليلًا، ومن ثم قفز قفزةً جبارةً إلى الأعلىٰ..! ليتجه صوبَ هذا الجبل المذكور الذي يتبارىٰ علوه الزعيم والعزيز، وفي لحظاتٍ من قفزة كلويْ نحو الجبل يصل إلى هناك بكل سهولةٍ ويُسر، لينظر نظرة شاحبة إلى مبارزة ڤان-توراس مع رايدن.. ظل واقفًا أمامهما لدقائق.. حتى انتهت هذه المبارزة بفوز زعيم المملكة السيليثورية..

ڤان-توراس: هاااه هوي.. فزت عليك مجددًا، ألم أُخبرك أننا ذوو حكمةٍ وبأسٍ شديد أيها الأسمر؟

رد رايدن ضاجعًا ضاجعًا على الأرض: حسنًا رأيتُ البأس، ولكن الحكمة..؟ أين الحكمة لا أراها؟

تنهد الزعيم ڤان-توراس ولاحظ وجود كلويْ حولهم فاستدارا نحوه ليقول الزعيم: هاااهيَ الحكمة..! انظر يابني انظر

رد راين أثناء الوقوف على الأقدام من جديد: متى جاء القزم إلى هنا؟

كلويْ: منذ سبع دقائق وثلاثٍ وأربعين ثانية

رايدن: اممم، لم يلحظك أيٌّ منا..! من الجيد أننا لم ندهسك أثناء المباراة..

ڤان-توراس: كُف عن التذمر يا أسود، فلنستمع إلى كلويْ..

وأردف محدثًا إياه: هل من جديد؟

كلويْ: هناك خطبٌ ما.. نحتاج إلى التحدث، ثلاثتنا

رايدن: بشأن ماذا أيها القزم؟ هل بشأن موعد مغادرتنا مجددًا؟

كلويْ: كلَّا، شيء آخر

ڤان-توراس: قُل ما الأمر؟

صمت كلويْ لبضعِ ثوانٍ بينما يحدق به ڤان-توراس ورايدن، وبعد قليل، قاطع رايدن صمتهُ قائلًا: هل ابتلعت لسانك الآن؟ ما خطبك أيها القزم؟

كلويْ: لا... اتبعاني

وآنذاك، ذهب كلًّا من الزعيم ڤان-توراس والأمير رايدن خلف خطوات كلويْ ولا يعلمان إلى أين الذهاب، ظل الأمر غامضًا بالنسبة إليهما، ويتبعان كلويْ نحو وجهته المجهولة حتى الآن، وبعد عدة أميالٍ من الجبل، توقف كلويْ أمام حدود مملكة آرا والتي تفصلها سور كبير عن أرض نيانوس البنفسجية..

ڤان-توراس: ماذا دهاك أيها الغضروط؟ لماذا جئت بنا إلى هنا

كلويْ: تحلىٰ بالصبر أيها الزعيم، نحن لم نصل لوجهتنا بعد..

ڤان-توراس: ترىٰ ما الذي يدور بعقلك أيها الصغير؟

عقب رايدن بحديثه غاضبًا: لقد مللتُ من هذا الغموض، كفاك لعبًا بعقلي، إن لم تخبرنس الآن إلى أين تأخذنا فسوف أقوم ب..

قاطع كلويْ حديثه قائلًا: عليك التحلّي بالصبر كذلك، ستعلم حين نصل..

رايدن: أرجو أن يقودنا غموضك نحو أمرٍ نافع

كلويْ: ليس نافعًا، بل أكثر! ثقا بي الآن

صمت قليلًا ثم أردف إلى رايدن: هيا اسمح لنا بالعبور..

هز رايدن رأسه مُعبرًا عن عدم فهمه لما قال، فأكمل كلويْ حديثه: حتى ننجو من لعنة أرضكم أنا والزعيم علينا الدخول في حالتَي الحرب أو السلام الشديدين فقط، عليك أن تسمح لنا بالعبور بصفتك الملك الحقيقي للمملكة

رايدن: كيف سأسمح لكما وآسيا هي الملكة؟

كلويْ: طبقًا لقوانين المملكتين.. آسيا خائنة.. وبالتالي سيكون الحُكم المطلق لأكبر فرد يحمل دماءًا ملكية.. وهذا هو أنت يا ملكي

أومأ رايدن برأسه مذهولًا من ثقافة كلويْ وعلمه، ثم نظر إلى أرض نيانوس الشاسعة عبر بوابة السور.. وتحدث بصوتٍ عالٍ: آآه ها نحن ذا.. أسمح لكما بالعبور معي إلى المملكة

وفي ذلك اليوم.. ظل ثلاثتهم في سيرهم نحو المجهول، لا أحد يعلم إلى أين الذهاب.. عدا كلويْ، وبعد الكثير من السير على الأقدام وصلوا أخيرًا نحو وجهتهم، وصار المجهولُ معلومًا بالنسبة للجميع.. ويا ليت المجهول لم يُعلَم..

ڤان-توراس: اااا.. بعد الكثير من الصمت والصبر، جئت بنا إلى قلعة نيانوس الحمراء؟ أسحب كلامي، لست حكيمًا، ما أنت إلا قزمٌ أخرق

كلويْ: أيها الزعيم، تحلىٰ بالصبر والسكوت من فضلك؛ فهذه القلعة ملعونة بالكامل، علينا التعامل بحذر

ڤان-توراس: صدقني إن لم نجد شيئًا مثيرًا للاهتمام سأدع رايدن يسحقُ عظامك

عقب رايدن قائلًا: هممم نعم.. كلامه صحيح

تابع ثلاثتهم السير جوف هذه الملعونة الحمراء، وها هم بالداخل، وبعد بضعِ خطواتٍ فقط وصلوا نحو وجهة كلويْ المرجوَّة...!! إنه عرش آسيا

رايدن: وماذا بعد؟ هل جئت بنا إلى هنا حتى نشاهد جمال عرش الملعونة آسيا؟

ابتلع كلويْ لسانهُ من جديد، وغلب عليه الصمت والغموض، فقط لبضعِ ثوانٍ ليس إلا، وقام بالسير نحو عرش آسيا، رويدًا رويدًا، وقف أمام العرش مُغمض العينين، أخذ يُلوح بيده في الهواء فبدىٰ أمره غريبًا.. وظل هكذا حتى أومضت عيناه ضوءًا ذهبيًّا.. وتحدث رايدن مذهولًا:

- مه..مهلًا أنت.. أهذه ال..

كلويْ: جووووولداااااقيووووسًاااا

رايدن: لاااااا

آنما أطلق كلويْ هذه الكلمة تحولت ألوان عرش آسيا بألوان الجدران للون الذهب كما تحولت عيون كلويْ ورايدن للون ذاته، وظل ڤان-توراس يقف بصدمته يشاهد ما يحدث.. ولم يتدخل لثقته بما يفعله كلويْ أيًّا كان..

تحدث كلويْ بصوتٍ بدىٰ كصوت اللاموتىٰ: ليت يمَا اذثورت رَوا وَيْ لَيو يبديو رتسيد گو رايدانو

وعندما لفظَ كلويْ هذه الكلمات قام رايدن بالسير نحو كلويْ بضع خطواتٍ قصيرة لتؤوب عيونه بالنور أكثر فأكثر، ليرُد بالصوت ذاته لدىٰ كلويْ:

أُدعىٰ رايدن، وليُّ العهد الأكبر، ابن الملك «رايدن»، ابن السيدة «فاران».. إحدىٰ زوجات الملك اللاتي عاشرنهُ سِرًّا، لم يعلم الملك بوجودي أبدًا.. لم يعلم بوجودي أحد، أخفت أمي الأمر عن الملك لأُولدَ آنذلك.. علمت آسيا بأمر زوجاته القدامىٰ، لذا بعد مولد شقيقي «نارو» وأثناء زيارة زوجات الملك له

قامت آسيا بتسميمهم أجمع بذات الغرفة.. كنت مختبئًا آنذلك مُستعملًا قوتي الملكية الخاصة.. كانت والدتي إحدىٰ هؤلاء السيدات، حين مقتل الملك تملكت آسيا الكثير من القوىٰ لتُصبح مفتاح التحكم بعقول النيانيين.. أثناء المعركة التالية للأمر وُضعت جثة أبي بين المقاتلين ليبدو الأمر كموتٍ أثناء القتال، ولم يطُل الأمر حتى توجت نفسها ملكة نيانوس..

لقد غدوت أقوىٰ، وأتوق إلى الانتقام وأسعىٰ، سعيت إلى السفر عبر الزمن للقضاء على آسيا قبل أن تولد، ولكن لم أستطع ذلك.. هنالك قوة خفية تردعني، قوة تتحكم في مسار الأشياء.. خلل في خطوط الزمن وقد أدىٰ لانتقالي لكوكب الأرض، موطن آسيا الأصليْ، وإثر ذاك الانتقال السريع للغاية شُحنتُ بطاقة هائلة فُرغت مني إلى القمر خاصتهم ليتقطع كما الأرواق.. وعند نفاذ طاقتي وجدت الخيوط الزمنية تسحبني ثانيةً إلى كيب لار، لأُدرك ما فعلته آسيا بمغادرتها لزمنها، لقد تقاطع زمنها بزمننا مُحدثً فجوةً أدت لوجود اثنين من آسيا في ذات الوقت.. واثنان مني في ذات الوقت أيضًا

هناك من يتلاعب بخطوط الزمن، هناك خطب ما، لكني لا اهتم به حق الاهتمام، فقط أريد تدمير آسيا، بل وتعذيبها.. لن تُفلت بفعلتها بالموت.

عندما أنهىٰ رايدن تقريره الصادم الطويل عادت عيناه بنفسجية ثانيةً لتعود عينا كلويْ لاصفرارها السيليثوري الطبيعي تباعًا، وكف العرش والجدرات عن الانبلاج ليقع رايدن أرضًا، بينما يقف قان-توراس كالشجرةِ المبتورة

— ويلي...!! من أين نُصدق ما يجري يا عزيزي؟ رايدن من قام بتقطيع القمر إلى أشلاء....!!! وآسيا من قامت بقتل أبوَا رايدن...!! من أين للأزمنة أن تتقاطع بهذه الطريقة الغريبة؟ لربما تكون هذه القوة التي تحدث عنها رايدن هي السبب في ذلك

خرج ڤان-توراس حينئذٍ عن صمته مُحدثًا وزيره: كلويْ...!! ماذا فعلت به؟

رد القزم قائلًا: لا عليك، هذا فقط عهد واحد من عهود كولا الخمسة الخاصة بأسلاف الدماء.. استعنت بها من نقوشهم القديمة.. يطلق على هذا العهد «الحقيقة» ولكن بما أن رايدن ذا نسلٍ ملكيٌ توجب علينا أن نأتي به إلى العرش النياني لنتأكد من صدقه.. وها قد عرفنا ما أردنا أن نعرفه

ڤان-توراس: حسنًا من الأفضل أن تستعد الآن، لأنه عاد إلى وعيه من جديد

نرىٰ رايدن يحاول النهوض من الأرض، وطاقته قد نفذت بالفعل؛ بسبب هذا العهد الأشبه بالتعويذة، وبعد محاولاته بالنهوض نهض عن مربعه أخيرًا، وبدأت قواهُ بالعودة بكل بطء.. قال مُنهكًا:

- خائنان، لقد أصبحت عدوكما بهذه الأفعال

تحدث كلويْ حينئذٍ يملؤه هدوء: بالطبع ارتكبت خطئًا في جعلك تخضع لهذا العهد، لكنك لم تترك لي خيارًا أيها العزيز، أردتُ فقط التفاصيل، وأنت لم تُعطها لي لذا قررت اللجوء لعهود كوبا

رايدن: حسنًاااا، فلتستعد لموتك أيها السافـ*ـل الأزرق!

وآنذاك، حاول رايدن الهجوم على كلويْ ليسحقهُ تحت قدميه، ولكن تدخل الزعيم ڤان-توراس حينها، ومنع نشوب مصارعةٍ داخل قلعة نيانوس

ڤان-توراس: اهدأ.. نحن نعتذر لك، وتأكدنا من صدقك ونيتك.. الآن دعنا نمضي قدمًا إلى آرا من جديد

رايدن: فلتتركني أنت الآخر، لن أغادر قبل أن أسحق هذا الغضروط الحقير..!

ڤان-توراس: لقد قلت فلنمضِ قدمًا إلى آرا، وكفاك غضبًا تحتاج إلى الراحة لبعض الوقت لتستعيد قواك

رايدن: ويلكما مني ويلكما، لولا حاجتي لبأس جيوش آرا لسحقت من عليها

ڤان-توراس: أقدر قواك العظيمة، ولكنها غير موجودةٍ في هذه الأثناء، أنت حليفنا، لو لم تكن لانتهزت الفرصة وسحقتك، لكني لم أفعل

رايدن: يكفي، أخرجني أنت وذلك الحقير من هنا، بالكاد أستطيع الوقوف على قدماي!

ڤان-توراس: حسنًا هيا، ولكن أخبرنـي عن أيِّ قوةٍ تتحدث؟

رايدن: آ.. لا أعلم، وإلا أخبرك لساني تحت تأثير العهد

كلويْ: علينا العودة إلى مملكة آرا أيها الزعيم، إن لاحظ الجميع غيابنا سيسارعون بحثًا عنك

ڤان-توراس: آه هيا إذًا، ولكن لأقول لك يا رايدن، يبدو أنك لم تأخذ شيئًا من جمال السيدة فاران

رايدن: كلمة أخرىٰ وسأقوم بتدمير كيب لار بمن عليه

ڤان-توراس: اهدأأأ.. ها نحن ذا تعال

وها ثلاثتهم يسيرون خارج القلعة عائدين إلى أرض آرا من جديد.. ويبدو أن رايدن قد استطاع إحكام غضبه بطريقة رائعة، وإلا اندك القصر فوق رؤوسهم جميعًا.

****

ـــ قصة أسلاف الدماء ـــ

أسلاف الدماء القدام.. خمس محاربين من النيانيين يشملون «نيان» أقوىٰ محارب بالمملكة البنفسجية النيانوسية، في زمن المحارب نيان كانت مملكة آرا تُعاني من الضعف والركاكة وكانت تلك فرصة النيانيين ليقضوا على من بالمملكة، شُنت حربٌ ضارية مات بها ثمانون بالمائة من سكان كوكب كيب

لار...!! صحيحٌ أن آرا عانت من الضعف.. لكن نسلها الملكي كان كثيرًا جدًا.. عشرات الأفراد يحملون دماءًا ملكية بقوة النسل عكس المملكة النيانوسية؛ تمثل نسلهم الملكي ثلاثة أفرادٍ فقط «الملك- زوجة الملك - ابنهما»

لم تنتهي الحرب بفوز أيٍّ من الطرفين، بل انتهت بأقوىٰ اتفاقية شهدها كيب لار، وهي «عهود كولا الخمسة».. بعد موت كامل محاربي آرا تقدم قواد الجيش النيانوسي الخمسة ووهبوا دماءهم على تراب حدود المملكتين.. ومع الاتفاق بين نسل آرا ونسل نيانوس الملكيَّين قد صُنعت «عهود كولا الخمسة»..

«القوة - الاختفاء - الشفاء - الزمن - الحقيقة» كانت هذه عهود كولا الخمسة، كل عهدٍ يمتلك شفرة من الكلام بلغة الظلال وإن قيلت تؤتي طاقتها الجبارة، صُنعت لألّا يحدث غدر أو اغتيال أثناء هذه الهُدنة، فيما بعد.. اندثرت عهود الدماء من عقول شعب كيب ولا يعلمها إلا أربعة أفرادٍ فقط على هذا الكوكيب.. آسيا ونارو ووزيرا حكمة كيب لار، وزير آرا «كلويْ» ووزير نيانوس «أدولف».

****

مملكة نيانوس بآنتي الكبرىٰ | 2080

هنا..! داخل القلعة الحمراء بمملكة نيانوس الأرضية، مرت أسابيع عديدة على مغادرة نارو وأوغو لجزر آنتي، ولا تستطيع آسيا مقاطعة بحثهما باستدعاء نارو إليها.. لا تريد إفساد عمله، لذا أصبحت آسيا من يُدير أمور المملكة بأسرها..

هناك..! داخل الزنزانة المتواجدة بالقلعة، نرى فتاةً لم تبرح مكانها لأشهر، وحيدة بين طيات الظلام والألم تشاهد رأس ناصفة المقطوعة، تجلس ولا تقوىٰ على البكاء، إنها آيْ.. مازالت داخل الزنزانة، ومازالت رأس ناصفة ترافقها بالداخل، وفي ذلك الوقت أخذت تتحدث إلى رأس ناصفة، أو ما تبقىٰ من رأسها من أشلاء متعفنة غير مترممة.. فحدثتها قائلة:

- لماذا؟ لماذا لم تقتلي أبي؟ إنه السبب فيما حدث لكِ ولأوغو، وآسيا.. لقد دمرت أملي في حياة أفضل، لقد مات أوغو، لم أثق بأحدٍ يومًا كما وثقت به، أحببته بشدة بالرغم أني أميرته وهو قائد للجيوش، وهو أيضًا يحبني، بالتأكيد.. بالتأكيد يحبني، ولكنه رحل.. لم أرَه قبل أن يغادر العالم.. كم تمنيتُ أن أراه ولو لمرة واحدة

وأردفت بعد قليل من الصمت بصوتٍ يختلف عن السابق في شدته: لن أجلس مكتوفة الأيدي هكذا، سأنتقم له أشد الانتقام

نرىٰ آيْ فنلحظ يدها اليمنىٰ تحمل قطعة من الزجاج المكسور، وبدىٰ أنها كسرت إحدىٰ الزجاجات الآتية مع الطعام السيء الذي يُقدم إليها، أرادت الانتقام، ولكن كيف وهي بالداخل؟

خارجًا بالبلاط الملكي نرىٰ آسيا والتي تتربع فوق عرشها كالمعتاد، ومازال ساركان في سُباته الذي طال لأسابيع يستلقي على ظهره بلا حراك على البلاط، بلا ماءٍ أو طعام.. لكنه حيٌّ يتنفس، جسده صار أنحف.. ووجهه صار أشحب، الكثير من اللعاب الأصفر يتساقط من فمه، في ذلك اليوم قررت الملكة أن تحرر ساركان من سُباته العميق، لذا وقفت أمام ساركان بصحبة حرسها الملكي، وأخذت الحديث قائلة:

- يا للمسكين، انظروا أيها الحراس انظروا أليس مسكينًا؟

رد الحرس بأنفاسٍ غير متجانسة:

-نعم نعم إنه مسكين

- مسكين حقًا

- يا له من مسكين

أردفت الملكة: ابتعدوا قليلًا كي أحرره، لا يجوز تركه هكذا لفترة أطول، لقد فاتهُ الكثير بالفعل

ابتعد الحراس عن مربع ساركان حينئذٍ لتقترب آسيا من هذا النائم لتحريره من غيبوبته الطويلة، نشاهد آسيا ضع يدها على جبين ساركان فتتوهج عيناها من جديد، تلفظُ هذه الكلمات الظلالية التي ألقتها سابقًا ليدخل في سُباته، وعندما انتهت من لفظ هذه التعويذة، تتراجع خطوتين إلى الخلف، لتترك ساركان يخرج من سُباته.. ووقتذاك...!! تحرر ساركان كما يتحرر الإنسان من سجنه الطويل، يفتح عينيه لينهض سريعًا من مربعه، وباء بالصراخ والتآوُه..!!! ويبكي دموعًا تكفي لإغراقِ طفلٍ ذو يومين...!! لقد عانىٰ بالفعل، كان نومه ممقوتًا ومؤلمًا.. ومليئًا بتعذيب آسيا له

ظل يصرخ عاليًا بينما تبتسم آسيا كعادتها، بعدئذٍ سارت نحوه من جديد، جثت على ركبتيها وأمسكت ذقنهُ البيضاء الطويلة بيدها لتتخللها أصابعها، وقالت له بنبرة رعب: انظر إليَّ، انظر إلى عواقب أفعالك يا ساركان، صدقني أنت لم ترىٰ شيئًا بعد

ونرىٰ الآخر ينظر إليها نظرة كريهة، ونرىٰ كلاهما يتبادلان نظرت الحقد في سكوتٍ تام.

— إليك يا قارئ..

دعنا نغادر القلعة،

ونغادر المملكة،

بل سوف نغادر هذا الزمن،

فلنعُد إلى الوراء.. إلى الحقيقة الكامنة.

مارس 2044 | أمريكا الشمالية

في مشهدٍ مليءٍ بالإثارة والحماس.. تبعهما التشويق، نرىٰ العميل ساركان مايلز يحمل مسدسه في يديه واقفًا خلف أحد الجدران بالمستودع المهجور، ذاك الذي يُؤسر عثمان بداخله، ويحاول الاقتراب أكثر فأكثر دون أن يراه رجال الأعور رافاييل، وبمجرد دخوله إلى إحدىٰ المربعات بالمستودع رأىٰ عثمان مذبوحًا على الأرض بدماءٍ دافئة لم تبرد بعد...!! كذلك رأىٰ الأعور يقوم بأمر رجاله بشيءٍ ما لكنهُ لم يستطع أن يسمع ما قاله؛ لذلك قام ساركان بالخروج بسرعةٍ تفوق سرعة رجال الأعور، وانتظر خارجًا إلى أن يظهر الأعور أو رجاله وقد ظهروا بالفعل، وآنذاك.. نرىٰ الكثير من السيارات، سيارة تأخذ الأعور بعيدًا عن المكان، وسيارات كثيرة لرجاله، وأيضًا سيارة أخرىٰ بها أربعة رجال من رجاله يرتدون ثيابًا مدنية عادية يسحبون طفلة صغيرة تجهش بالبكاء أثناء سيرها، وعندما رأىٰ العميل ما رآه.. قرر أن يُنقذ الطفلة أولًا ثم يذهب لملاحقة الأعور

وها هنا يتسلل العميل ساركان بين أشجـار المكان وصولًا إلى سيارتهم، وينجح بالتسلل نحوها، وقبل أن يُدغم الرجال داخل السيارة قام ساركان بالدخول إلى حقيبة السيارة أولًا، وبعده أتىٰ الرجال الأربعة يسحبون الفتاة الصغيرة، وغادروا المكان بالسيارة.. من المفترض أن يقوموا بترك الفتاة في أحد الملاجئ البعيدةِ كما أمرهم الأعور، ولكنهم لن يقوموا ذلك؛ أثناء القيادة قرروا فيمَ بينهم قتل الفتاة عوضًا عن تركها؛ حتـى لا تخبر أحدًا عما رأته، وأثنـاء القيادة على ذاك الطريق الصحراوي يُخرج أحد هؤلاء السفلة سلاحًا أبيض من جيبه، ويُقدم على طعن الطفلة به..! وقبل أن يوجه سلاحه صوبها ركل ساركان حقيبة السيارة بكلتا قدميه ليخرج نصف جسده منها دلوفًا إلى الكراسي الخلفيه..! ويقتل ثلاثةً من هؤلاء المتوحشين بسلاسة وسرعة..! ثم هبَّ ناحية السائق ووجه سلاحًا صوبَ رأسه، وأمرهُ بالتوقف فورًا.. بعد توقف السيارة شكرهُ العميل ساركان على طاعتـه، ثم سحب إصبع السبابة ليقتله..!

وفي الكراسي الخلفية تجلس الطفلة الصغيرة.. مذعورة خائفة.. لُطخت ثيابها بدماء هؤلاء الوحوش وتجهش بالبـاء من شدة الذعـر، وعندما رأىٰ العميل ساركان بُكاءهـا أقدم على زرعها بالطمأنينة قائلًا: مهلًا مهلًا.. عزيزتي، صغيرتي ما الخطب؟

الطفلة الصغيرة: لق.. لقد ماتوا

العميل ساركان: لا عليكِ يا صغيرتي، هؤلاء أُناسٌ سيئون، توجب عليَّ معاقبتهم على الفور كي لا يتأذىٰ أحد

الطفلة الصغيـرة: ول.. ولكن هَ.. هل.. هل كان أبي سيئًا

تنهد قليلًا لا يعرف ما يقوله للفتاة، ومن ثم اقترب منها فضمها إلى صدره وأخذ يلاعب شعرها ويقبله قائلًا: لا تحزني يا جميلتي، أنتِ في أمانٍ الآن

قالت الصغيرة باكية: هَـ.. هل سيعود أبي؟

رد ساركان قائلًا: اهدئي يا حبيبتي.. سنحاول إيجاده فربما اختطفه هؤلاء الأشرار، الآن علينا الذهاب بعيدًا عن هنا، تعالَي معي..

وإبان تلك الأحداث.. خرج العميل ساركان من السيارة وبيده الطفلة الصغيرة التي كفت عن البكاء أخيرًا، تاركًا الجثث الأربعة داخلها، ومن ثم سار ببطءٍ إلى الأمام ليُخرج هاتفه الغريب الخاص، وأجرىٰ مكالمة مع أحد المسؤولين بمنظمة عين «آيْ» السرية..

العميل ساركان: إنه 22-24، أمامكم الإحداثيات.. لدي مهمة

المسؤول بالمنظمة: عُلم، سنصل خلال دقائق

أخبره الرجل عن منطقة مجاورة لذلك الطريق ثم أغلق المكالمة، وآنذلك.. يغلق العميل ساركان هاتفه فينظر للطفلة الصغيرة، جثم على ركبتيه.. وابتسم لها قائلًا: حسنًا يا صغيرتي، علينا الخروج من هنا، هل بطلتي مستعدة؟

الطفلة الصغيرة: هل سنذهب سيرًا بدون سيارة؟

رد مبتسمًا للفتاة: لا تقلقي، لديَّ وسيلة ستدهشك

وآنئذٍ اصطحب ساركان الطفلة سيرًا على بعد كيلومترات ليصلا أخيرًا إلى وجهتهما، وهناك.. نرىٰ طاقمًا غريبًا من منظمة عين...!! يرتدون ثيابًا بالأبيض والأسود، وكافتهم يرتدون أقنعةً على وجوههم، يحملون الأسلحة أثناء وقوفهم، وفور وصول ساركان بالطفلة تهبط طائرة مدرعة من الأعلىٰ لتُصبح على اليابسة، وما أن هبطت دلفت قوات المنظمة إليها، نظرت الطفلة إلى الطائرة نظرة تعجب، وحدثت ساركان بذهول قائلة: واااااو..! هل سندخل معهم حقًا؟

العميل ساركان: هه.. أتريدين القيادة؟

الطفلة: كلا يكفيني الجلوس قرب إحدىٰ تلك النوافذ لأشاهد من الأعلىٰ خلالها، لم أشاهد طائرةً بهذه الروعة من قبل

رد حينئذٍ مبتسمًا: هيا بنا إذًا

وآن دخولهم تُقلع الطائرة بسرعةٍ هائلة.. وتجلس الفتاة الصغيرة بجانب ساركان ناظرة من النافذة، تتوسم جمال المنظر مفتوحة العينين والفم.. وقالت بذهولٍ أكبر: رااااائعععع

حدثها ساركان قائلًا: أتريدين أخذ قسطٍ من النوم؟ مازال طريقنا طويلًا.. آآه طويلٌ جدًا نوعًا ما

الطفلة: نعم، سأخلد إلى النوم.. ولكن لا تتركني إلى نومي؛ لم أستكفِ من جمال النوافذ بعد

ضحك إلى الفتاة ضحكاتٍ جذلة، وقال بين بسماته: حسنًاا هيا الآن، هاتِ رأسكِ على كتفي

وبعد دقيقةٍ أو دقيقتين شعرت الطفلة المُنهكة بالنعاس، وقبل خلودها إلى النوم طرحت سؤالًا يجوب ذهنها على ساركان، حدثته بنُعاسها قائلة:

- عذرًا أيها المحقق، هل يمكنك أن تخبرني اسمك؟

ساركان: ممم حسنًا لم لا؟ اسمي ساركان

الطفلة: وهل هذا اسمك الحقيقي؟

ساركان: نعم، لماذا لا يكون؟

الطفلة: لا أعرف، عادةً ما يكون الرجال الخطرون حريصين على إبقاء أسمائهم سرًّا

ابتسم قائلًا: هِيي هِيي مهلًا..! لستُ خطرًا، أنا فقط أحارب الأشرار، ولكن صدقيني والدكِ عثمان ليس شريرًا، ولا والدتكِ نرجس أيضًا، جميعهم أُناس جيدون

وأردف عندما رأىٰ الفتاة تغمض عينيها: مهلًا حان دورك، ما اسمك يا طفلتي الحلوه؟

هذت الفتاة بنعاسها بعض الكلام الذي لم يفهمه، فابتسم ساركان مقتربًا بأذنه نحو الفتاة، وهمس لها: هاه قولي ثانيةً.. أنا لم أسمعك

ردت الصغيرة بينما تُفتح وتُغلق عينيها بصوتها الدافئ الناعس: اسمي..

اسمي...

.

.

.

اسمي آسيـا..

(8) ذراع واحدة وبلايين الأزمنة

مارس 2044 | بابل بالعراق

هنا بإحدىٰ بقاع بابل منشأ العالم رشيد نرىٰ هبوط طائرة «عين» المُدرعة في تلك البقعة، وجوفها ذلك الطاقم من المنظمة، العميل ساركان وأيضًا الطفلة آسيا التي أيقظها ساركان توًا لوصولهم لوجهتهم المرجوَّة، وبعد هبوط الطائرةِ على يابس الأرض تخرج آسيا يدًا بيد ساركان إلى الخارج، نراها وقد بدلت ثيابها الملطخة بالدماء بعباءة سوداء نظيفة، وآن خروجهم تأتي سيارة سوداءَ على الطريق.. ويذهب العميل ساركان إليها صُحبة آسيا الصغيرة، بينما تعود الطائرة المدرعة أدراجها بطاقمها لألّا يلاحظها أحد من المدنيين..

وها هو العميل يقود السيارة السوداء، وتجلس آسيا الصغيرة بجانبه تدور بذهنها آلاف الأسئلة المبهمة، حدثته بفضول:

- قل لي يا ساركان، هل تأخذني إلى ملجئٍ ما؟

ساركان: كلا يا صغيرتي، سوف آخذكِ إلى مكان أأمنَ من هذا، لكن علينا الذهاب إلى مكان آخر أولًا

آسيا: وإلى أين الذهاب؟

ساركان: ستعرفين حين نصل

يتابع ساركان قيادته نحو وجهته المرجوة.. ألا وهي ذاك المنزل القديم الذي ذكره رشيد.. لا نعلم ما الذي يخطط له ساركان، فبعد موت عثمان والد آسيا سيتوجب عليه الدخول إلى تلك الآلة بنفسه وجسده، أثناء قيادته عاود الاتصال بالعالم الأحمر، ولكنه لا يرد.. يعاود الاتصال مرارًا وتكرارًا ولكن لا رد لكالماته.. حينها أغلق الهاتف وأكمل قيادته..

في مشهدٍ آخر، داخل المنزل السري بصحراء آنتي الغربية، نرىٰ رشيد الأحمر، يُحطم هاتفه بعد مكالمات ساركان.. ومن ثم يشرب فنجان القهوة خاصته.. ويسير ببطءٍ صوبَ الغرفة السرية والتي تحوي الآلة بداخلها، سحب الذراع الخشبية لينفصل الجدار عن الغرفة ثم يدلف الأحمر إلى داخل الغرفة فينغلق هذا الجدار وراءه، ينظر إلى الآلة خاصته بعد إزالة هذا الغطاء، ونرىٰ جميعًا تلك الآلة ثانيةً، بإصدارها الجديد.. وقد صنعها رشيد خصيصًا من أجل استعادة زوجته أبرار، ولكن هل سينجح؟

نراه يحدث نفسه باستمرار قائلًا: أنا آتٍ يا أبرار، لن أتركك، لن أتركِ للماضي، سأُعيدكِ لحاضري الأليم؛ ليصبح سعيدًا كما كان

وآنما قام الأحمر بضبط كافة إعدادات وتجهيزات آلته بدأ بالنظر إلى الأسوارة التي بيده، يتمعن النظر بها، ثم يبتسم..! تدمع عيناه شوقًا إلى زوجته، وبعد قليل من ذلك، سارع بالاستعداد للدخول إلى تلك الآلة الزمنية، واقفًا بكل شجاعةٍ ومهابة..

بالمشهد التالي، نرىٰ العميل ساركان مايلز، وقد توقفت سيارته توًا أمام المنزل القديم يُمسك يد آسيا ويدخل إلى ذلك المنزل، يسير خطواتٍ إلى الأمام؛ ليتفقد

غرف المنزل القديم.. وبعد دقائق من البحث وجد العميل ساركان غرفةً محكمة الإغلاق، كانت تلك التي وصفها رشيد له مسبقًا، قرر أن يكسر باب هذه الغرفة وبالفعل انكسر الباب بركلة قوية من قدمه، وما نراه خلف هذا الباب المكسور لتوّه.. آلة زمنية أخرىٰ، وتلك التي تحدث الأحمر عنها بالمكالمة، عندنا رأىٰ العميل ساركان تلك الآلـةَ الغير مألوفة، تذكر قول العالم رشيد:-

"سوف تُنفذ عثمان، وإن فشلت في ذلك، عليك الدخول بنفسك إلى تلك الآلة الزمنية.. أريد أن يدخل الشخص الصحيح إلى تلك الآلة الزمنية، وأنت ستصبح كذلك"

وآنذلك تساءلت آسيا عن أمر ذاك الشيء الغريب فبدأ بطرح أسئلتها على العميل ساركان للمرة الألف..

- ووااو، أيها المحقق هل هذه آلة للزمن؟

رد في ذهول: هما.. مهلًا ماذا؟

آسيا: إنها تشبه آلة الزمن، كما في الأفلام والكتب الخيالية

ساركان: انظري يابنتي.. هذه الآلة خطيرة للغاية لذا عليكِ البقـاء خلفًا، خذي هاتفـي.. العبـي به وتراجعي قليلًا كي أتفقدها جيدًا

ابتعدت الفتاة عن مربع هذه الآلـة بينما تتأفف قائلة: آآآه حسنًا أنت ممل.. لمَ لا تدعني أقترب منها؟ إنها مجرد مكعبات حديدية متلاحمة

ساركان: لأنها خطيرة كما أخبرتك، والآن كُفي عن طرح الأسئلة وابدئي باللعب إلى أن أنتهي

وها العميل ساركان يتفقد أطراف الآلة، يلمسها ويحاول إيجاد أزرار للتحكم أو ما شابه.. بينما تعبث آسيا بهاتفه وتلعب به، وبعد القليل من البحث الجيد.. يجد ساركان لوحةً تملؤها الأزرار الملونة، بعضها مضيءٌ والآخر منطفئ، وآن اللحظة يوطد العميل ساركان عينيه على أكبر هذه الأزرار، زر منطفئ ذا لونٍ أحمر، محفورٌ عليه كلمة «بدء» باللغة اللاتينية، وخلف ساركان.. نرىٰ آسيا ذات الشعر الأسود الجذاب.. وقد قررت ترك اللعب لتخُض ساركان كما كانت تفعل مع أفراد عائلتها دائمًا، وضعت هاتفهُ بيدها الأخرىٰ، وتسللت ببطءٍ من خلفه لألّا يراها وتُفسد الأمر.. بينما يلمس هو ذاك الزر بإصبعِه، وفور اقترابها منه، أمسكت بأسفل قدمه بينما تصرخ بإزعاج: عاااااا

وعندئذٍ جزع ساركان ليُرج جسده من التوتر، وإثر ذلك ضغط بإصبعه زر البدء عن طريق الخطأ.. وتضحكُ آسيا الصغيرة بالخلف بينما تقول له: هاهاااهه لقد أخفتككك

ساركان: يا للهول ماذا فعلتِ..! لقد ضغطتُ الـ... علينا الخروج على الفور

آسيا: ولم علينا الخروج؟ إنها فقط تضـ...

وقبل أن تُكمل الصغيرة جملتها حدث ما هو مألوفٌ ومؤلم، ذلك الحادث كان أشبه بما حدث مع زوجة رشيد...!! لقد تحولت الآلة إلى مغناطيس قويٍّ آخر..! فسحبت كلًّا من ساركان وآسيا؛ فالعميل ساركان يحمل مسدسًا في جيبه، والفتاة الصغيرة تحمل هاتفه بيدها، وفي لحظاتٍ قليلةٍ جدًا قامت الآلة الزمنية بسحبِ

آسيا أولًا لتدلف آسيا للآلة وتلتصق بها فيهبط بابٌ زجاجي يحاصر آسيا، وحينئذٍ حاول ساركان فتح ذلك الباب فلم يقوىٰ على ذلك

وبالطرف الأخير من الكوكب نشاهد رشيد داخل آلته.. والعد التنازلي للسفر عبر الزمن على وشك البدء، يقف ذا الذراع الواحدة داخل آلتهِ مغمض العينين

بالجهة الأخرى باءت الصغيرة بالنواح باكية: كلَّا أنا خائفة..! ساركان ساعدني اخرجني بسرعة إنها تسحب شيئًا بداخلي..!

تحدث ساركان مرتعبًا على الفتاة: أنا أُ..حاول .. إنها فقط

بكت آسيا قائلة: سأتقيا قلبي أرجوك.. أرجوك

وأثناء المشهدين، وفي ذات اللحظة بالمعنىٰ الحرفي بدأت الآلتان عدهما التنازلي معًا..

- يُنصت العالم الأحمر لأصوات العد التنازلي بالآلة

- تُنصت آسيا وساركان إلى ذات الأصوات المخيفة

— عشرة.. تسعة.. ثمانية.. سبعة..

آسيا: أرجوك افعل شيئًا أرجوك

تزداد الآلتان سطوعًا بالضوء، ليتراجع ساركان إلى الخلف لصدور موجاتٍ تُقصيه..!

— ستة.. خمسة.. أربعة..

نرىٰ ساركان مبتعدًا عن الغرفة، يختبئُ خلف أحد حوائط المنزل.. ونرىٰ الصغيرة آسيا تتوسل إليه ليعود.. ظنته قد فر وتركها لتهلك بالداخل..

— ثلاثة.. اثنان.. واحد..

— صفر.

في صوتٍ ضعيفٍ منخفض يملؤه الأنين، بكت الصغيرة وبصوتها الداخلي تقول:

أيها المحقق أرجوك.. لا تتركني..! ساركان..! أمي أين أنتي..! أبي ساعدني يا أبي..! عمتي أبرار أين أنتي..! عمي رشيد أرجوك..! أرجوكم فليُخرجني أحد

— في المشهد الأحزن على الإطلاق، نرىٰ آسيا ورشيد كُلٌّ في آلته بين الضوء والشرارات المُنبعثة.. تبكي آسيا داخل آلتها التي توشك على الطوْفان، ويبتسم

رشيد لتوقه لونسية دربه..! بينما يظل ساركان مختبئًا خلف الجدار لتفادي هلاكه، يمر بأسوأ يومٍ في حياته لعجزه عن إنقاذ الفتاة..

— تقوم الآلتان بالاندكاك داخل الغرفين..! تترجرج جزيئات أجسادهما..! أدىٰ ذلك إلى تناثر دمائهما وتطايرها صوبَ حوائط والأرضية، وبعد ثوانٍ معدودةٍ من صراخ ونواحِ عالمنا الجليل وطفلتنا الجميلة يختفي كلاهما بذات اللحظة..! لا يبقىٰ لهما أثر غير حطام الآلتين وبعض الدماء..

— بعد قليل نرىٰ المنزل بآنتي يُحاصره الأعور برجاله باحثين عن رشيد.. لم يجدوا إلا آلةً محطمةً ودماءً متناثرة.. وبمشهدٍ موازٍ بالفضاء قد أتىٰ رايدن والءي خرج عن السيطرة فتفرغ قواه نحو القمر.. وحينئذٍ تقطع قمرنا إلى أشلاءٍ من الصخور الجبارة، وما تبقىٰ من الأحداث نعرفها بالفعل.

****

مملكة نيانوس بآنتي الكبرىٰ | 2080

ها وقد عدنا ثانيةً إلى البلاط الملكي بالقلعة الحمراء، وأمام عرش نيانوس الأرضية نرىٰ الحرس مُصطفين منذ وقتٍ حول ساركان والملكة آسيا، والتي

مازالت تمسك بذقنه وتؤلمه بذكرياتها.. حدثتها ساركان بصوته المنتحب الضعيف قائلًا: آسيا...!! لماذا فعلتِ كل هذا بي؟

فردت باسمة: أظن أنك ذكي بما يكفي لتعرف، قلت لي منذ زمن أنك لست خطيرًا.. أنت فقط رجلٌ يعاقب الأشرار على فعلتهم، في الواقع.. اقتديتُ بك، أنا أعاقبك لما فعلته بي..

ساركان: لم أتركِكِ داخل الآلة.. إن كسرت باب الآلة حينها لما كنا على قيد الحياة حتى يومنا هذا.. لم أُرِد أن نلقىٰ مصير عمتك أبرار

آسيا: ليتك تركتني يا رجل ليتك.. صار الموت حلمي منذ تلك الحادثة، لم أعُد تلك الطفلة البريئة.. لم تعُد مشاعركم البشرية بداخلي.. ولن تعود ثانيةً

ساركان: آسيا.. لستِ وحدكِ من تمنىٰ الموت.. لقد حاولت إنقاذك آنذاك.. وعندما فشلتُ في ذلك وتمزق القمر إربًا إربًا فقدت الأمل وحاولت الانتحار.. لكني فشلت في الأمر كما فشلت في إنقاذك

ـــذاك الرجل مفتول العضلات ببذلته السوداء.. ذاك الذي فقد وعيه بعد اختباءه في منزل رشيد القديم.. وحاول الانتحار بسلاحه فور خروجه إلى شوارع البلدة المدمرة.. لم يكن غريبًا عما حدث، لقد كان العميل 22-24، كان ساركان منذ البداية..!

آسيا: لا تستحقه، لا تستحق الموت السريع بعد كل ما فعلتهُ بي

أخذ ساركان يسعل ويتآوه من آلام رأسهِ لثوانٍ، ثم حدثها بقوله: كفاكِ خلقًا للتراهات يا آسيا، ربما كنتِ ضحيةً لهذه الآلة، وربما لم يكن الزمان عادلًا بما يكفي حتى أتىٰ بطفلةٍ صغيرةٍ إلى كوكبٍ فضائيٍّ ولكن..

آسيا: الزمان؟ لا وجود للزمان القديم، لقد أصبحت فجوةً في الزمن تعيق سائر المخلوقات على الأرض وعلى سائر الكواكب الأخرىٰ

نظر إليها ساركان ثم حدثها بعد قليل من الصما: خمسٌ وثلاثون عامًا منذ انشقاق القم وكل أمور البشر تقع على عاتقي، كما أنني حاولت نسيان الماضي، خمسٌ وثلاثون عامًا ولم يمر يومٌ إلا وتزورني ذكراكِ قبل خلودي إلى النون، لقد عانيتُ يا آسيا، لم أكن شخصًا سيئًا، لقد حاولت.. حاولت وفشلت

آسيا: عندما تتحدث عن المسؤولية والذنب وتأنيب الضمير هل تظنني سأترك عيناك لتُبصر بهما شيئًا من الرحمة بعد ذلك؟ صدقني سوف أجعلك نكرة، بل أسوأ.. سأجعلك تبكي دماءك الملوثة كلها إلى أن تنفذ

أخذ ساركان يتألم ثانيةً إثر تلك الكوابيس التي راودته آنَ سُباته، ثم استجمع ما تبقىٰ منه وقال: آسيا.. أين هي آيْ؟

أجابت بينما تلعب بأصابعها: في الزنزانة بالطبع

ساركان: زنزانة؟ لماذا تمكث ابنتي في زنزانة؟

آسيا: لتنظر إلى رأس ناصفة ما حيَت

ساركان: رأس ناصفة..! ما الذي؟

قاطعته آسيا قائلة: حاولت تلك الخادمة قتلك، كما أن ابنتك العزيزة من قام بتدبير هذا الأمر

نظر ساركان إلى عينَي آسيا، وحدق فيهما للحظات، ثم وقف على قدميه ببطءٍ ليخطو نحوها.. ليهمس بها بنبرته المخيفة قائلًا: آسيا.. إنك تتألمين، أقدر شعوركِ بالألم ولكن..

قاطعته وهاجت به: أنا لا أتألم..! ولا أشعر بالشيء، بل أنا ملكة الشيء، وملكة كل شيء، ابنتك خائنة، ما أنا إلا فاعلة للخير، لم أُرد تركك للسم الذي بداخلك لذا... أنقذتك، هكذا نرد الجميل؟

ساركان: لم أصدق أكاذيبكِ عن ابنتي، ولكن.. أخبريني يا آسيا إن كان هذا صحيحًا لماذا أنقذتني من مرضي كما ذكرتِ للتو؟

آسيا: أخبرتك بالفعل يا عزيزي، لن أدعك للموت بهذه السهولة.. عليك أن تلقىٰ ما لقيته أنا أولًا، على الأقل لن تُفلت مني بلا عقاب

نظر ساركان إلى الحراس من حوله، ثم عاود النظر إلى الملكة فرفع ذراعيه أمام آسيا قائلًا: حسنًا، ها أنا ذا، فلتُلقِ بي داخل هذه الزنزانة؛ حتى ألقىٰ عقابي

وعندئذٍ ضحكت هذه الملعونة بشدة لتدمع أعينها من فرط ضحكه، وبعد الكثير منه أخذت تمسح عينيها بأصابعها بينما تقول: لا أصدق، كم أنت مُسلٍّ يا ساركان..!

وأردفت بوجهها الآخر: هل تظنني هذه الطفلة التي تركتها إلى آلة الزمن؟ هل أبدو لك طفلة حتى أضعك في زنزانة لتأكل وتشرب وتتغوط كما يحلو لك؟

ساركان: أظن أنكِ لن تقتليني لذا.. اعتقدت أن تركي لأتعفن بإحدىٰ السجون الفضائية سيكون أفضل

آسيا: نحن لسنا في الفضاء، ما زلنا بآنتي.. وهذه القلعة شيدها شعبي في دقائق فقط من إعلاني ملكة هذه الأرض، أما عن عقابك أنت، أعتقد أنه من الأفضل لي أن أُعيدك إلى سُباتك المرير

نظر ساركان نحو آسيا بعيونٍ يغنيها التذلل، عيونٌ تتعطش إلى الرحمة، جثىٰ على إحدىٰ ركبتيه، ثم على الاثنين.. ضم يديهِ معًا ووضعهما على صدره باكيًا متذللًا إلى ملكة نيانوس قائلًا: أرجوكِ لا تفعلي سأفعل ما بوسعي لتُسامحيني يا صغيرتي

وأردف متلعثمًا: أقصد يا ملكتي

آسيا: لا تنتظر عفوي، بل انتظر موتك، لن أستطيع تعذيبك ما دُمت ميتًا أيها العجوز، كفانا حديثًا الآن، حراس..! خذو العجوز إلى زنزانةٍ تجاور زنزانة ابنته، واحرصوا على بقائه حيًّا؛ لا أريده أن يموت على يد ابنته، لن يقتله أحدٌ سوايَ أنا

وها هم الحراس يأخذون العجوز ساركان ومن ثم يغادرون الصالة الملكية ذهابًا إلى الزنزانة، ونرىٰ الملكة آسيا ابنة عثمان ترقص حول عرشها بينما تدور حول نفسها بطريقةٍ طفولية، وتستمر بالرقص إلى أن غادر الحرس البلاط الملكيٌ.

****

كيب لار | الصالة الملكية بقصور مملكة آرا

إذًا ها نحن.. بعد مرور أسابيع من إلقاء كلويْ عهد الحقيقة على رايدن، وقد استعد جيش آرا أتم الاستعداد لمواجهة آسيا وشعبها البنفسجي الأسمر، ها الجيش يكون صفوفًا تمتد امتداد البصر.. يحملون أسلحتهم بأيديهم ورقابهم، بدىٰ أنه أوان مغادرتهم للكوكب ذهابًا إلى توأمهِ الأرضي، نرىٰ الزعيم ڤان-توراس يسير نحوهم حاملًا درعهُ الماسيَّ المتين برفقة وزرائه وأُمرائه، جُل سكان آرا جاهزون لمواجهة آسيا؛ هي ليست مجرد أُنثىٰ من البشر، بل إنها لعنةٌ أصابت جميع من اعترض طريقها المفتقر إلى الرحمة..

ها زعيم بني سيليثور العظيم يقف صوبَ الجيوش العريقة خاصته، رافعًا رأسه إلى الأعلىٰ.. يقف بكل ما أوتيَ من مهابةٍ وشموخ لينحني بني سيليثور إليه.. يلقون السلام على زعيمهم مزمجرين في آنٍ واحد: دمائي ودماء أسلافي للزعيم القديم.. قاهر الأعداء.. الزعيم ڤاان-توراس

وبعد التحيات الطيبات يقف الجميع على أرجلهم من جديد، ونرىٰ كلويْ.. ذاك الوزير القزم.. يُمسك بمخطوطة تملؤها الكلمات، يسير نحو الزعيم، ويعطيه هذه الورقة قائلًا: أيها الزعيم، لقد جهزت خطاب جلالتك للجيش، يمكنك إلقاء كلمتك الآن

فردَّ عليه الزعيم قائلًا: لا حاجة لي بخطابٍ أيها الغضروط، هم يعلمون الخطة، ويعلمون ما يتوجب عليهم فعلُه..

وأردف بعلو صوته: سيليثور...!! ايتها الجيوش البائسة العريضة...!! لا حاجةَ لي ولكم بكلماتٍ حماسية وما شابهها، نحن القوة والنصر، ونحن من سنقتل النيانيين أجمعين ونبر..

رايدن -مقاطعًا حديث ڤان-توراس-: هِيي..! لن نقتل شعبي، سنقضي على من أبىٰ حُكمي منهم فقط

ڤان-توراس: نعم هذا ما قصدته (بالطبع) والآن كفانا هراءً ولنذهب إلى آسيا..

- كلووويييْ!!

كلويْ: لا حاجة للصراخ، أقف خلفك بخطوتين

ڤان-توراس: أعلم ذلك، أنا.. أردت استجلابَ حماسك ليس إلا

كلويْ: كُلي حماسٌ يا زعيم، لكن دعني أدخر ما تبقىٰ من حماسي إلى أن ندلف بمجرتهم

ڤان-توراس: آمل أن نصل سريعًا بخفية، إن علم نارو بمجيئنا سنواجه العديد من المتاعب

كلويْ: لا تقلق أيها الزعيم، سيكون النصر حليفنا إن سار للجميعُ على النهج والخطة، وسنصل بوقتٍ قياسي؛ بفضل وجود رايدن بنسله الملكي وقوته التي تُضاعف قوة أخيه سنستطيع الوصول إلى الأرض في غضون سنة أرضية أو سنتين.. والآن.. لا نُهدر ما تبقىٰ من الوقت أليس كذلك؟

ڤان-توراس: أنت محق، آاام.. هياا.. لا ليس هكذا

أخذ الزعيم يُحكم قبضة يده فرفعها إلى الأعلىٰ ليضرب الهواء بها بينما صرخ بجيوشه قائلًا: قفوا..! استعدووواا...!! كرّسوا قلوبكم من أجل النصر.. من أجل موطن سيليثور.. لأجل آراااا...!!

فصاحوا تباعًا بآنٍ واحد: لأجل آراااا...!!

سار رايدن خطوتين صوبَ الجيش ليصبح بجانب ڤان-توراس، نظر إلى كافة الجنود بتمعُّن ثم صاح بهم: فليدخل الجميع إلى مركباتهم الطوافة عند إشارتي.. تأهَّبوا .. استع..

قاطعه ڤان-توراس رافعًا قبضة يده من جديد: انطلقووووا..!!

ـــفورَ أمر ڤان-توراس هب من بالجيوش مسرعين إلى مركباتهم التي تشكت بهيئةٍ تُشابه هيئة سفن النيانيين لكنها أكبر..! كانت خاصتهم تفوق خاصة النيانيين عددًا وسرعة، بتنا على موعدٍ مع أشد ملحمة شهدتها مجرة درب التبانة على الإطلاق..!

ها المركبات السيليثورية تسارع بمغادرة توأم الأرض كيب لار حاملةً الزعيم ڤان-توراس.. رايدن عزيز النيانيين الأكبر وملكهم الحقيقي.. كلويْ قزم الحكمة.. جُل الوزراء والأمراء وأيضًا جيوش آرا، جميعهم داخل هذه المركبات الحوامة..

والآن بتنا في سفينة الزعيم، نراه بمقدمة السفينة بالقرب من السيليثوري الذي يقودها، ونجد زعيمنا واضعًا كلتا يديه خلف ظهره واقفًا أمام حائط شفاف من مادة تُشبه الزجاج لكنها أرقُّ وأمتن؛ ليتوسم جمال الفضاء وروعته؛ فنحن لا نرىٰ جمال المجرات النائية عن كوكبنا كل يوم.

****

ـــ فلنترك ڤان-توراس لنجومه وكواكبه، فلنترك هذه المجرة وما قاربها من مجرات، فلنذهب إلى مكانٍ ليس بمكان، وزمانٍ ليس بزمان، سآخذك إلى شخصٍ ما هو بشخص، ما ليس ببعيدٍ أو قريب، إلى ما وراء الحقيقة.. وما وراءها لن يكون سوىٰ إنعكاسٍ لما لم يطرأ على ذهن إنسان..

مكان مجهول | زمان مجهول

— حدِّق..! المكان.. إنه أشبه بمكعبٍ متحركٍ مظلم، وداخله.. إنها خيوط أو خطوط لا تُعد ولا تُحصىٰ، بلايين الخطوط الغريبة، بل أنها بلايين البلايين..! بل أكثر...!! بل أكثر وأكثر....!!! كلها تتحرك باستمرارٍ داخل المكعب المظلم.. تدور حول مركز ذاك الشيء

— انتبه..! رأيت أقدامًا ما..! هناك...!! تتجول في أنحاء هذه البقعة السوداء، ها هي الأقدام تسير بين الخطوط الغريبة، لحظة.. هل هذا؟ إنه.. إنسان...!! مهلًا ليس إنسانًا عاديًّا.. انظر.. لديه ذراع واحدة فقط..!!! انظر في ذراعه الموجوده إنها.. إنها الأسوارة نفسها...!!!

لا يمكن..! إنه حي إنه..

إنـه...

رشيد؟!!

(9) مـارسـيلا

مملكة نيانوس بآنتي الكبرىٰ | 2080

داخل القلعة الحمراء نرىٰ حراسًا يقودون ساركان مباشرةً إلى زنزانته، وتلك الزنزانة متلاصقةٌ مع الأخرىٰ التي تؤسر آيْ بين جدرانها وها هم الحراس يقذفون العجوز ساركان الذي لم يتوقف عن السعال داخل زنزانته الوضيعة، ثم أغلق أحدهم باب الزنزانة بقفلٌ من الماسِ والحديد كي لا يُكسر..

وبعد لحظات قليلة.. غادر الحراس عودةً إلى البلاط الملكي آسرين ساركان، وظل حراس الزنزانة كما هم لا تغفىٰ أعينهم البنفسجية عن التحديق بأطراف الزنزانة، على الرغم من محالة الهرب لكن الاتياط واجبٌ بكل شيء، خاصةً إن تعلق الأمر بالمملكة النيانوسية وملكتها..

بعد القليل.. كسر ساركان ذاك الصمت الذي ملأ الزنزانة قبل دقائق، ونادىٰ بصوتٍ هادئ: آيْ؟ هل أنتِ هناك؟

وملأ الصمت زنزانته من جديد، لم ترد آيْ بالرغم من سماعها لندائه، وبعد دقائق أخرىٰ عاود ساركان نداءهُ من جديد.. ولكن هذه المرة بصوتٍ عالٍ كاد أن يثقب أذن الحراس.. صرخ قائلًا: آاااايْ؟

وفور مناداته لابنته باءَ بالسعال من جديد، وتقدم أحد الحراس بضع خطواتٍ إلى باب زنزانته ليصيح بالعجوز قائلًا: إن لم تصمت سآخذ رأسك وأضعها بجانب رأس خادمتك، اصمت...!!

نظر إليه ساركان نظراتٍ تمتزج بالعجز والكراهية.. ثم طأطأ رأسه حزنًا يُطيع أوامره ويصمت، وبعد ذلك.. عاد الحارس للوقوف إلى مكانه الطبيعي، وهناك..!! داخل الزنزانة الأخرىٰ نرىٰ آيْ والتي تدفن رأسها بين ذراعيها.. شاكيةً باكيةً تُحدث نفسها بهدوء، وتقول مرارًا وتكرارًا: لماذا؟ لماذا لم يقتلوني مع أوغو.. لماذا؟

صمتت قليلًا بعد الكثير من البكاء.. ثم وقفت على قدميها اللاتي تؤلمانها بشدة، ودفنت هذه الآلام داخلها دون بكاءٍ أو تآوه.. وعندئذٍ التصقت بالحائط المشترك بينها وبين زنزانة والدها، صمتت قليلًا.. ثم أخرجت تلك القطعة الزجاجية من جيبها المقطوع وبدأت تحدث صوتًا مزعجًا عن طريق حكِّ الزجاج المكسور بالحائط ليسمع ساركان ذاك الصوت الذي يخدش الجدار.. قام واقترب من الحائط خطوةً بعد الأخرىٰ.. وعندما توقف صوت الزجاج المُهشم وضع ساركان كفه الأيمن على هذا الحائط، نظر قليلًا نحو قدميه مُطأطأ الرأس.. ثم عاود رفعها من جديد، وخاطب آيْ قائلًا: اشتقت إليكِ كثيرًا.. أمضيت الكثير من الوقت المؤلم هناك.. في سُباتي

لم ينل ردًّا للحظات.. حتى خاطبته آيْ قائلةً: من أنت يا ساركان؟

وأردفت بعد بعضٍ من الصما: بأيِّ حقٍّ جلعت مني ابنة لك؟ هل لأنك الملك؟

رد ساركان مذهولًا: ظننت أننا لن نتحدث بشأن ذلك مجددًا.. هل أردتِ أن تكوني مجرد لقيطةٍ ما يابنتي؟

فردَّت آيْ بكل ما استحكمها من الغضب: لقيطة..! ليتني ظللت تائهةً بين شوارع البلدة.. هذا أفضل من أن أكون ابنتك

وأكملت بعد صمتٍ آخر: كان من المفترض أن أكون مارسيلا.. تلك الفتاة الفقيرة التي لطالما عاشت على أكل سمكة واحدة كل يوم.. لم أُرد أن أكون بديلًا عن ابنتك التي انتقلت روحها إلى الرفيق الأعلىٰ

وأكملت ثانيةً: لم أحبك يومًا يا ساركان، لطالما حلمت باليوم الذي أكون فيه حاكمة هذه الأرض؛ حتى أتزوج بأوغو.. الفتىٰ الذي أحببتهُ في صغري.. أحببتهُ وأنا الفقيرة مارسيلا.. وأحببته وأنا الأميرة آيْ.. عشقته حيًّا ولم يزل عشقي حين موته

فاتسعت حدقتا ساركان مما سمعه.. وقال في تلهف: تمهلي.. أتمازحينني الآن؟ ماذا تعنين بموت أوغو أخبريني...!!

فقالت آيْ: لقد قتلته الملعونة التي تغازل عرشها بالخارج، سأقتلها.. سأنتزع رأسها وأضع رأس ناصفةٍ مكانها.. وسأقتلك يا ساركان.. سأقتلك

صمت ساركان لبرهةٍ قصيرة حتى فاضت عيناه بدمعها.. وضع كفه على فمه وأنفه لألّا تسمع آيْ بكاءه وشعر بحُرقةٍ في صدره وقلبه.. التزم صمته لتُكمل آي: لم تحبني يومًا، بل أحببت ابنتك التي ماتت.. أحببت آيْ.. وأحببت ذاك الشبه بيني وبينها.. حين رأيتني وسَطَ اصطفاف أهل البلدة وأمرت الحراس باصطحابي إلى بهو قصرك.. ظننت أنك ستجعلني خادمةً لك.. لم أُرد أن أكون آيْ.. ولكن.. انظر الآن...!! تخيلني خلف ذاك الحائط المخدوش، آيْ.. ابنة الملك سااركاان الذي حكم البشر بكل ودٍّ وإخلاص.. ابنتك آيْ قد بكت حتى جحظت عيناها وجُرح حلقها.. لم أنم منذ أن وُضِعت رأس ناصفةٍ أمامي.. وأنت نائمٌ في سُباتك كالدببة تعوم بين أفكارك السوداء يا ذا اللحية البيضاء

وأردفت: قد يقلُّ كرهي لك وتنتهي نيتي في القضاء عليك.. سيحدث ذلك فقط إن أخبرتني شيئًا واحدًا لا غير.. من تكون آسيا؟

وبعدما أنهت جملتها، جلست على أرضية الزنزانة تسند ظهرها إلى الحائط المخدوش.. نظرت إلى رأس ناصفة من جديد، وأكملت حديثها بصوتٍ هادئ: أنا من تسببت في قتل هذه الفتاة، أنا من أمرتها بقتلك

صمت ساركان للحظات، ثم جلس هو الآخر كما جلست ابنته آيْ.. أو بالأحرىٰ.. كما جلست مارسيلا ابنته بالتبني دون علمٍ من الشعب بذلك، ظل ناظرًا إلى حذائه لثوانٍ قليلة، ثم قال في صوتٍ هادئٍ يملؤهُ الحزن: آسيا...

ابتسم ابتسامةً تصاحب هزّ رأسه، ثم أردف: كانت طفلةً عندما أنقذت حياتها، منذ زمن.. خمسٌ وثلاثون عامًا..! لم يمر يوم إلا وحدثت نفسي قائلًا: ترىٰ أكان حادثًا أم أنني تسببت في تغير زمانها..

قاطعته حينئذٍ قائلة: تغيير زمنها؟ ماذا تعني أهذا سبب تسمية آسيا بهاوية الزمن؟

توقف للحظات ليعود سُعاله مرة أخرى.. ظل يسعل كثيرًا إلى أن كسر صمته أثناء سعاله: إنها.. -يسعل بشدة-... يبدو أنها سافرت بالزمان.. وربما بالمكان، لقد عادت بقومٍ ليسوا من البشر.. لم يكن من المفترض أن أتركها هناك..

قالت آيْ على عجلة: هناك أين؟ أخبرني؟

فردّ ساركان وهو لا يقوىٰ على التقاط أنفاسِـه: آيْ.. القصر.. غُر.. غُرفتي.. هناك كتاب ال...

ولم يكمل ساركان جملته حتى صاحت آيْ به: أيّ كتاب؟ أخبرني؟

وأكملت بعد صمتٍ آخر: ساركان هل تسمعني؟ سارك.. آاه أبي؟

وداخل الزنزانة الأخرىٰ، نرىٰ ساركان.. مستندًا نحو هذا الحائط.. وتسيل الدماء من فمه وأنفِه.. مات العجوز وقتما أخبرها بأمر كتابٍ موجود بالغرفة أو ما شابه.. ربما مات بفضل سُبات آسيا.. وربما هناك سببٌ آخر ليتوقف قلبه فجأة..!

عندئذٍ صمتت آيْ لبضعِ ثوانٍ ليس إلا.. حتى أتىٰ أحد الحراس ليفتح بوابة زنزانة العجوز ففتحها ودلف بها.. وبعد مرور لحظات صاح قائلًا: خذوه بسرعه.. تتسرب دماؤه إلى الخارج..! أسرعوا هيا

جاءه ثلاثة آخرون من الحراس.. ليحملوا العجوز ساركان إلى خارج الزنزانة حيث الهواء الجيد وضوء المصابيح المريح.. وآنذاك جثىٰ أحد الحراس أرضًا ليضع يده على رقبة العجوز ساركان.. ثم وقف على قدميه من جديد ليقول في صوتٍ عالٍ: لقد مات العجوز.. أخبروا الملكة

إبان الأمر كانت آيْ تنظر من فتحات باب الزنزانة.. تنظر إلى العجوز الذي ربَّاها وكرهته.. كيف سالت دماؤه وأصبح شاحب اللون؟ أمسكت بالزجاجة المكسورة ورأت فيها انعكاسًا غير واضح لوجهها.. رأت دمعها الذي باء بالتساقط فور موت ساركان.. هل تكرهه آيْ أم تحبه؟ لقد بكت عند موته بعدما خططت لقتله بدسِّ السموم في طعامه..!

جثمت الفتاة على ركبتيها.. تبكي وترطم رأسها بباب الزنزانة.. وكلما ضربت الباب برأسها.. أحدث صوتًا سمعهُ الحراس.. وعندئذٍ غادر ثلاثةٌ من الحراس إلى الخارج يحمل أحدهم جثة ساركان على ذراعيه.. بينما انتظر اثنان من الحراس خارج زنزانتها.. عند سماعهم لصوت ارتطام شيءٍ بباب الزنزانة اقتربت منه.. بينما راقبتهما آيْ عبر ثقب شديد الضيق بباب الزنزانة الحديدي.. وعند وصولهم أمام باب الزنزانة.. نظر أحدهما من فتحات التهوية بالباب.. أمعن نظرهُ جيدًا فلم يجد آيْ...!! وقال على عجلةٍ من أمره: افتح الباب افتح الباب

وفتح الحارس الآخر ذاك الباب بمفتاحه، وآنما فُتح الباب سارعا بالدخول إلى هناك.. وها هي آيْ تختبئ خلف الباب المفتوح لا يتحرك رمشٌ من رموش عينيها.. تلتصق بظهر الباب والحائط.. فورَ دخول الحراس إلى الداخل هبت بخفية نحوهما وبيدها تلك الزجاجة المكسورة، وفي التوِ واللحظة قامت بطعنهما في ظهرهما بالقطعة الزجاجية ببراعة..! ولم تمر ثانية واحدة حتى كانت خارج الزنزانة من جديد لتُغلق بابها بإحكام.. تراجعت خطوتين إلى الوراء.. بينما ينازع الحارسان روحهما ولا يقويان على الصراخ أو الأنين؛ هذا بسبب الطعنة القوية التي أخذها كلاهما بالظهر..

التفتت آيْ ونظرت إلى الباب الخارجيّ فلم تجد حراسةً عليه.. وآنذلك ركضت أميرتنا آيْ نحوه بسرعةٍ كبيرة..! وتوقفت من جديد كي تبحث عن طريقٍ للخروج فوجدت الحراس في كل مكان..! لم تعلم ما تفعل لذا تسللت ببطءٍ خلف أحد جدران القلعة.. ووجدت مجموعة من الحراس يسيرون باتجاه اليسار فتيقنت أن اليسار هو البلاط الملكي حيث آسيا وعرشها، لذا فمن المؤكد أن اليمين هو طريق الخروج.. تسللت ثانيةً عبر الجدران وظلالها.. دون أن يراها أحد.. وعند وصولها إلى بوابة القلعة الحمراء وجدت عشراتٍ من الحراس بالخارج..! وحدثت نفسها قائلةً: ماذا تفعلين يا آيْ.. فكري آيْ فكري

وصمتت لثوانٍ قليلة ثم أردفت: كلا.. من الآن فصاعدًا أنا مارسيلا، فكري يا مارسيلا.. أنتِ أذكىٰ من ذلك

ظلت تنظر ذات اليمين وذات اليسار، فوقها وتحتها.. ظلت تبحث حتى سمعت صراخ الحراس قائلين: هربت الفتاة...!! ابحثوا عنها مازالت داخل القلعة.. لا تقتلوها تريدها الملكة حية..!

وآن سماه حراس البوابة لذاك الصراخ ركض أكثرهم إلى البلاط.. وقد اختبأت آيْ خلف الجدران من جديد وعاودت البحث ثانيةً، وأثناء بحثها رأت شخصين أتيا من الخارج إلى بوابة القلعة.. وعندما اقتربا من البوابة كان أحدهما نارو نجل آسيا.. والشخص الآخر كان يرتدي ثيابًا فضفاضة تُغطي رأسه وجسده بالكامل.. عندما دلفا إلى القلعة جاءهما أحد الحراس متحدثًا إلى نارو: سموَّك...!!

نارو: ولماذا لا أعود؟ إنها قلعتي، تنحَّ جانبًا نريد أنا وضيفي إلى الملكة

حدثه أحد الحراس متوترًا: سيدي...!! هناك ما يجب أن تعرفه

نارو: ماذا؟

الحارس: لقد مات العجوز قبل قليل.. وبعد دقائق من موته.. اختفت ابنته

رد نارو بصوتٍ مدوٍ كاد أن يُسقط القلعة من شدته: ما.. ماااذاا قلللت؟

الحارس: هربت يا سيدي لقد قتلت حارسا الزنزانة وأفلتت منها

صاح نارو به: أ.. آآآآه..

ثم أردف بجل غضبه: أين الملكة قل بسرعة؟

الحارس: بالداخل تبحث عن الفتاة برفقة الحراس يا سيدي

نارو: الزموا البوابة.. لن تُفلت من القلعة إلا عبرها

وأردف متحدثًا إلى مغطىٰ الرأس: رافقني هيا

هز الضيف رأسه ليُكمل خلف نارو.. بينما تركض آيْ نحو السلم لألّا يراها أحد.. وفور صعودها وجدت ثلاث فتحاتٍ دائرية متتالية بآخر السلم العلوي.. تُشبه النوافذ.. وعندئذٍ أكملت ركضًا إلى الأعلىٰ لتقف صوب الثلاثة نوافذ تلك، حاولت فتحها بكل ما أوتيَت من قوة لتفشل في ذلك.. وظلت تحاول حتى نظرت إلى النافذة الثالثة بأقصىٰ اليسار.. وحدثت نفسها قائلة: تستطيعين يا مارسيلا.. الآن أنتِ أنتِ.. لن تعودي غريبةً عنكِ كما كنتي

أغمضت مارسيلا عينيها.. وحاولت رفع النافذة بكل قوتها للمرة الأخيرة.. وهذه المرة نجحت بفتحها، ورغم ضيق هذه النافذة إلا أن مارسيلا قد تستطيع القفز من خلالها بفضل شدة نحافتها.. رفعت إحدىٰ أقدامها على فتحة النافذة.. حيث سمعت صوت أمواج المحيط.. ثم رفعت قدمها الأخرىٰ تباعًا برفع جسدها فنتظر إلى الأسفل.. إنها مئات الأمتار بين النافذة وسطح المياه، لم تعلم ما يتوجب عليها

فعله لذا استجمعت ما تبقىٰ من قلبها.. أخرجت زفيرًا قويًّا ومن ثم.. قفزت من الأعلىٰ..! لا تصرخ أثناء سقوطها حى لا يُكشف أمرها..

وها هي الفتاة مارسيلا تُعاود الذكريات أثناء سقوطها، تتذكر المرة الأولى لدخولها إلى قصر الملك، وتتذكر كم كان ساركان يعشق ابنته آيْ.. لكنه لم يحب مارسيلا يومًا كما تظن هي.. تسقط الجميلة مارسيلا وقد شعرت بملمس المياه بمجرد النظر إلى سطح المحيط قبل أن تصل إليه.. وفورَ ملامسة جسدها للمياه غُمست مارسيلا داخل المحيط، ظهرها ناحية القاع.. ورأسها صوبَ السماء الصافية.. ترىٰ تلك النافذة التي قفزت منها من تحت المياه.. وقد أتىٰ نارو ليراقب الخارج من خلالها.. وآنما حدث ذلك أغمضت عينيها المنهزمة بينما تقول في ذهنها: لم يحبني أحد.. حتى أنا لا أستطيع أن أحب مارسيلا..

وبعدما أغمضت عيناها أخذت الأمواج تدفعها بعيدًا عن القلعة الحمراء.. وها هو جسدها وقد طاف على سطح المياه ثانيةً بعد فترة وجيزة.. وبعد دقائق أخرىٰ يصل جسد أميرتنا إلى صخرة مُهشمة بعيدة.. وتكون آيْ مستلقية بظهرها على الصخرة غائبةً عن الوعـي إثر انغماسها داخل المحيط الجنوبي..

وبمشهد يجاور ذلك المشهد، تحديدًا على البلاط الملكي.. نرىٰ الكثير من الحراس والجنود النيانيين مُصطفين أمام عرش آسيا والتي بدت في أشد غضبها من موتِ ساركان وهرب ابنته.. تسير ذهابًا وإيابًا كالمجانين.. وتهمس بصوتٍ لا يُسمع قائلة: لم يُفلت أحدٌ من عقابي يومًا.. واليوم فعلها عجوز يتبول على نفسه وفتاةٌ بعمر العشرين..

ازدادت غضبًا فأردفت بصوتٍ كارثي تمامًا: عاااااااا.... سأحولكم إلى خنازيرٍ محترقة يا حثالة الخلق

ونرىٰ عينا آسيا تزداد توهجًا بغضبها لتُكمل: آيْ.. أريدها حية مهما كلف الأمر.. اغربوا عن وجهي، إن رأيت أحدكم دون آيْ معه سأسحقهُ كما تسحقُ الجبال أرضها.. لن يكون مصيره الحياة أو الموت.. سيكون مصيره آسيا.

وقبل أن يغادر الجميع صالة القلعة دلف نارو برفقة ذا الثوب الفضفاض والذي لا يزال وجهه مختبئًا تحت هذا الثوب.. وفور خروج الحرس والجنود أُغلقت بوابة الصالة الملكية.. وتقدم كلاهما نحو الملكة آسيا.. والتي ضجعت على عرشها من جديد.. ساد الصمت بين ثلاثتهما لثوانٍ.. حتى كسرتهُ آسيا قائلة: يمكنك خلع هذا الثوب.. لا أحد هنا

وفور خروج جملتها.. خلع ذاك الرجل ثوبهُ الفضفاض الطويل.. ونرىٰ وجههُ بكل وضوح، كان القائد أوغو.. والذي عاد برفقة نارو من رحلتهما التي دامت لأسابيع، وآنئذٍ أردفت آسيا يعتليها الشوق والفضول: لم أنتظر لليلةٍ أو اثنتين.. بل لأسابيع طويلة.. أرجو ألا يكون بحثًا بلا فائدة

سار نارو خطوتين نحو عرش آسيا.. وردَّ في صوتٍ مهتزّ: أم.. جلالة الملكة.. لقد بحثنا في كافة البقاع الصالحة للحياة على هذه الأرض ولم نجد شيئًا سوىٰ الإشعاع.. الكثير منه

وأكمل: يُمكنني أخذ فرقةٍ من الجنود وأجوب تلك البقاع مجددًا.. إن أردتِ ذلك

أخرجت الملكة آسيا زفيرًا قويًّا آنذاك.. وقالت في تعب: لا فائدة من البحث ولا أريد إهدار المزيد من الوقت بالبحث عن البشر.. علينا الاستعداد جيدًا، لا أعلم ما يجوب عقل قان-توراس وعقول وزرائه الأذكياء، أخشىٰ أن يسبقونا بخطوة واحدة فيكون حينئذٍ هلاكنا

نارو: كما تريدين جلالتك.. لقد أخفينا أي أثرٍ يشير بمغادرتنا للحدود .. والآن يمكننا الإفادة بأن الحياة خارج حدود آنتي مستحيلة بالفعل

وأردف: إن لم تمانع جلالة الملكة.. عليَّ الذهاب خارج القلعة.. عليَّ البحث عن الزنديقة الهاربة

أشارت آسيا بيدها إليه دون أن تتفوه بكلمة بينما تمسح وجهها بكفها، وعندئذٍ سار نارو نحو بوابة الصالة الملكية وغادرها مُغلقًا بابها من جديد.. بينما ظل أوغو واقفًا أمام الملكة الغاضبة.. وحاول التحدث معها قائلًا: سموَّك.. بخصوص آيْ.. يم..

قاطعته الملكة آنذاك.. ورفعت كفها لألّا يتفوه بأيَّة كلمة.. وفقط حينها عاد أوغو إلى صمته، وعادت الملكة آسيا شاردة بأفكارها وخططها.

****

على إحدىٰ الصخور العملاقة التي ترسي بطرف من أطراف الجزيرة نرىٰ مارسيلا «آيْ» والتي عادت لوعيها في وقتٍ قصير من خروجها من الماء.. وما أن عادت إلى رشدها حتى وقفت سريعًا خشية أن يراها أحد.. وظلت تنظر حولها.. ترتجف من شدة البرد ولا ترىٰ سوىٰ الثلوج الكثيفة والجبال الجليدية.. سارت لعدة أمتار بعيدًا عن المحيط حتى رأت أحد المباني الشاهقة على بعد أميال.. كان ذلك المبنىٰ هو القصر الملكيَّ القديم الذي انتمىٰ لحُكم الملك ساركان.. وآنما رأته سارت باتجاهه ولا تفكر إلا في حديث ساركان.. عن ذاك الكتاب.. تتساءل عما يوجد بداخله؟ أيُعقل أن يكون هذا الكتاب سبيلًا في النجاة؟

أم أنه مجرد كلماتٍ من الماضي دونها ساركان أثناء فراغه؟ علينا اكتشاف ذلك بصحبة جميلتنا مارسيلا..

****

المكان المجهول | الزمان المجهول

ها نحن للمرة الثانية داخل المكعب المُظلم.. نرىٰ العالم رشيد والذي يبدو على وجههِ الأرق وجمود الإحساس.. يبذل قصارىٰ جهده في البقاء نشطًا بين تلك الخطوط الغريبة.. وها هو يسير ثانيةً بين بلايين الخطوط المضيئة.. وفجأةً يقوم الأحمر بلمس أحد الخطوط وفورَ ملامسته له ينبعث منه الكثير من الضوء.. فنرىٰ ذلك الخط الخيطي وقد تحوَّل إلى غيمةٍ كبيرةٍ تعرض جوفها ذكرياتٍ أو ما شابه...!! كما شاشات التلفاز..! وما بداخلها.. إنها آيْ...!! يراها تسير صوبَ القصر الملكي القديم..! يبدو أن عالمنا الرياضي يشاهد ما يحدث على الأرض بالوقت الحالي.. ربما يكون بالماضي ويشاهد المستقبل، وربما يكون العكس

يمكننا توقع ماهية هذا المكعب المظلم.. وتلك الخطوط.. التي تنبلجُ بالضوء – الخافت ليست مجرد خطوط.. إنها خطوط الزمن، الآن لم يعُد رشيد في الزمان المجهول.. ولا المكان المجهول.. بدىٰ الآن أن عالمنا القدير يضع قدميه على أبعد ما يُمكن لمخلوق الوصول إليه.. إنه في الزَّمكان.

(10) عيْن البشر

جزر آنتي الكبرىٰ | 2080

نسير على اليابسة الثلجية برفقة مارسيلا الجميلة «آيْ سابقًا».. والتي قد وصلت لتوها إلى دائرة القصر القديم.. بدىٰ أن المنطقة خالية تمامًا.. لا وجود للبشر أو النيانيين داخل القصر أو من حوله.. ولذلك سارعت جميلتنا دالفةً إلى القصر عبر بوابةٍ غير الرئيسية.. وقفت أمامها ترتجف من البرد تحاول فتح هذه البوابة بمفردها حيث تُعيق الثلوج حركة البوابة.. وبعد مُعاناة وإصرار استطاعت وحدها فتح البوابة..

وها هي مارسيلا تسير نحو بوابة القصر الداخلية.. وأصبحت داخل القصر بالفعل.. لا وجود لشيءٍ غير الأتربة وقليل من الحشرات تتخلل شقوق الجدران، وقفت أمام السلم الذي سارت عليه آسيا منذ أشهر.. ونراها تسارع بالصعود إلى الأعلىٰ.. تسير خطوةً بخطوة تحمل خوفها بقلبها.. وبعد الصعود نرىٰ باب غرفة الملك من جديد، وتفتح مارسيلا باب هذه الغرفة فترىٰ الكثير من الأتربة المُتكدسة، وترىٰ أيضًا المزيد من الثلج المتراكم على زجاج النافذة، وها هي ذا تُمسك بأحد المصابيح الزيتية وتشعلها حتى تبدأ البحث عن الكتاب الذي ذكره ساركان مُسبقًا..

أخذت البحث بكافة زوايا وأركان الغرفة، اريد إيجاد هذا الكتاب المذكور، طال بحثها ولم تجد غرضها المقصود بعد، وقفت بمُنتصف الغرفة لتنظر حولها بحثًا عن مخبئٍ سريٍّ وما شابهَه، وآنذلك.. وقعت إحدىٰ مزهريات الغرفة على أرضيتها..! وفورَ سقوطها أُصيبت مارسيلا بالذعر والخوف ظنًا بوجود أحدٍ معها بالغرفة...!! ولكن.. عند سقوط تلك المزهرية الفاخرة اقتربت مارسيلا من زجاجها المكسور.. رويدًا رويدًا.. ونظرت إليه.. وأمعنت نظرها جيدًا.. ثم

تذكرت ذات الأمر في الماضي، عندما كانت آسيا داخل غرفة ساركان وسقطت إحدىٰ المزهريات الأخرىٰ فقامت ناصفة بلملمة الزجاج المكسور، ها هو الأمر يتكرر.. أكانت مجرد صدفةٍ ليس إلا؟

لم يطُل تفكير مارسيلا بتلك الصدفة الغريبة، لم تفكر إلا بأمر الكتاب، ولكن.. حدث ما هو غريب..! مكان رف المزهرية المكسورة، ثمة لوحٌ خشبيٌّ يميل بعض الشيء عن البقية، حدقت به مارسيلا لتقوم تباعًا بانتزاعه بكلتا يديها، عند اقتلاعه.. وجدت غرضها المقصود.. وجدت كتابًا ذا غلاف ممزق وغريب..! لا شك في أن هذا الكتاب يحتوي على أسرارٍ شتـىٰ..

أخذت مارسيلا ذاك الكتاب ذا الغلاف المُمزق.. ثم جلست على سرير العجوز المليء بالأتربة، وظلت تحدق بالأرقام المنقوشة على غلاف الكتاب الممزق، كانت الأرقام المنقوشة على سطح الغلاف «22-24»..

في مشهدٍ موازٍ.. نرىٰ العالم الأحمر من جديد وهو يُراقب مارسيلا التي وجدت كتاب العميل العجوز.. وعندئذٍ يُلامس الخط المضيءَ من جديد.. وتظهر غيمةٌ أخرىٰ بها نارو نجل آسيا والذي جابَ كل بقعةٍ من بقاع القارة..! لم يتبقَّ فقط سوىٰ القصر القديم، وصل نارو أمام القصر الملكيُّ ليبدأ بالالتفاف حوله؛ ليرىٰ ما إن كانت آيٌ تختبئ في هذا المكان أم لا..

عندما ظهر نارو أمام بوابة القصر كانت مارسيلا تُطفئ شعلة المصباح مغادرةً قصرها رفقة ذاك الكتاب القديم، عندما رأىٰ الأحمر نارو على مقربةٍ من إيجاد مارسيلا.. قامَ بشيءٍ غريب..! مد نصف جسده لتُصبح يده بذلك الزمان والمكان..! التقط بها ثلجًا وقذفه ليسحب يده وجسده بسرعةٍ شديدة فتُصبح رأسه داخل الزمكان مرة أخرىٰ.. وحينئذٍ يسمع رايدن صوت كرة ثلجٍ قُذفت خلفه فاستدار بعيونه المتوهجة مُسارعًا للبحث عن مصدر الصوت، وأثناء خروج مارسيلا من البوابة الخلفية ترىٰ نارو مبتعدًا ببطءٍ عن القصر كأنه يلاحق

فأرًا...!! وعندئذٍ عادت مارسيلا أدراجها مغادرةً القصر عبر البوابة الرئيسية بأقصىٰ سرعةٍ وهدوء..

لا يزال رشيد يراقب نارو عبر الغيمة، حيث رآه دالفًا إلى القصر صاعدًا درجات السُّلم.. وأخذ يبحث مرورًا بغرفة الملك القديمة، وعند اقترابهِ من بابها نظر إلى المصباح الزيتيُّ المُعلق بجانب الباب، وضع كفه على زجاج المصباح.. وجده دافئًا...!! وعندئذٍ تحولت عيناه إلى بؤرةٍ من الضوء المرعب ليظهر الغضب على وجهه آنذاك.. وباللحظة التي تجمع غضب الليل بقلب نارو هبَّ بالطيران السريع إلى الأعلىٰ مُخترقًا سقف القصر بأكمله..! ونراهُ يطوف فوق القصر القديم.. يتطاير حُطام جدران القصر في كل مكان ليُصبح المكان مُمطرًا بحطام الأحجار الضخمة...!! وبعد عشرات الأمتار.. نرىٰ مارسيلا التي شاهدت ذاك الحدث المُخيف من خلفها ثم استدارت تُكمل ركضها مبتعدةً عن المكان بسرعة.. قام نارو بالطيران لأعلىٰ وأعلىٰ؛ كي يتّسع مرآه للمنطقة.. وأخذ بالنظر في كل بقعةٍ بالمكان.. يرىٰ دائرةً كاد محيطها أن يغطـي ربع آنتي بأكملها.. وظلَّ ينظر ويراقب سريعًا لا يُفوت مترًا إلا وينظر إليه..

بينما نرىٰ مارسيلا واضعةً يديها خلف رأسها.. تنبطحُ بكامل جسدها مختبئةً خلف إحدىٰ التلال الثلجية المنخفضة.. وها هو نارو وقد رأىٰ آثـار أقدامٍ نحو هذه التلة البعيدة..! ووقتئذٍ.. اقترب نارو من التلة.. رويدًا رويدًا يطوف إلى الأسفل.. وقبل أن تقع عيناهُ خلف التلة الثلجية، نرىٰ القائد أوغو بثيابه الفضفاضة راكضًا نحو مارسيلا بسرعة كبيرة..! احتضنها من الخلف وأحكم ذراعيه بظهرها جيدًا ليهمس بصوتٍ خفيٍّ: هاي داراسكا

وما أن قال جملته حتى اختفىٰ ومعه مارسيلا بين ذراعيه...!! اقترب نارو من خلف التلة فلم يجد أحدًا في هذا المكان..! عاود بحثه تاراتٍ عديدة ولكن دون جدوىٰ.. وآنذاك كفَّت عيناهُ عن الانبلاج لتعود إلى طبيعتها ثانيةً، أخرج زفيرًا قويًّا بفمه يصحبه يأسٌ قاتل، ثم اختفىٰ من المكان ببرقه كما اعتاد أن يفعل دومًا.

وبعد مغادرته يظهر أوغو بمارسيلا وقد انتقلا إلى مكانٍ أبعد بمئات الأمتار.. وآنما ظهروا فتحت مارسيلا أعيُنها من جديد، ورفعت رأسها خائفةً مما حدث، ترىٰ أذرعًا على جسدها تحتضنها من الخلف، أمسكت تلك الأيدي ببطء.. ثم أدارت وجهها إلى الخلف.. لترىٰ ذلك الشخص ذا الثياب الفضفاضة الذي رأته في قلعة نيانوس الحمراء.. غلب الصمت لسانها للحظات، حتى قالت في صوتٍ ناعم: من أنت؟

رأت ابتسامة ذلك الشخص من تحت غطاء رأسه، ثم كشفت غطاء رأسه بيدها اليمنىٰ، وفورَ كشف ذاك الغطاء رأت وجه عزيزها.. القائد أوغو.. والذي كان على قيد الحياة طيلة ذلك الوقت، عند رؤيتها لوجهه بكت عيناها لرؤيته.. ابتسمت بجذالةٍ لتأخذه بين ذراعيها، وتُكمل بكاءها على كتفه، ظلت تزيل ذاك الشوق الكبير دون التفوه بكلمة، وهذا حتى كفت عن البكاء وأخرجته من حضنها قائلة: طيلة ذلك الوقت، كنت أفكر.. كيف سأصمد وحدي.. كيف لي أن أحيىٰ دون أمني..! أنت حيّ يا أوغو.. حيّ..!

أخذها أوغو بين ذراعيه ثانيةً يُحدثها في صوتٍ هادئ: اهدئي، أنا هنا الآن.. سأبرر لكِ لماذا تركتك هناك، ولكن...

وضع كفّيه على وجهها ثم أردف: علينا المغادرة الآن.. دون إهدار ثانيةٍ واحدة، لقد أعطيت الملكة كوبًا من النبيذ به قطراتٍ من السُّم القاتل.. ولكني على يقينٍ أنها لن تهلك بهذه السهولة، بل أعتقد أن نارو قد أنقذها بالفعل في هذه اللحظة

فردت بحلقٍ مُلتهب: وإلى أين نغادر؟ هل سنذهب إلى إحدىٰ هذه الجبال؟

ردّ أوغو باسمًا: كلَّا.. سأُخبركِ لاحقًا.. والآن هيا بسرعة..

نهض كلاهما يُسارعان ركضًا ناحية حوافِ آنتي.. وبعد دقائق من الركض السريع وصلا إلى حافة القارة، نظرت مارسيلا إلى مرسىٰ المحيط فوجدت غواصةً بيضاءَ غريبة...!! حديثةٌ لأبعد حد! وخارجها رجالٌ مُسلحون بأسلحةٍ نارية يرتدون ثيابًا بالأبيض والأسود...!! هل تلك هي الحضارة التي لطالما آمنت مارسيلا بوجودها؟ نزل أوغو صحبة جميلته إلى الأسفل، وعندما وصلا إلى الفاصل بين الماء واليابس دلفا جوف الغواصة بسرعة ليدلف هؤلاء الرجال بعدهما، وغاصت هذه الغواصة بسرعةٍ هائلة إلى الأسفل.. تتجه نحو الشمال بعيدًا عن جزر آنتي كلها..!

بالمشهد الموازي.. نرىٰ الملكة آسيا تزحف على بلاط القاعة الملكية.. تسيل سوائل بيضاء من فمها..! كان تأثير السم الذي وضعهُ أوغو، لا تقوىٰ على استدعاء ابنها.. ولم يرها أحدٌ من الحراس لطلبها بمغادرتهم سابقًا.. كادت أن تلقىٰ آسيا حتفها إلى أن جاء نارو.. فتح بوابة الصالة الملكية وما أن رأىٰ ما خلفه وجد والدته تزحف على البلاط مغمضةً عينيها.. تحتضر وتسيل منها الدماء والسوائل؛ لانتشار السموم بجسدها أكثر فأكثر.. فور رؤيته لوالدته هبَّ بكل ما أوتيَ من سرعةٍ صوب جسدها المتسمم ليضع راحة يده على رأسها والأخرىٰ على معدتها.. تتوهج عيناهما من جديد.. وتتوهج بعض المناطق في جسد آسيا أيضًا! وبعد انتهائهِ بثوانٍ تنفست آسيا بانتظام من جديد.. وقد نجح نارو في شفاء والدته البشرية كما فعل مع ساركان مسبقًا..

تفتح عينيها ببطء وكاد نارو أن يُنادي الحراس لمساعدته ولكن منعته الملكة.. وقالت في صوتٍ شاحب: لن يعلم أحد بذلك، إن علموا بوجود بشريٍّ حاول تسميم الملكة، سيتكرر الأمر، وسيفعله نياني هذه المرة

نارو: من هذا البشريُّ؟!!! أخبريني حتى آكلهُ حيًّا أينما كان يلبث

ردّت آسيا: إنه أوغو..

وأردفت بينما تزداد شحوبًا: لم يكن من المفترض أن نثق في بشريّ.. الخطأ خطئي

صمت نارو قليلًا.. ثم حمل والدته على ذراعيه.. وسار إلى السلم صاعدًا إلى غرفة الملكة، فقالت له أثناء حملها: ماذا تفعل؟

فردّ نارو: ستأخذين قسطًا من الراحة..وسآمر الحراس بتلبية الهدوء الذي تحتاجينه.. كإنسانة.

آسيا: وماذا ستفعل أنت؟

تحوّلت عينا نارو للونٍ أسود.. وردَّ في غضبٍ بصوتٍ كاد أن يصل إلى المجرات الأُخرىٰ: سأجده ولن آمُر بحرق جثته.. ستقتاتُ الحشرات على رأسه.. ستزحف الديدان عبر قلبه القذر وسيهطل الجليد على جسدهِ ليجعله كومةً من العظام المُفتت.

هكذا هزّ صوت نارو القلعة.. هزّ المملكة.. بل وهزّ جُلَّ البقاع المجاورة، وسمع بعض البشر في منازلهم حتى أصاب الرعب قلوبهم وقلوب أطفالهم الصغار.. وعند سماع الحراس لهذا الأمر ظنوا أن نارو وآسيا داخل مناقشةٍ عنيفةٍ بعض الشيء

وها هو نارو يدلف إلى غرفة والدته فيضعها على سريرها؛ حتى تحظىٰ بقسطٍ كافٍ من الراحة وتستعيد قوتها وبأسها ثانيةً، ثم غادر الغرفة نزولًا إلى الصالة.. وفتح البوابة كي يصبح بين الحراس من جديد.. وقف بين بعض النساء من

الحراس قائلًا: اهتموا بالملكة ولا تبرحوا البلاط وما جاور غرفتها؛ إنها تشعر بالتعب قليلًا

ثم نظر إلى الحراس وأردف: أما أنتم، فانتشروا في كافة أرجاء القصر

وبعد ذلك، غادر نارو قلعته الحمراء سريعًا حيث قام باستدعاء غالبية الجيوش النيانية.. وقد لبّى كافتهم هذا النداء على الفور..! عند وصولهم على هيئة صفوفٍ مصطفة من قوافل المحاربين العريضة صاح بهم نارو قائلًا: أنصتوا جيدًا.. لم يمُت الفتىٰ أوغو بعد.. ولا يحق لكم السؤال كيف لم يمت.. لا تهدروا وقتي ووقتكم.. انتشروا في كل بقعةٍ من جزر آنتي وابحثوا عن السجينة الفارّة، لا نعلم ما إن كانت حيّةً أم لا.. ولكن ترقّبوا لظهور أيٍّ منهم

وما أن انتهىٰ سارع بأمرهم بالذهاب، غادر المحاربون وقتذاك ينتشرون باتجاهاتٍ عِدة، وبدىٰ على وجوه بعضهم عدم الرضا بحدوث ذلك، كيف لبشريٍّ أن يُفلت هكذا من يدي آسيا؟ أم أنها كذبت عليهم في أمر موت أوغو؟ هكذا تساءل الجنود فيم بينهم أثناء سيرهم في بقاع آنتي.. أما نارو فقد أُنهِك جسدهُ من البحث، لذا قرر ترك الأمر لمحاربي المملكة.. وقام بالعودة ثانيةً إلى القلعة الحمراء المُشيدة، حيث جلس على عرش والدته يفكر في الخطوة التالية.. ويفكر في أمر أوغو وآيْ.. تُرىٰ إلى أين ذهبا؟ وإلى متى سيظل مع شعبه في ذاك الكوكب اللعين؟ تلك الأسئلة وما يزيدها راودت نفس نارو.. الذي صار أكبر همه إلحاق الضرر بالبشر أجمعين..

في مشهدٍ موازٍ لما حدث..

نرىٰ أوغو ومارسيلا.. يجلسان جوف تلك الغواصة الحديثة، يحاوطهما مئات العساكر المسلحين بالداخل، وهناك قادةٌ ذوي رُتبةٍ أعلىٰ يتشاورون في أمر آسيا حيث يُعقد مجلسهم في مؤخرة الغواصة الضخمة، وخلف هؤلاء القادة المرتدين بذلاتٍ عسكرية ثمة رمز كبير يُغطي نصف ذلك الحائط الداخلي من الغواصة،

كان رمزًا متعرجًا يُشبه العين إلى حدٍ كبير..! غرقت مارسيلا بين علامات استفهامٍ كثيرة، وظلّت شاردةً في تلك الأمور حتى أخرجها أوغو من شرودها مُمسكًا يديها الباردتين يمنحها دفئًا وحبًا، وقال في صوتٍ مُترنم: آيْ.. فيمَ أنتِ شاردة؟ هل موته؟

ردت آنذلك بارتباك: نعم.. الكثير من الأمور.. هناك الكثير لأتحمله يا أوغو

نظر أوغو في عينيها ليتبسم قائلًا: بل هناك الكثير لنتحمله.. معًا

وأردف قائلًا: أخبريني.. هل أصابكِ مكروه داخل تلك الزنزانة؟

ردت قتئلة: لقد كانت رأس ناصفة أمامي طيلة الوقت، حتى أنني أحيانًا خلت رأسي مكانها

أوغو: لن أسمح بذلك سموَّ الملكة.

فقالت له مارسيلا: ملكة؟ هاه حسنًا دعنا لا نلقي النكات الآن، لست ملكةً لأحد

قال أوغو تعتليه البسمة: ماذا تقصدين يا آيْ؟ أنت الملكة الحقيقية لورثة الأرض

أومأت مارسيلا برأسها قليلًا، ثم أخذت زفيرًا عميقًا يتبعه نهوضها من مكانها، وقالت بينما تخطو ببطءٍ هنا وهناك: في الواقع يا أوغو.. ثمة ما عليّ أن أخبرك به

صمتت قليلًا، ثم جلست مكانها وأردفت: أنا لستُ آيْ.. لستُ ابنة الملك الحقيقية

وأردفت ثانيةً: كان اسمي مارسيلا، مجرد لقيطة يتيمة لا أهلَ لها ولا أصدقاء.. ما كنت لأصبح تلك الفتاة التي ستحكم جل هؤلاء البشر

ثم أكملت: أما عن ساركان، فوددت قتله..

نعم كما سمعت، أظن أن آسيا أخبرتك بذلك أيضًا، وناصفة.. خادمة أبي.. أظنني من تسبب في نزع رأسها، لكني لم أدع الأمر يشغل بالي طويلًا أثناء وجودي في تلك الزنزانة؛ خوفًا من أن أذبح نفسي بتلك الزجاجة.. ندمًا على ما فات، ولكنني فعلتُ هذا لأسبابي.. ظننتُ أن ساركان يعلم بوجود حضارةٍ ذي شأنٍ أعلىٰ خارج أسوار آنتي لكنه يخفي الأمر عنا، وأيضًا شعوري بأنه أرغمني على تلك الحياة جعل كرهي له يزداد يومًا بعد الآخر،

وأردفت بشديد الحزن: لا أعلم يا أوغو.. أظن أنني من يستحق الموت.. ولا أحد غيري يستحقه

فابتسمَ أوغو ثانيةً.. ولم يتفوّه بكلمةٍ واحدة.. غلب الصمت لسان كليهما حتى قالت مارسيلا في ذهول: لماذا تبتسم؟ أوغو هل ترىٰ الأمر مُضحكًا إلى هذا الحد؟!!

أوغو: نعم.. أراه كذلك

ضمّت مارسيلا شفتيها بغضبٍ ونظرت له نظرةً سيئة، وقالت له: تظنني أمزح ولا تعرف أن هذه هي الحقيقة المُرة

نظر أوغو إليها نظرةً تتحدث باسم الحقيقة، وقال لها: أنصتي إليّ جيدًا يا مارسيلا.. ما كنتُ لأسمح لشخصٍ بإيذاء الملك.. نعم، لقد ارتكبتِ خطئًا جسيمًا لتسميم الملك، ولكنهُ لم يكن سُمًّا، إنهُ دواءٌ له تأثير يُماثل تأثير السموم.. وضعته ناصفة عوضًا عن السم الذي أعطيته لها وجعل الملك ينام لفتراتٍ طويلة ويعاني من بعض الأعراض ليس إلا.. كان الملك ساركان مُصابًا بالسرطانات في كامل جسده، وبالطبع تركتُ تأثير الدواء؛ حتى يهنأ في سباته قبل موته.. هذا ما طلبه مني قبل موته ولم أستطيع ألا أفعل ما قاله

وأردف قائلًا: مارسيلا.. لا تعرفين.. لا تعرفين كم كان ساركان رجلًا عظيمًا.. لا تعرفين شيئًا عنه

مارسيلا: حسنًا، هناك الكثير من الصدمات المتتالية ولكن.. أخبرني.. هل كنت تعرفه أنت؟

صمت أوغو للحظاتٍ وجيزة، ثم مسح أنفه بيده، وقال بلسانِ الحقيقة المرة: مارسيلا..! ليس والدكِ أنتِ..

ودام صمته ثانيةً بينما تهز مارسيلا برأسها حتى أكمل جملته قائلًا: الملك ساركان.. إنه والدي أنا.

(11) عيد ميلاد حزين

آنما سمعت آذانها قوله صار جسدها أشبه بصنمٍ عاجزٍ عن القول أو الحراك..! اصفرَّ وجهها..! أبىٰ عقلها تصديق ما سمعت وبدىٰ ذلك بعينيها التي لمع بها الإنكار والشك فيما قاله، بعد صمتٍ لم يدُم.. حدثته بملامحها الضامرة: ماذا تعني بوالدك؟

رد أوغو كاشفًا سر ما قاله: إنه والدي، وآيْ.. لقد كانت أختي غير الشقيقة، والتي قرر والدي أن يتخذ منك ابنة له عند مماتها؛ أنتِ تشبهين آيْ لدرجةٍ لا أُصدقها..! عندما رأيتك للمرة الأولى في صِغري ظننت أنني أُحدق بها..!

قالت مارسيلا ولم تفارق الصدمات وجهها: و.. و.. لماذا ذه.! ك.. كيف؟

نهض أوغو من مكانه آنذاك، ثم سار نحو طاولة تتواجد بإحدىٰ زوايا الغواصة الخلفية، وبالخلف نرىٰ الكثير من العساكر مُصطفين.. كالأصنام جامدين..! يُمسكون أسلحتهم لا يغلقون جفونهم ولو لثانية..! وعلى تلك الطاولة.. نرىٰ هذا الكتاب ذا الغلاف المُمزق والذي أحضرته مارسيلا معها على متن الغواصة، التقطه أوغو ليعود ثانيةً فيجلس أمام مارسيلا، وضع الكتاب الرفيع أمامها قائلًا: هنا تكمن الحقيقة، أو على الأقل بعض منها، حانت اللحظة التي لطالما تمناها أبي.. وهي أن تكتشفي الحقيقة بنفسك

وعندئذٍ، نظر إلى القادة ذوي الرتبة الأعلىٰ بمؤخرة الغواصة فرأىٰ أعينهم تحدق به وبمارسيلا، نظر إلى مارسيلا ليُكمل: عليَّ مناقشة بعض الأمور مع هؤلاء

بالخلف، أما أنتِ فلابُد أن تفتحي هذا الغلاف، ستعرفين من أكون.. ستعرفين جُل الأمر يا حبيبتي

اقترب منها حتى امتزجت أنفاسهما معًا، وقام بتقبيلها قبلة صغيرة في خدها الأيمن ليشتد احمراره خجلًا..! ابتسم لها ثم نهض ذاهبًا إلى هؤلاء القادة، أما مارسيلا فتجاهلت خجلها للآن بأن فتحت غلاف هذا الكتاب المذكور؛ حتى تزول تلك الستائر التي تختبئ الحقيقة تحتها وتصبح الأمور واضحة كما يجب.. فور فتحها للغلاف الذي كُتب عليه بالخط العريض «24-22» سقطت ورقة ذات لونٍ أصفر على الأرض.. سارعت بالتقاطها لتنظر إلى محتواها جيدًا، وبدأت بقراءة السطور الأولىٰ من تلك الأسطر المكتوبة ليتبين أنها رسالة من ساركان..!

" إلى مارسيلا العزيزة..

لم أكُ يومًا ناهرًا لك، أحببتك أكثر من ابنتي.. وهبتكِ اسمها.. «آيْ» ليس مجرد اسم، لا أعلم متى ستجدين هذا الكتاب ولكن ما أن يصير بين يديكِ.. سأكون قد انتقلت إلى الرفيق الأعلىٰ،

أوغو رجلٌ صالح، إنه ابني يا مارسي.. ابني..

من لحمي ودمي، أنجبته زوجتي قبل نكبة القمر، ماتت هي وبقىٰ أوغو حيًّا مع زملائي بالمنظمة، المنظمة التي لم تسمعي بها من قبل، «ذا آيْ - العين» حكمت العالم بعد حدوث النكبة، وقررنا عزل الإنسان بعيدًا عن كل ما يتعلق بالحداثة والتطور، لم يتركوا سلكًا نحاسيًّا حتى؛ كان نتيجةً لما فعله عالم نابغة يدعىٰ رشيد الأحمر، كان تابعًا للمنظمة لسنوات عدة وهذا قبل اختراعه لآلته الزمنية الملعونة، اخترق قواعد الطبيعة التي عهدناها، ماتت زوجته إثر دخولها إلى الآلة، أما هو.. فأظنه حيًا في زمنٍ آخر حتى هذه اللحظة، أما عن آسيا فكانت طفلة في سن العاشرة عندما أنقذتها من الموت.. أتذكرين الأعور الذي سألتني من يكون وما سبب انتحاره؟ لقد قتل والدة آسيا وأخويها.. وقتل والدها تباعًا بعد تعذيبه لأيام، أنقذتها من أن تلقىٰ حتفها وذهبت إلى بيت رشيد كما أُمرت؛ كي أنظر في أمر تلك الآلة التي تركها هناك، ولكن شاء القدر أن تكون الحادثة..

كاد أن يسافر أوغو هو الآخر؛ ليعود بهما وتنتهي مسألة الزمن المتلاعب، لكن قام أسياد المنظمة بإيقافه.. وأيضًا لم أقم باتخاذه ابنًا رسميًّا لي؛ إن فعلت ذلك سيصبح أميرًا لجزر آنتي كلها.. وهو أفضل العملاء السريين لدىٰ المنظمة لذا أُمرنا أن يبقىٰ أمرنا سرًّا، حتى زوجتي الثانية - والدة آيْ- لم تعلم بأمر أوغو، والآن بتّي تعلمين يا عزيزتي"

قلبت مارسيلا تلك الورقة الصفراء لتجد المزيد من الكلمات بظهرها..

" إنه يحبك، أوصيته أن يؤسس عائلةً معكِ عندما تسمح الأمور، وأن يحرص على سلامتك، أتمنىٰ أن تكون هذه الرسالة قد ألانت الأمور ولو قليلًا..

اعتني بنفسك جيدًا يابنتي.. أُحبك".

وما أن قرأت مارسيلا تلك الرسالة بصوتها الداخليّ وضعتها داخل صفحات الكتاب ثانيةً لتتساقط الدموع من عينيها، شعرت بالخزي مما فعلته، حاولت قتل الرجل الذي لم يكن بهذا السوء، كان خيرَ والدٍ لها.. لكنها لم تُدرك ذلك مسبقًا، وما أن هدأت عيناها مسحتهما بأصابعها الرقيقة، ونظرت تاليًا إلى بعض الطيات جوف الكتاب.. لتجد حينئذٍ خرائط وبيانات غريبة..! كلمات مشفرة وأخرى رقمية نوعًا ما، ظلت تحاول البحث داخل أولىٰ الطيات عن شيءٍ ذا دلالة أو معنىٰ حتى سمعت صوتًا أتىٰ من مقدمة الغواصة يقول: وصلنا، تأهبوا يا أرواح

نظرت نحو مؤخرة الغواصة بينما تتعجب من جملة الرجل لتجد أوغو آتيًا نحوها رفقة هؤلاء القادة، أمسك بيدها بينما هي تُمسك الكتاب باليد الأُخرىٰ ليخطو كل من بالداخل إلى مخرج الغواصة، وفورَ خروج مارسيلا من الغواصة خطت أقدامها على يابسة ميناءٍ غريب..! بدىٰ أنه تابع للمنظمة أيضًا؛ نُقش بالخارج الرمز المتعرج ذاته الذي رأته بالغواصة، ولوجود المزيد من هؤلاء العساكر على يابسته، وآنذلك سارعوا إلى طريق مُمتد للأمام يؤدي إلى نفقٍ سريٍّ، وهكذا

اتضح لنا أن بيت المنظمة السرية قد تم تشييده تحت الأرض وليس فوقها كما كان الظن.

بمشهدٍ يوالي ذلك..

الملكة آسيا هاجعةٌ على سريرها بغرفتها الرائعة.. تضع يدها خلف رأسها ناظرةً صوبَ سقف الغرفة البنفسجي، تُطالع عينيها.. بدىٰ عليهما بعض من الدمع المدفون والتعب، لم يكن تأثير السم.. بل فرط التفكير الذي أبداها كاللاموتىٰ.. أخذت آسيا تراود نفسها مرارًا وتكرارًا، وبداخلها تلك الذكرىٰ تحيىٰ كل يوم.. وبكامل الأسماء والصور.. أخذت الملكة تتذكر ذلك اليوم كأنه كان بالأمس..

.

.

.

ـــ أيها المحقق أرجوك لا تتركني..! ساركان..! أمي أين أنتي..! أبي ساعدني يا أبي..! عمتي أبرار أين أنتي..! عمي رشيد أرجوك..! أرجوكم فليُخرجني أحد

ـــ فور اختفاء آسيا بين الضوء المُشتعل، نراها من جديد.. تدور وتدور داخل شيء أشبه بالأنابيب الكبيرة.. كانت تلك الخيوط الزمنية الشاسعة، ألوانها تمتزج ما بين ألوان الطيف، أخذت تلك الخيوط الزمنية تسحبها للأمام بسرعة لم يسبق لها مثيل..! وأثناء كل ذلك رأت الطفلة ذي العشر أعوام ضوءًا قويًّا للغاية ينبعث من نهاية ذلك النفق المتحرك الأشبه بالأنابيب فأغمضت عينيها مستسلمةً لمصيرها المجهول.. وأخذ الضوء يشتد.. أكثر فأكثر إلى أن ضؤلت شدته ..! وتوقفت خيوط الزمن عن الدوران والتحرك، وحينئذٍ أدركت آسيا استقرار جسدها الذي كف عن الدوران أخيرًا، فتحا أعيُنها ببطء لتجد نفسها داخل مُضلعٍ غريب...!! يتحرك حركاتٍ متعددة الأبعاد..! خارج المضلع عديد الأضلاع

ذلك.. ترىٰ الزمن..! يتراجع أكثر فأكثر..! ترىٰ العشر أعوام التي عاشتها تمر خارج الجسم الغريب في أحداثٍ معكوسة.. ترىٰ الأعور يذبح والدها داخل المستودع.. ثم تراهُ يقتل والدتها وأخواها الصغيرين بسلاحه.. ترىٰ الكثير من الذكريات التي تعرفها.. وأخرىٰ تراها للمرة الأولىٰ.. لم تعرف إلى متى ستظل جامدةً كالصنم داخل هذا المضلع حتى كفَّ عن الحراك وكفَّ الزمن عن التراجع إلى الخلف.. فور حدوث ذلك سارت آسيا إلى الأمام قليلًا لتخترق متعدد الأضلاع بجسدها.. وفور خروجها من ذلك الجسم وجدت نفسها تحت أشعة الشمس الحارقة أمام مول تجاريٍّ ضخم لتظهر من العدم دون أن يراها أحد، نظرت يمينًا فوجدت سيارة آتية باتجاهها فركضت مبتعدة نحو الأمام، أعادت النظر ثانيةً إلى خلفها فوجدت طريقًا مزدحمًا بالسيارات، راودت الصغيرة نفسها قائلةً: تُرىٰ أين أنا؟

سارا إلى المول التجاريٌّ بينما تلاحظ تغيرًا كبيرًا في يدها.. وأرجلها أصبحت نصف مكشوفة بعدما كانت مُغطاةً بأكملها بتلك العباءة السوداء.. فسارت آنئذٍ نحو أحد متاجر الملابس بالطابق الأول من المول، لتدلف تباعًا بإحدىٰ غرف تغيير الملابس.. وآن دخولها نظرت إلى المرآة.. لتُصعق مما قد رأته..! رأت فتاةً في عمر العشرين تقريبًا...!! أيُعقل؟ كان سفرها عبر الزمن سببًا في تقدم سنها بعشر أعوامٍ تقريبًا..! بعد مرور دقائق من الصدمة غادرت آسيا متجر الملابس وبدىٰ علىٰ وجهها تعابير ممزوجة بالألم والسوء.. وحتى الآن لم تفهم أي شيءٍ مما يحدث.. سارت قليلًا إلى الأمام لتتوقف فجأة..! ناظرةً إلى سيارة بيضاء رائعة..! أمعنت النظر إلى السيدة التي تخرج من باب السيارة، فاتسعت حدقتا عينيها مما قد رأته توًا..! قالت بصوتٍ قد اختلف عن صوتها الطفوليٌّ: يالَل.. عمتي...!!

ـــلقد انتقلت إلى اليوم..! يوم حادثة أبرار بالآلة الزمنية..! يومَ شراء أبرار لتلك الأسوارة المعدنية، يبدو أن العالم رشيد قد ضبط هذه الآلة لتعود بالزمن إلى هذا اليوم تحديدًا حتى ينقذ زوجته أو ينقذها عثمان إن نجىٰ من الأعور، لكنه لم ينجو.. فعلت ابنته.

ما أن رأت آسيا أبرار صمتت لبُرهة من الزمن، ثم أوقفت شابًّا في مثل سنها يمر نحو المول التجاريُّ وعندما فعل سارعت بسؤاله عن تاريخ اليوم، فأجابها بينما يختلس نظره إلى أرجلها المكشوفة قائلًا: إنه الخامس من أغسطس.

لم يكد أن يسير خطوتين نحو المول حتى أوقفته آسيا مجددًا قائلة: وفي أيُّ عامٍ نحن؟

فسألها مبتسمًا: ألا تعلمين في أيّ عامٍ نحن؟

ثم أردف قائلًا: نحن في ألفين ثلاثة وأربعين أيتها الجميلة

غلب الصمت لسان آسيا عندما علمت في أي عام تمكُث.. وهذا حتى قاطع الشاب صمتها قائلًا: آنستي؟ هل أنتِ بخير؟

فأجابته متوترة: نعم نعم على ما يرام، شكرًا لك

ابتسم الشاب بنيما يختلس النظر لأرجلها ثانيةً.. وأكمل طريقه نحو المول بينما تقف آسيا.. تراود نفسها بتذمر قائلة:

- آنسة؟ لا أصدق، وهذا الجسم لماذا أحتاج جسد امرأة ومازلتُ في سن العاشرة؟ وما هذا الصوت الذي أُخرجُه..!

ثم أكملت مُحدثةً نفسها: لن أُهدر الوقت في أسئلتي الغبية، عليّ إنقاذ حياة عمتي مهما كلف الأمر، إن عاشت في المستقبل لن يحدث أيٌّ من هذا وستصبح عائلتي بخير، ولكن كيف أفعل ذلك؟

أخذت الفتاة تنظر من حولها باحثةً عن سبيلٍ يقودها إلى مبغاها، وأثناء بحثها وطدت عيناها إلى متجر الملابس الذي كانت به قبل قليل، صمتت لبُرهةٍ وجيزة ثم سارعت للدخول إلى المتجر بسرعة، وظلت داخله لدقائق وجيزة، ثم خرجت ثانيةً، ترتدي ملابس سوداء اللون، ترتدي نظاراتٍ شمسية ووشاحًا يُغطي نصف وجهها السفلي..!

— بالتأكيد تتساءل من أين جاءت بالمال لشراء الملابس؟ لكن تساؤلك لن يدوم، ها وقد أتىٰ رجلان إلى خارج المتجر يسارعان البحث يمينًا ويسارًا عن السارقة التي أخذت تلك الملابس وعلقت عباءتها السوداء على باب الغرفة الداخلية..

تحركت آسيا سريعًا لألّا يراها رجال المتجر، وسارت بين السيارات.. تنظر في كافة الاتجاهات.. وكاد صوت نبضات قلبها أن يكون عاليًا بما يكفي لتسمعه..! وها هي تقف أمام سيارة أبرار البيضاء، ولحسن حظها لم تُقفل أبرار سيارتها في ذلك اليوم لذا لم يطُل الأمر حتى دلفت آسيا إلى الداخل.. ولحسن الحظ أيضًا هي تعرف القليل عن طريقة عمل السيارة، فقامت بدفع ذراع التعشيق نحو الأمام، ثم وجدت مفتاحًا مُعلقًا داخل فتحةٍ خصصت له فقامت بتدويره سريعًا، وعلى الفور وجدنا آنستنا تضغط بقدمها على دواسة السرعة، لتُسارع بالسيارة نحو الأمام..! أمسكت سريعًا بعجلة القيادة وأدارتها نحو اليمين كي تتفادىٰ دهس هؤلاء البشر من أمامها..! ظلت تأخذ طريقها يمينًا ويسارًا.. تتصادم بالكثير من الكراسي بذلك المطعم المجاور.. احتكَّت جوانب سيارتها في جدران المباني بالخارج حتى انكسرت المرآة الجانبية..

وبعد الكثير من القيادة بعيدًا عن المول التجاريّ.. توقفت السيارة بمحاذاة شارعٍ قديم وغريب..! بدىٰ أن هذا الشارع مهجور بأكمله ولا سكان به، أخذت زفيرًا

قويًّا لنجاتها بأعجوبة، ثم نظرت إلى المرآة الأمامية التي أمامها فوجدت أحد حواجبها تسيل الدماء منه إثر اصطداماتها الغير متعمدة، غادرت تلك السيارة سريعًا ولم تأبه لذاك الجرح بوجهها.. وأخذت تراقب الطريق الذي أتت منه؛ خوفًا من أن يتبعها أحد هؤلاء الرجال بالمتجر أو أحد أفراد الأمن.. فور أن اطمأن قلبها بعدم وجود أحد.. نظرت من حولها يمينًا ويسارًا.. وبدأت بالسير بين حدائق تلك المنازل متخللةً أسوارها الخشبية البنية، وأثناء سيرها.. يتصبب وجهها وجسدها عرقًا وتزداد ثيابها السوداء سخونة تحت الشمس الملتهبة، لم يطُل سيرها حتى توقفت أمام منزلٍ مهجور ما.. فاعتلت الفرحة وجهها آنما أبصرته عيناها..! كان نفس المنزل الذي دلفته برفقة ساركان.. وقد تعرفت آسيا على المنزل فور رؤيته مراودةً نفسها بصوتها الجديد: يبدو أنه يوم حظي.. عليَّ الدخول إلى المنزل سريعًا.. لم يعد من الوقت الكثير

وقفت أمام باب المنزل لتحاول دفعه فلم تستطع ذلك، ثم قامت بركلهِ بقدمها بكامل قوتها فلم تستطع أيضًا، لذا لم يُترك حلٌّ آخر أمامها.. أمسكت بحجارةٍ قد رأتها دنو ذلك السور الخشبي البني.. ثم حدقت بتلك النافذة بالجانب الأيمن من المنزل المهجور، وها هي ترميه بكل قوة لينكسر بعضٌ من زجاج النافذة فقط، جلبت آسيا حجارةً أكبر وكررت ما فعلته سابقًا، وعاودت الأمر تباعًا حتى لم يبقَ من زجاج النافذة شيئًا، أمسكت آسيا بفتحة النافذة متسلقةً نحوها كي تصبح داخل المنزل، لم تُرد إهدار المزيد من الوقت لذا ركضت بسرعةٍ نحو السلم الذي صعدته صحبة ساركان من قبل.. ثم ذهبت نحو تلك الغرفة التي تأوي آلة الزمن.. وكما توقعت آسيا وجدت هذا الباب مقفلًا كمل وجدته سابقًا.. حدثت نفسها قائلةً: فكري.. بالتأكيد هناك وسيلة ما لكسر القفل كما كسرت النافذة

أخذت تهرول في أركان المنزل باحثةً عن شيءٍ قوي بما فيه الكفاية لكسر ذاك القفل.. وبعد دقائق من البحث وجدت مفتاحًا كبيرًا خاصًّا بتصليح السيارات.. أخذته وعلى الفور قامت بضرب القفل مرارًا وتكرارًا..! لم تكُف عن ضرب القفل حتى وقع مكسورًا على قدميها، ووقتما حدث.. أخذت شهيقًا طويلًا تبعه زفيرٌ قويٌّ.. ثم تركت المفتاح جانبًا وبحثت في جيوبها وكامل جسدها عن أي شيءٍ معدنيّ.. خوفًا من حدوث الأمر من جديد.. وعندما أيقنت أنها لا تحمل معدنًا دلفت إلى الغرفة بكامل الخوف والقلق، وجدت تلك الآلة الزمنية على نفس

الحال الذي كانت عليه سابقًا، باشرت بإيجاد اللوحة التي وجدها ساركان سابقًا؛ كي تجد سبيلًا للتحكم في إعدادات هذه الآلة.. وظلت تحدق في كافة الأزرار لدقائق عديدة ولم تجد مبغاها، طال وقوفها أمام تلك اللوحة المليئة بالأزرار حتى وجدت زرًّا ذا لونٍ أسود يُقارب ذلك الزر الأحمر «بدء».. محفورٌ عليه رمز يشير إلى عقارب الساعة الثلاث متلاحمة.. ضغطت آسيا دون أن تفكر لتُضيء الأزرار باللونين الأبيض والأحمر..! وانبلجت منها لوحة تحكمٍ إلكترونية ذكية..! ضوؤها أزرق اللون عليها رسمٌ هندسيٌّ لتركيب تلك الآلة..! ذهُلت الفتاة من بديع الأمر ولكن لا وقت لتأمل الآلة.. بدأت بلمس رمزٍ تلو الآخر.. تحاول ترجمة الكلام المكتوب باللغة الانجليزية.. كلماتٌ تترجمها وأخرىٰ تحدق بها مفتوحة العينين والفم.. ظلت تحاول جاهدة لإيجاد سبيلها تختار رمزًا تلو الآخر..

ساعات تركض وراء أخرىٰ في محاولات باءت بالفشل.. أُنهِك جسد آسيا كثيرًا.. لا تقوىٰ على صلب جسدها من كثرة عناءه.. ولكنها سئمت البحث دون جدوىٰ، ظهر الحزن الممتزج بالغضب على وجهها، وكادت أن تستسلم لمصيرها المحتوم إلى أن رأت رمزًا يقع أسفل يمين اللوحة الإلكترونية.. وما أن ضغطت على هذا الرمز حتى تحولت هذه اللوحة إلى لوحةٍ أصغر حجمًا..! تعرض تاريخ اليوم.. الخامس من أغسطس عام ألفين وثلاثة وأربعين، تاريخ الحادثة..! أدركت آسيا أنها إن غيرت هذه الأرقام سيكون بوسعها تغيير وجهتها فقررت أن تتقدم بالزمن عامًا واحدًا فقط، قامت بالإشارة بإصبعها نحو الرقم «3» الخاص بعام «2043» وسحبت بإصبعها إلى الأعلىٰ رقمًا واحدًا ليُصبح العام «2044»، عاينت ذلك التاريخ.. تتريث قليلًا بينما تحك ذقنها بأصابعها، ثم قالت بصوتٍ مسموع: أتساءل ماذا سيحدث إن انتقلت بالزمن إلى يوم ميلاديَ التالي؟!

صمتت قليلًا لتُردف بابتسامةٍ جذلة: سأفعلها، لقد استحق الأمر العناء على كل حال

أشارت بإصبع السبابة مجددًا تُعدل هذه الأرقام، ليصبح التاريخ المدون «السابع والعشرين من شهر أغسطس عام 2044».. ابتسمت دنوَّ اللوحة الإلكترونية

تلك، ثم باشرت لتُغلقها كما قامت بفتحها، ظنت أن الحظ سيدوم.. لم تعلم بخبايا القدر المؤلمة بعد.

(12) عهد كولا القديم

الخامس من أغسطس | 2043

نرىٰ مشهدين على التوازي..

تلتصق أبرار بالآلة بمختبر الأحمر، وتدخل آسيا إلى الأخرى بالمنزل المهجور، ويُعاد السياق من جديد، حيث تتحول أبرار لكومةٍ من الأشلاء إثر عُطلٍ بالآلة الزمنية ويفقد عالمنا الجليل ذراعهُ في محاولةٍ باءت بالفشل لسحب زوجته، بينما بدأ العد التنازلي من العشرة إلى الصفر داخل الآلة التي تحمل آسيا.. بدت سعيدةً أكثر من أي وقت مضىٰ، ظنت أنها ستعود إلى الديار من جديد لتعيش حياتها بهدوء مع عائلتها.. خالت أنها أنقذت أبرار بسرقة سيارتها البيضاء.. ولكن لم يكُن حظها السيء بالحسبان، عند الثانية الصفرية للإقلاع اختفت آسيا كما فعلت سابقًا لتبقىٰ الآلة المدمرة كليًا بالغرفة المذكورة..

نرىٰ الفتاة تدور مجددًا داخل تلك الخيوط الزمنية الشاسعة.. تُسحب بسرعة لا يُدركها بشر.. وأثناء دورانها ظنت أن كل شيءٍ على ما يُرام، حتى حدث ما لم يكُن بالحسبان..! ذلك النفق «الخيط الزمني» لم تُصدر نهايته الضوء كما السابق.. بل كانت أشبه ببؤرة من الظلام والخوف تقترب من آسيا كما يقترب الموت من صاحبه..! وما أن أبصرت ذلك حتى حاولت الخروج من الأنبوب الزمني الغير ملموس..! حاولت دفع جسدها تسبح كما السمكة في ذلك الفراغ، وآنذاك.. هوت آسيا من خيطها الزمني لتُصبح خارجه...!! حيث نرىٰ بلايين البلايين من تلك الخطوط تتحرك بكل الاتجاهات دون أن تتقاطع..! كان المنظر لا يُمكن وصفه، بدىٰ الأمر كالفوضىٰ العارمة..! أثناء سقوطها تُغمض عينيها يهوي جسدها بأكثر من اتجاه بآنٍ واحد، ولم يدُم أمر سقوطها حتى ظهر الظلام الكارثي على هيئة ثقبٍ مهول أحاط بها ليحتضنها ويُبيدها من ذلك المكان اللامكاني فتختفي كليًا دون أثر وتعود تفك الخيوط لما كانت عليه..!

سقطت آسيا وهوت داخل ذلك الثقب الأسود المجهول.. يتوقف الزمان داخل ذلك الثقب، تظل تهوي وتدور بالفراغ المظلم للكثير من الوقت دون أن تشعر بأي شيء، كأن وظائف جسدها توقفت عن العمل آنذلك، وفجأة..! في بُعدٍ آخر.. وداخل مجرةٍ أخرىٰ.. وعلى متن كوكب شاء القدر به كوكبًا آمنًا وملاذًا للمسكينة آسيا بدأ كل شيء..

كيب لار | أرض مملكة نيانوس

مدينةٌ كبيرة.. بها أبراج متراصة بلا تلاصق، زحامٌ بين سكان الكوكب النيانيين تحت السماء التي امتازت بالشفق الرائع حد الجنون، هذا ما رأتهُ آسيا فور عبورها إلى البُعد الآخر بواسطة ذاك الثقب الأسود الذي ابتلعها ليُلقي بها أُفقيًا بتلك المدينة، وتظهر أمامهم من اللاشيء..! وتنظر إحدى النساء اللاتي يتجولن في أرجاء المدينة طوفًا لا سيرًا إلى الفتاة آسيا، وينظر ابنها الصغير الذي يحمل نفس مظهر أمه تقريبًا إلى آسيا أيضًا، ذات عيونٍ غير بنفسجيةٍ باهتة، وثيابٍ غريبة مُطرزة، وخيوطٍ سوداء تنهمر بغزارةٍ من أعلى رأسها، وبالطبع لون جسدها القمحيُّ الذي لم تمسسه بقعة سوداء واحدة...!! كل تلك الصفات هيأت عقل المرأة النيانية أن تلك الفتاة كائن لا نيانيّ غريب، ولذلك قامت بترك الطفل ليطوف وحده لتطوف مُهرولةً أسفل برجٍ ليس ببعيد، حيث توقفت أمام حراسٍ من نفس جنسها النيانيُّ، وتحدثت إليهم بكلماتٍ ليست عربية أو أرضية من الأساس، ثم أشارت بكلتا يديها صوبَ الطريق الذي تقف آسيا به لتطوف المرأة صُحبة الحراس إلى الأعلىٰ مسارعين إلى مكان آسيا فتراهم فتاتنا البشرية من الأسفل..! بعضهم يحمل دروعًا وما شابهها وبعضٌ آخر يكاد جسدهم أن يكون عاريًا تمامًا.. هبوا جميعًا إلى الفتاة البشرية بعدما صرخ أحدهم بجملة بتلك اللغة الظلالية خاصتهم، مشيرًا إلى عينيه هو.. ثم إلى آسيا.. يبدو أنه يقصد بعينيها اللا بنفسجية.. سارعوا جميعًا نحو آسيا، ليُمسك بها حارس من الحراس واضعًا يديها أسفل ظهرها.. تحدثوا فيما بينهم بجملٍ غير مفهومة مرةً أخرىٰ ومن ثم طافوا جميعًا إلى الأعلىٰ.. تاركين المرأة النيانية لتعود لابنها الذي كان يراقب ما يحدث وسط زحامٍ شديدٍ للغاية من النيانيين السُّمر..

وبعد دقائق قليلة.. بات الحراس وآسيا أمام القلعة الحمراء.. قلعة نيانوس الكبرىٰ، لم يكن بالحسبان أن تلك الفتاة ستعتلي عرشها ذات يوم، تقدم الحراس سيرًا نحو بوابة القلعة دلوفًا إلى الصالة الكبرىٰ بالداخل، وفورَ دخولهم نرىٰ الكثير من الحراس المتراصين في خطوطٍ غير مستقيمة داخل الصالة، ونرىٰ وجوههم العابسة للغاية.. ينظرون بتمعن نحو تلك المخلوقة الغريبة؛ ليست من أرض النيانيين.. وليست سيليثورية من قوم آرا، بعد سيرهم صوب الأمام ينتهي بهم الأمر في نهاية الصالة الكبرىٰ.. جثىٰ جميعهم على أرجلهم بما فيهم آسيا التي فعلت مثلهم أمام الملك العظيم الموقر.. «الملك رايدن» حاكم أرض نيانوس العظيمة والذي ظل محدقًا بعيني آسيا وشعرها الأسود والمنسدل وجسدها اللا أسمر.. يتمعن بتفاصيل مظهرها ليهذي أمامها بكلامٍ غير مفهوم، فيرد عليه أحد الحراس بجملةٍ أخرىٰ بتلك اللغة الغريبة، ظلت آسيا تجهل ما يحدث تمامًا ولا تتفوه بكلمة منذ أن حطت على متن هذه الأرض الغريبة، لا تعلم من هؤلاء.. ولأي جنسٍ ينتمون.. لم تفهم كلمة واحدة منذ أن بدأ الحديث بين الملك والحارس، وبعد فترةٍ وجيزة أمر الحارس بانصراف بقية الحراس لتظل آسيا مُتمثلة أمام الملك الأسمر الذي يتربع على عرشه، تملك الصمت من الجميع لبعض الوقت حتى دلفت إحدىٰ النساء النيانيين إلى الصالة الكبرىٰ بالقلعة وعلى وجهها بعض الخطوط والرموز المرسومة بطلاءٍ أبيض.. ترتدي زيًّا ذهبيًّا بنفسجيًّا رائعًا! انحنت أمام ملكها مُحدثةً إياه بتلك اللهجة الفضائية.. ولا تزال آسيا واقفة أمام الملك.. لا تتفوه بكلمةٍ واحدة.. تتمنى أن يكون كل هذا مجرد خيال برأسها ليس إلا، وأثناء شرودها بالتفكير في الأمر سارت تلك المرأة السمراء نحوها لتضع يدها اليمنىٰ على رأس آسيا، وعندئذٍ.. سرت رعشة بجسد آسيا لم تشعر بها من قبل، دق قلبها بصوتٍ كاد أن يسمعه من بالصالة الملكية..! وآنذلك.. تحولت عيون تلك المرأة إلى اللون الأسود ليُصبح وجهها مخيفًا للغاية.. وهمست بكلماتٍ أخرىٰ لم تفهمها آسيا وظلت هكذا لثوانٍ معدودة.. وما أن انتهت من التفوه بتلك الكلمات الفضائية حتى عادت عيناها إلى لونهما البنفسجيّ من جديد، ثم أزالت يدها عن جبين آسيا لتفتح عينيها مُبصرةً تلك المرأة ثانيةً.. وبعد لحظات.. قُطِع الصمت بحديث المرأة النيانيّة إلى آسيا، قائلةً في صرامة: من أنتِ؟ من أين أنتِ؟ ومتى جئتِ؟

نظرت إليها آسيا في ذهول...!! فردّت دون أن تفكر: أنا.. اسمي آسيا.. وُلدت ببابل بالعراق، جئت قبل مجيء الحراس بدقيقتين أو ثلاث..

وأردفت: في أي زمنٍ نحن؟

ردت النيانية قائلة: زمن نيانوس

ثم أكملت سريعًا: أين كوكب العراق؟

فردت آسيا متلعثمٌ لسانها: ما.. ماذا تعنين؟

أجابت النيانية بصرامة: أين.. كوكب.. العراق؟

ردت آسيا بكامل خوفها المدفون: ليست كوكبًا، بل دولة.. أي مدينة كبيرة، العراق تقع في كوكب الأرض

ثم أردفت: ألسنا على الأرض حاليًّا؟

النيانية: هنا كوكب كيب لار، لا وجود لكوكب يدعىٰ الأرض في هذا البعد على حد علمي

ثم التفتت المرأة إلى الملك بجانبها.. وتبادلا الحديث بتلك الغة الغريبة، ثم عاودت المرأة حديثها مع آسيا قائلةً: هل ڤان-توراس من جاء بكِ إلى هنا؟

فردت آسيا في ذهول: من؟

اقتربت المرأة من آسيا وعاودت سؤالها بغضب، لترد الفتاة: لا أعرف من تقصدين، لقد انتقلت بالزمن.. ويبدو أنني هويت داخل أحد الثقوب السوداء أو ما شابه، ظللتُ أدور في الفراغ المظلم حتى وجدت نفسي هنا في تلك المدينة

فالتفتت المرأة إلى الملك ثانيةً لتُترجم حديث آسيا له، فتحدث بعض الكلمات بذات اللغة، ثم ترجمتها المرأة بقولها: يقول الملك أنه مُمتعض من وجود كائنات غريبة عن الكوكب على أرض مملكته، ولا يصدق انتقالكِ من زمنٍ لآخر.. الجميع يعلم هذا.. وحدها دماء النسل النيانوسي الملكي تستطيع السفر عبر الأزمنة والمجرات..

وأردفت: ينوي الملك نزع روحك.. هذا إن لم ينل ما يريده

فنظرت آسيا إلى الملك نظرة مليئة بالتذلل والضعف أتبعتها بالجثوم على ركبتيها مسدلةً رأسها إلى الأسفل، ورأىٰ الملك دموعها التي تساقطت على خدها الورديٌ ليتعجب مما رأىٰ...!! وتعجبت تلك المرأة فوضعت إصبعها أسفل الدموع المتساقطة وهي تقول: أهذا ماء؟

فالتفتت إليها آسيا دون أن تنطق.. وأردفت بكاءها قائلة: ماذا تريدون مني؟ لا أملك شيئًا.. حتى تلك الملابس التي أرتديها.. ليست لي

صمتت المرأة النيانية قليلًا ثم نظرت إلى الملك فتمتم برأسه دون أن ينطق، فقالت لها: سترافقين الملك من الآن فصاعدًا إلى أن يأذن بإطلاق سراحكِ أو إطلاق رأسك.. هو من سيحدد مصيرك

ثم سارت إلى الملك بعض خطواتٍ حتى فصلت بينهما سنتيمترات قليلة، ثم وضعت يدها على رأسه فتُبلج أعينهما للحظات.. ثم أزالت يدها وزال الضوء من أعينهما، بدىٰ أنها تزرع برأسه تلك اللغة التي قرأتها من دماغ آسيا.. انحنت المرأة إلى الملك فتمتم برأسه لتغادر هذه المرأة الصالة الملكية ويغادر رفقتها بعض الحراس، بينما تظل آسيا أمام الملك، جاثمةً على ركبتيها.. يستمر بكاؤها.. تتساقط دموعها اللامعة، ظلت هكذا حتى نطق الملك بها بالعربية قائلًا: خائفة؟

صمتت آسيا لبرهةٍ ثم أجابت: أجل يا سيدي

أكمل الملك رايدن في صوتٍ مُريع: لا مكان للخوف على أرض نيانوس، من خاف يُسفَك

فقالت آسيا بلسانٍ مُتلعثم: لا أخاف أحدًا

قام الملك عن عرشه، وسار نحو آسيا التي لا تزال جاثيةَ الأرض أمامه إلى أن وقف أمامها مباشرةً، نظرت أعلاها لترىٰ وجهه.. فقال لها: لا أحد؟

ردا آسيا بعيونٍ منكسرة وقلبٍ محطم: لا أعبأ بشيءٍ يا سيدي، فنت عائلتي.. سُفكوا بدمٍ بارد، حاولت إنقاذ الجميع وتغيير القدر، لكن باءت محاولاتي بالفشل.. يمكنك نزع رأسي إذا شئت، إن مِتُّ الآن.. سأجتمع بعائلتي في الجنة

فصمت الملك للحظاتٍ وجيزة، ثم هبط وجثىٰ على ركبته اليمنىٰ ملقيًا برجله اليسرىٰ إلى الخلف فتُصبح رأسه دنوّ رأس آسيا، وقال في نبرة سُخرَة: وما الجنة؟

نظرت آسيا صوبَ عينيه، ثم نهضت قبل أن ينهض الملك لتُصبح في نفس مستوىٰ رأسه لطول قامته وضخامة جسده.. وقالت له في ثقة: الجنة.. نعيمٌ بلا نهاية، تجري من تحتها الأنهار.. عليها ما لا يأتي على بال بشر، تملؤها بالأعناب والرمان والكثير من النعم، إن دخل الإنسان الجنة.. ستبدأ راحته الأبدية، يخلد فيها أبدا.. إن أردتَ إرسالي إلى ذلك النعيم فعليك نزع رأسي كما قالت هذه المرأة السوداء قبل قليل

اندهش الملك من شجاعتها وجرأتها العظيمة..! تحدثه وتقف أمامه وهو لا يزال يجثم على ركبتيه..! وقف الملك آنذاك ثم نظرت عيناهُ صوب عيني آسيا.. وبدىٰ أنه مُعجبٌ بكلامها وبذكاء دماغها.. على الرغم من اضمحلال ذكاء البشر مجتمعين أمام نيانيٍّ واحد.. إلا أن آسيا ليست بشرية عادية، إنها البشرية التي هوَت إلى بُعد آخر..

ـــ استغرق الأمر بعض الوقت حتى جعل الملك رايدن من آسيا نائبةً لجُل شؤون المملكة، تقربت منه آسيا يومًا بعد يوم حتى أصاب حسنها قلبه فجعلها ملكته وزوجته.. لم يكُن بحسبانه إمكانية تزاوج بشريٍّ مع نيانيٌّ.. لكنهما رُزقا بمولودهما الأول.. «نارو» الفارس الذي سيمتطي المملكة خلف والده، ثم جاء القدر ثانيةً بخباياه.. كان موت الملك على يد البشرية زوجته، سممته.. كما سممت كافة نساء الملك الجميلات اللاتي اصطفاهم الملك ليعاشرهم باستمرار؛ فهذه عادات ملوك نيانوس القدماء.. ولن تتغير بحب الملك رايدن لآسيا، من المفترض أن تكون النساء الثانويات عقيماتٍ منزوعاتِ الرحم، وجل النساء كانوا كذلك.. جميعهم عدا المرأة التي حدثنا عنها ابنها بعد سنواتٍ من اعتلاء آسيا لعرشها.. إنها السيدة «فاران».

****

ها وقد كفت آسيا عن تذكر الماضي بحذافيره للمرة المليون.. ارتشفت دموعها المُنهمرة.. ثم نهضت من فراشها مغادرةً غرفتها.. ذاهبةً لتعتلي عرشها كما اعتادت أن تفعل دومًا.

البيت السري للمنظمة «العين» | 2080

تحت الأنقاض.. مقرٌّ ضخم وواسع.. ينقسم إلى العديد من الأقسام المليئة بأجهزةٍ غريبة تراها مارسيلا للمرة الأولى.. يفصل بين هذه الأقسام حوائطٌ من مادة زجاجية جذابة.. تراقب مارسيلا عملاء منظمة عين السريين.. كل فردٍ يرتدي بذلةً بالأبيض والأسود وحذاء أسود لامع، رجلًا كان أو امرأة.. تختلف أعمارهم ما بين العشرين والستين عام.. كل منهم يقوم بالعديد من المهام.. يسيرون ذهابًا وإيابًا في أقسام بيت المنظمة.. ظلت تراقبهم حتى قاطعها أوغو حين ناداها لتسير معهُ فلبَّت، وسارا بين مئات الأفراد من المنظمة وصولًا إلى غرفةٍ واسعة بها مكتبٌ ومكتبة صغيرة تحتوي على ملفاتٍ ورقية، وفوق المكتب هناك لوحة تحكمٍ ذكية كتلك التي رأتها أبرار بمختبر زوجها، لكنها أكبر.. نظرت مارسيلا صوبَ أمامها.. لتجد صورة معلقة على الحائط.. كانت لساركان في عمر الثلاثين عامًا..! يرتدي بذلة كما باقي أفراد المنظمة، يبتسم أثناء النظر بالكاميرا، وآنذلك.. ابتسمت أثناء تحديقها بصورة ساركان.. أغلق أوغو باب الغرفة وأتىٰ ليمسك بيد مارسيلا آخذًا إياها لتجلس أمامه على أريكةٍ تستند إلى الحائط فجلسا، وعندئذٍ قالت له مارسيلا: أما آن لك أن تجيب على أسئلتي؟

رد أوغو مبتسمًا: أية أسئلة؟

قالت بكامل الفضول: من أين لك أن تكون على قيد الحياة؟ كيف لكم أن تعزلوا البشر كما البدائيين القدماء؟ ما تلك الجملة التي قلتها عند التلة لتجعلنا نختفي ونظهر بعيدًا ولا يرانا نارو؟ أريد معرفة كل شيء.. كل شيء يا أوغو

أخذ أوغو شهيقًا قويًّا وأخرجه، ثم أجابها قائلًا: آه فلنرىٰ إذًا..

لقد أمرت آسيا بإشاعة أمر قتلي لألّا يعبأ أحدٌ بمصيري فيما بعد، وذهبتُ مع نارو بإحدىٰ غواصاتنا السرية إلى الكثير من بقاع الأرض ولكن دون جدوىٰ، جعلته يظن ذلك، فوق بيت المنظمة الذي نحن به.. ثمة الكثير من الإشعاع المُميت.. لذا لم نستطع المجيء إلى هنا حينها..

عدنا أدراجنا وأمرني بوضع ذاك الزيّ الأشبه بالستائر فوق رأسي.. عندما أتينا إلى القلعة، رأيتكِ.. لقد استطعتي الاختباء من الحراس ونارو.. ولكني قد لمحتُ أصابع يدك خلف ذلك الحائط.. وبعدما دلفنا إلى الداخل لمحتُ ظلًّا دنوّ النافذة الصغيرة التي بأعلىٰ السلم.. علمت أنها أنتِ

بعد مرور وقتٍ من مغادرة نارو ليبحث عنكِ استطعت تسميم الملكة.. وأعلم جيدًا أنها مازالت على قيد الحياة.. أنقذها ابنها بالطبع..

آنذلك غادرت أنا مهرولًا من نفس النافذة إلى القصر، علمت جيدًا أنه إذا احتُضِر أبي سيخبركِ بشأن الكتاب أولًا قبل موته.

فصمتت مارسيلا للحظات، ثم قالت: ماذا عن آسيا؟ كيف جاءت بهؤلاء الفضائيين؟

رد أوغو: في الواقع لم نستطِع تحديد جنسهم أو تفاصيلهم التشريحية، لم أستطِع إيجاد شعرٍ أو أظافر حتى نحللها ونفحصها، ولكن هناك حرب قريبة بينهم وبين مملكةٍ من كوكبهم تُدعىٰ آرا، سيأتون إلى كوكب الأرض، وعندئذٍ ستبيدهم آسيا كما ذكرت سابقًا

مارسيلا: وماذا عن تلك الجمل السحرية؟ كالتي قلتها لتنقذني؟

أوغو: نعم بشأن ذلك، أخبرتني آسيا منذ أشهر بقصة تسمي بقصة أسلاف الدماء، هم من أصابوا لعنةً أمام كل جملةٍ من تلك الجمل.. كل جملةٍ تسمى عهدًا ويحمل كل عهد قوة تختلف عن باقي الجمل.. خمس عهود لخمس محاربين قدامىٰ من النيانيين، سُمي ذلك بعهود كولا.. عهودٌ صُنعت لاستمرار نسل الجنسين بأرض هؤلاء السمر، لا يُسمح أن يستعملها أحد في فترات الهُدنة.. لكن الهدنة قد انتهت عند مغادرة آسيا بشعبها من كيب لار وقررت شن حربٍ آنما تستعد، أي نياني لن يستطيع استخدام تلك العهود بلعنته، لست نيانيًّا لذا.. فعلتُ ما بوسعي

مارسيلا: وكيف عرفت تلك التعويذة؟ أقصد هذا العهد؟

أوغو: لدي طرقي الخاصة، أنا عميلٌ سريٌّ.. أستطيع كشف الخبايا ولو اختبأت في باطن الأرض

ردت مارسيلا ضاحكة: رويدًا أيها الجاسوس، لم أعتد بعد على كونك بطلًا على وشك إنقاذ العالم..

اقتربت منه وأمسكت بخده بيدها اليسرىٰ وأردفت: أنت الملك الحقيقي لهذه الأرض يا صاحب ابتسامة البلدة، وستصبح كذلك إن رحل هؤلاء الغزاه

ابتسم أوغو بشدة ليخجل مما يحدث، نهض وهو ينظر إلى مارسيلا قائلًا: سنرىٰ بهذا الشأن لاحقًا.. أما الآن فعليَّ النظر في بعض الأمور.. وأنتِ خذي قسطًا من الراحة يا حبيبتي

سار باتجاه الباب تاركًا مارسيلا لتبتسم أثناء مغادرته، وقبل أن يغادر باب الغرفة نادته مارسيلا بكامل المحبة: أوغو..!

فالتفت إليها لتكمل: هناك خطبٌ آخر

أوغو: ما الخطب؟

مارسيلا: أتذكُر حين أتت آسيا بيومها الأول في القصر القديم؟ لقد زارت والدي.. آآ.. أقصدك والدك المريض.. والذي قمت بتسميمه، آه سحقًا لي فيمَ كنت أفك..

فقاطعها أوغو قائلًا: عزيزتي، أنا لن أكرهكِ لهذا.. لقد قدمتِ لي عذرًا فقبلته، لا تشعري بالذنب حسنًا؟ كما أنه كان دواءً فقط كما أخبرتك، والآن عليّ الذهاب

فأوقفته مارسيلا سريعًا: انتظر..!

التفت إليها من جديدٍ فأردفت: ليس هذا، إنه خطبٌ آخر..

أكملت بعد زفيرٍ مسموع: في ذلك اليوم آن وجودي مع آسيا وناصفة وقعت إحدىٰ المزهريات من أحد الأرفف بالغرفة

احتار قائلًا: نعم رأيت، ما المشكلة في ذلك؟

ردت وقتئذٍ: لم أعبأ لذلك حينها، ولكن بعد هروبي من الحراس بالقلعة والذهاب إلى القصر بحثًا عن الكتاب دلفتُ إلى الغرفة كي أبحث عنه، وأثناء بحثي سقطت مزهرية كانت على الرف ذاته.. وبنفس الطريقة التي وقعت بها الأخرىٰ بالمرة الأولىٰ

صمت كلاهما ثم أكملت: لماذا تقع المزهريتين من الرف ذاته دون شيءٍ يحركها؟ ولماذا لم تسقط الثانية إلا بعد دخولي لغرفة الملك... أتظنها مصادفة؟

صمت أوغو للحظات، ثم قال: لا أعلم، إنه أمرٌ مريب بالفعل

ثم أردف: سنتحدث بهذا لاحقًا، خذي قسطًا من الراحة للآن.. من المحتمل أن تحمل أيامنا القادمة الكثير من الأعباء

فابتسمت مارسيلا تتمتم برأسها، وقبل أن يغادر الباب أوقفته للمرة الثالثة ليلتفت إليها.. وضعت يدها على شفتيها مقبلةً إياها فتُلقي بالقبلة نحو أوغو فيبتسم ويحمر وجهه..! وقال في نبرةٍ هامسةٍ حنونة: أُحبك

فعقبت قبل أن يُغلق الباب من خلفه: وأنا أيضًا

غادر الغرفة موصدًا الباب من خلفه، لتصبح مارسيلا في نومها العميق بعد ثوانٍ قليلة، بفضل مشقتها وكدحها في الآونة الأخيرة.

— لا تزال الأمور كالمياه الراكدة.. تنتظر حجرًا ليُلقىٰ بها فتتبدل أحوال الجميع، قد يكون ذلك الحجر أسطول آرا العظيم، وقد يكون غير ذلك، لكن الحقيقة القاطعة أن الأمور تزداد سخونة فجرًا تلو الآخر.

****

الفضاء | رحلة أسطول آرا

نشاهد الكثير من المركبات الهرمية كما ذكرنا، تحمل أسطول ڤان-توراس الذي لا حصرَ له، وبات مُقاربًا لقوة جيش نيانوس الحاليّ.. ندلفُ إلى مركبة ڤان-توراس فنراهُ يجلس أمام رايدن، والذي يقف ناظرًا عبر الزجاج إلى الفضاء.. شاردٌ بمصيره ومصير من معه، يثق في أمر جيش آرا، لكنه لا يعلم ما تخبئه آسيا بجُعبتها المليئة بالمكر، ظل هكذا حتى قاطع ڤان-توراس شروده قائلًا: تقف كثيرًا في غموضك منذ أن غادرنا كيب لار، أهناك خطب؟

نظر له رايدن بطرف عينه، ثم عاود النظر أمامه ورد بقوله: كلَّا.. فقط أتساءل بشأن نارو، لا أعلم إن استطاع تقبل الحقيقة أم لا

ڤان-توراس: وماذا إن بدأ بمقاومتك أمام جيشه؟ هل ستخضع له؟

نظر إليه رايدن بسُخرة.. وقال مبتسمًا بنصف وجهه: أخضع؟ هههاه.. أنت تجهل الكثير عن مملكتنا

صمت كلاهما ثم قال الوزير كلويْ الذي يجلس في مكانٍ ليس ببعيد: إنها لعنة كولا.. أصابت النيانيين كما أصابت من خطىٰ أرضهم -عدانا نحن- تجعلهم منزوعي الرحمة.. تملؤهم الشحمة والكراهية، أي أن رايدن كذلك.. لن يُصيبه مكروه إن قتل أخاه بالدم.. وهذه اللعنة هي سر قتل الأب لابنه في نيانوس أو العكس.. أذكر أنني سمعت قصة فتاةٍ نيانية شجت رأس والديها كي ترث..!

قال الزعيم ناظرًا صوبَ رايدن: ينتابني شعورٌ سيءٌ حيال هذا

وأردف ببعض المزاح: إن باءت تلك الحرب بنصرنا واستردتَ عرشك ثم خُنتني.. أقسم أنني سأُعِد قلبك على عشائي مع بعضٍ من الأعشاب اللذيذة

أخذ رايدن شهيقًا قويًّا أتبعه بإخراجه، ورد قائلًا: إن باءت هذه الحرب بنصرنا.. لن تعود آرا عدوتنا إلى آخر الدهر، وأتعهد لك بمحو الضغينة تجاه بني سيليثور، بل أتعهد بتوليد الأُلفة بيننا وبينهم

ثم أردف ناظرًا إلى كلويْ: أما عن ذاك القزم، فلا أعدك بشيءٍ حيالَه.. أظنني من سيطهوهُ على العشاء

فرد كلويْ: النيران لا تؤذي بني سيليثور.. جد وسيلةً أخرى

قال العزيز الأكبر ببعضٍ من غضبه: فهمت ذلك، إذًا لا بأس بإلقاءِ عهد كولا للقوة لجعلك تتحول إلى كومةٍ من الجلد المُتفحم

ابتلع كلويْ ريقه، ثم قال مُطأطأ الرأس: أعدك ببذل جهدي في سبيل مبغاكُما سيدي.. لكن لا عنف

فصاح ڤان-توراس مُعقبًا: إنه نياني، العنف يسري في دمائه، وكذلك أنا

ثم أردف: آه..! ثمة أمر لم نعبأ به من قبل.. ماذا عن سُلالة آسيا البشرية؟ هل سنبيدها؟

أجابه كلويْ بحماسة: أيها الزعيم.. سنُبيد الكوكب بكل ما يقع على أرضه إن تطلب الأمر، أما عن البشر.. فذكر رايدن أنهم جنس ضعيف، ربما عقولهم تختلف عن عقول سكان كيب لار.. ولكن لن يُغير وجودهم شيئًا.. عدا حضرة المزيد من الدماء.

رايدن: همم.. أُرجح القزم، وأيضًا لقد فقدوا تطورهم وحضارتهم التي كانوا عليها كما ذكرت آسيا بيننا قبل مغادرتها، لذا علينا ألا نقلق بأمر إنسان.. عدا آسيا..

وآن لفظه لجُملته، سمع ثلاثتهم صوت قائد المركبة السيليثوري بعد اتساع حدقة عينه الصفراء يصيح بهم على عجلةٍ من أمره: يا سادة يا سادة..! نحن صوب الكثير من الثقوب السوداء

هب رايدن متعجلًا نحو مقدمة المركبة وخلفهُ الزعيم ووزيره، وأشار إلى فراغٍ يمين السفينة قائلًا: إمَّ إلى هناك بسرعة..!

فعل القائد ما أُمر فتغير المركبة مسارها.. تتبعها كافة السفن الأخرى عدا بعض السفن التي لم تستطِع مقاومة جاذبية الثقوب لها فلقت مصيرها مُنفجرةً في الفضاء الوعِر.. وعند رؤية ڤان-توراس لهذا الانفجار قال مُحدثًا رايدن: عليك أن تكون حذرًا في تحركاتك، إن طال الأمر سنفقد نصف أسطولنا قبل وصولنا إلى الأرض

فصمت رايدن.. وصمت الجميع لينظروا أمامهم.. ثقبٌ كبير يختلف عن باقي الثقوب، يدور حول نفسه مُسرعًا وأمامه أسطول كامل غادر مملكة آرا ليصل أخيرًا إلى وجهته المرجوة، ابتسم رايدن وأدار ظهره للثقب مُحدثًا ڤان-توراس: لا تقلق، لن يطول الأمر..

تعجب الزعيم من هول المنظر أمامه..! ثم أمر الحراس بإعلام كافة القواد للاستعداد للمرور عبر الثقب قائلًا: فليتخذ كلٌّ موقعه ويلزم مقعده، تمسكوا جيدًا ولا تُغمضوا..

أسرع الحرس مُلبين أوامره، أدار ظهره هو وسار نحو مقعده، وهكذا الحال مع كافة أفراد الأسطول، يهبون إلى مقاعدهم وكل مقعد يثبت داخل كبسولة شفافة مستقرة؛ حتى لا يُقتل أحد إثر الاصطدامات القادمة، وبعد جلوس الجميع متأهبين للمرور في ذاك الثقب المهول، نرىٰ الزعيم ڤان-توراس جالسًا داخل كبسولةٍ أكبر لثلاثة أفراد، على يمينه يجلس رايدن.. ويساره القزم كلويْ، وقبل لحظةٍ من انجذاب الأسطول إلى الثقب المهول.. قال ڤان-توراس بنبرة ملأتها الراحة والطمأنينة: سيتوجب عليّ الآن أن أتخيل مذاق دمائكِ يا آسيا.

(13) كما غضب الليل

مملكة نيانوس بآنتي الكبرىٰ | 2080

يومٌ يملؤه الثلج المتساقط، تعلوه شمسٌ شعاعها لا يجلب الدفء لأجساد ورثة الأرض، هؤلاء المساكين الذين يعانون في منازلهم منذ غزو آسيا لأرض آنتي كلها، لا يخرجون منها سوىٰ للعمل ليعود كل منهم مجددًا محملًا بطعام يكفي ليوم واحد، يرتجفون من البرد داخل منازلهم.. هذا قبل مجيء جوافل من القوم النيانيين خلف حرسٍ ملكيٍّ غزير.. جميعهم خلف ملكتهم الموقرة آسيا وابنها نارو.. والذي سيُغير مجرىٰ الأمور بعد قليل.. توقفت آسيا والتي ترتدي ثيابًا منحتها الدفء أمام البلدة.. ليدلف الحراس نحو طرقاتها الجليديه يصدرون نداءات وهتافات.. ليخرج ورثة الأرض من منازلهم.. وآن سماع البشر لتلك النداءات خرجوا أجمعين، رجالًا ونساءًا وأطفالًا.. بعضهم يرتجف من قسوة البرد.. وبعضٌ آخر يكاد أن يتجمد أثناء سيره.. ولا رحمة في قلوب الحراس، فيقومون بدفعهم ليسارعوا متعجلين نحو الساحة حيث تنتظرهم آسيا، وبعد دقائق وجيزة اجتمع كافة البشر أمام نارو.. وأتت الملكة آسيا من خلفه لينحني جل من أمامها جاثين على الثلوج الأرضية، وبدأت آسيا حديثها قائلة:

لا أطيل عليكم، لم أراكم منذ وقتٍ طويل.. ولكن تصلني أخباركم على الدوام، عدد الوفيات قد قل منذ مجيئي إلى هنا، وهذا أمرٌ جيد.. علي إطلاعكم بأمر يخص البشر أجمعين بما فيهم أنا

فصمت الجميع ناظرين إلى وجوه بعضهم بعضًا، فأردفت آسيا: ملككم البشريُّ ساركان.. لقد وافته المنية بالقلعة منذ يومين، وانتحرت ابنته آيْ غرقًا صوبَ أعماق المحيط

صُدم كافة البشر وكأن صاعقةً قد أصابت أجسادهم، واصطفىٰ ورثة الأرض صمتهم عوضًا عن التفوه بكلمة أمام الحراس أو آسيا، أكمل حينئذٍ حديثها: لم يكن

رجلًا صالحًا على كل حال، وكذلك ابنته، أما أنتم، فتمتزج وجوهكم ما بين الصالح والطالح، أريد الصالحين منكم فقط.. ودون ذلك فسأدفنه حيًّا، لن يتغير شيء بموت العجوز.. مازلت ملكتكم وملكة شعبي كذلك.. وليس هذا ما جئت هنا لقوله

صمتت ثم صاحت بهم في ثقةٍ كاذبة: جئت حتىٰ أحدثكم عن القائد أوغو، مازال حيًّا.. علمتم بالأمر منذ أيام ولكن لم نمسك به حتى الآن.. ولذلك أردت إخباركم بهذا الشأن..

من يتستر على أوغو أو يساعده.. من يصافحه أو يؤيده.. من يراهُ ولا يوشي به سأقوم بإذابة كامل جسده وأُعيد تشكيله ليصبح خنزيرًا.. ثم أُعلقهُ على بوابة آنتي الغربية

نرىٰ نارو يحدث نفسه أثناء حديث آسيا.. خفت بصوته قائلًا: أتساءل ماذا يكون الخنزير.. أعتقد أنه شيءٌ بغيضٌ للغاية

تردف آسيا حديثها: من يأتي بأوغو حيًّا أو ميتًا.. سأجعله غارقًا في نعيمه يهنأ، سيمكث بالقلعة الملكية كيف يشاء، وسيصبح ذا شأنٍ بين قومي.. لكم الخيار في هذا الاختبار، وآمل أن يمر شتاؤكم بسلامٍ وهناء.

وقبل أن يلتف ورثة الأرض نحو بلدتهم ليغادروا إلى منازلهم.. تحدثت آسيا من جديد بقولها: اااهه و.. شيءٌ آخر.. ثمة حرب مجهولة ستقوم بين مملكتي ومملكة أُخرىٰ.. إذا قامت هذه الحرب على كوكبكم.. فأنا غير مسؤولةٍ عن حمايتكم، عليكم تجهيز حصونٍ منيعة لأنفسكم.. وحفظ الفائض من الطعام للوقت اللاحق، والآن انصرفوا.. وعلقوا حديثي بشأن أوغو في آذانكم

غادر ورثة الأرض أجمعين عائدين إلى منازلهم.. غير قادرين على السير لغزارة الثلوج المتساقطة.. ويظل نارو بجانب والدته أمام الحرس الملكي.. همس بوالدته قائلًا: إن أردتِ سلامتهم لماذا لا نشيد لهم حصونًا يحتمون بها على أطراف آنتي؟ لن يستغرق الأمر الكثير

أجابته والدته بوجهٍ مُمتعض: كلَّا.. على جميعهم أن يلقَو بعضًا من المعاناة، عانيتُ أضعاف ذلك يابني، كما أنني لا أعبأُ كثيرًا لحفظ سلامتهم.. من أراد الحياة فليفعل، ومن اختار مماته فلهُ الأمر

نارو: لكنها سلالتك؟ إن ماتوا.. لن يظل بشريٌّ غيرك

اقتربت آسيا من ابنها حتى تلاصقت أجسادهما.. ثم اقتربت أكثر فأكثر حتى امتزجت أنفاسهما ببعضها، وهمست دنو فمه بصوتٍ مُخيف: أنا.. لستُ إنسانة، انتزعت إنسانيتي عندما لامست تراب نيانوس

ثم ابعدت رأسها عن رأسه، ونادت الحراس قائلة: احملوني إلى قلعتي.. أريد النوم

حملها اثنان من الحرس الملكيّ، وقبل أن يطوفا بها صُحبة الحراس الباقين إلى الأعلىٰ.. قالت آسيا تحدث ابنها: افعل ما أمرتك به يا نارو، ولا تخذلني.. لا تريد أن تخذلني صحيح؟

وعندئذٍ طاف الحراس يحملون آسيا ليغادروا المكان مسارعين إلى القلعة، وظل نارو واقفًا وحده، وقال بصوتٍ يميل إلى الهدوء والحزن: كلَّا.. يا أمي

صمت للحظاتٍ وأردف: لن أخذلك

ثم أغمض عينيه لثوانٍ.. وفتحها.. تتساقط الثلوج فوق جسده الأصلع.. تلمع عيونه البنفسجية وسط تلك البقعة البيضاء المُغطاة بالثلج، وبعد فترةٍ وجيزةٍ من وقوفه اختفىٰ من مكانه بلمح البصـر مُغادرًا نحو ساحة الجيوش النيانية؛ ليفعل كما أمرته آسيا...

*****

بعد لحظاتٍ فقط.. وصل إلى مقر الجيش ليجدهم منغمسين بالتدريبات كما اعتادوا.. عشرات الآلاف من النيانيين يحتشدون تحت هطول الثلوج البيضاء، يقاتلون بعضهم بعضًا.. يتدربون على القتال بالمدىٰ القصير والمتوسط.. والقليل منهم يتدرب على القتل من مسافاتٍ شاهقة، سار بينهم نارو على أقدامه واضعًا كلتا يديه أسفل ظهره، ينظر يمينًا ويسارًا.. يُراقب أداء الجنود بالقتال.. ويبدو على وجوههم الاستعداد لسحق جيش آرا متى ظهروا، ظل يتفقدهم لدقائق وجيزة، ثم ذهب إلى المقدمة حيث قادة الجيش النيانيين لنراهم للمرة الأولى.. يرتدون دروعًا ذات لون أسود.. كلٌّ منهم يحمل سلاحًا يختلف عمن يقف بجانبه.. هؤلاء هم صفوة الجيوش.. يحملون دماء المحارب الأقدم «نيان» أقوىٰ من ركل الأرض على مر العصور النيانوسية، عددهم عشرون ذكرٍ وأنثىٰ.. عندما رأو نارو قادمًا باتجاههم صاح أوسطهم الذكر بكافة الجنود من حوله: اصطفواااا

أخذت آلاف الجنود تصطف أمامهم في صفوف منظمة كالنمل.. بينما وصل نارو إلى مقدمة المكان.. وانحنىٰ إليه القادة خافضين رؤوسهم وظهورهم لسمو نارو العزيز حتى أغمض نارو عيونه وفتحها تعبيرًا عن قبول التحية.. ثم أدار بجسده صوبَ الجيش حتى يحدثهم باسم ملكتهم ووالدته، أخذ شهيقًا مسموعًا، ثم قال بصوتٍ جهور:

أيتها الجيوش، إني لأعجبُ من فرط حماسكم الجذِل..! باتت وجوهكم مليئةً بالثور ضد الغجر ذي العيون الصفراء، لا حاجة لكم لكلامٍ يزيد فوق حماسكم حماسًا.. إن جاؤونا قبل أن نهاجمهم ستصبحون باستقبال جيوشهم أشرَّ استقبال شهدهُ التاريخ

صمت قليلًا حتى أردف: لدىٰ الملكة ما تقوله لكم، لذلك اتيت إلى هنا أُعلق كلماتها بعقلي لأُلقيها عليكم بقلبي.. قال نارو متحدثًا بلسان آسيا:

جيوشيَ العظيمة..! بِتُّم قادرين على شق الكواكب تباعًا لشق النجوم، لكنني أريد المزيد.. تجهزوا يومًا بعد آخر، تبدأ أيامكم مع أتم الاستعداد لمواجهة قان-توراس وجيوشه.. حتى وإن لم يأتوا إلى هنا كما نتوقع.. سنعود لكوكبنا وندمرهم على أرضهم، ثم نسحق زعيمهم الذي أودىٰ بملكنا الجليل، والآن.. عليَّ إعلامكم بشيء شديد الأهمية..

صمت نارو وكف عن الكلام.. وساد الصمت لبضع ثوانٍ حتى أتىٰ من خلف نارو وهؤلاء القادة العشرون رجلٌ نياني يرتدي عباءة ألوانها مُطعمة بالبنفسج والذهب.. كما يُعلق قلادة طويلة وغريبة الهيئة على رقبته فتصل إلى أسفل صدره.. عريض المنكبين عابس الوجه.. تُرسم خطوط بيضاء على خديه وخط صغير عمودي على جبينه ليرتسم فوق وتحت كريستالة الحياة خاصته.. ما أن طل على الجيوش حتى انحنىٰ سائر محاربيه لهذا الرجل، إنـه وزيـر الحكمة النيانوسي.. «أدولف»، كبير القضاء بالمملكة كلها، ظل هكذا دون أن يتفوه بالكلمة، طال الأمر لدقائق حتى اقترب منه نارو محاولًا أن يحفزه بالبدء.. وقبل أن ينطق نارو أشار له الحكيم أدولف بكف يده مشيرًا له أن يصمُت ففعل.. وعاد الصمت الغزير ثانيةً، يقف الجيش قرابة العشر دقائق كالأصنام الحية.. لا شيء سوىٰ الانتظار، حتى مات الصمت أخيرًا بحديث الوزير موجهًا إياه إلى المحاربين.. فصاح بحديثه وقتذاك:

بلسان الملكة أتحدث، أدولف من سلالة كوزمو النيانية.. وزير الحكمة وكبير قضاة المملكة، أُعلمكم بالجديد في أمر تدريباتكم..

وأكمل: يقف خلفي عشرون رجلًا وامرأة.. أحفاد نيان الأقدم.. دماء الحرب هي دماؤهم.. وحدهم كفيلون بالقضاء على ألفي جنديٍ لكل فرد بأقل تقدير، سيتكفلون بقيادتكم من الآن إلى أوان الحرب

سيتم تقسيمكم إلى أحزاب أصغر.. حزبٌ يتدرب على القتال جوًّا.. وحزبٌ آخر على اليابسة.. حزبٌ للمسافات القصيرة وآخر للمتوسطة.. وحزبٌ للمسافات الشاهقة يحمون ظهر الجيوش أثناء مواجهتها لشياطين آرا.. سيُعلمكم قادتكم بالتفاصيل مع انتهاء اليوم، وبدءًا من الغد سيأخذ كل جندي دوره في الحرب، هل من أسئلة؟

عم الصمت وجوه الحاضرين أجمع، وأردف الوزير بعد لحظات: جيد، تابعوا تدريبكم

وبعد ثوانٍ وجيزة عادت كل مجموعة منهم للقتال والتدريب.. كما انصرف القادة العشرون ليتدربوا أيضًا.. وظل نارو واقفًا بالقرب من الحكيم أدولف والذي قام بسد أذنه بيديه؛ لأنه يكره الصخب وصوت الدروع والصخور تتصادم مع بعضها بعضًا على الرغم من حبه الشديد للمُبارزة، أزال يديه من أذنه مُمتعضًا.. وحدث نارو بينما يلامس قلادته قائلًا: سأعود إلى القلعة.. ستأتي؟

فردّ نارو: اذهب أنت يا أدولف، سأظل هنا لبعض الوقت

تمتم الوزير في صمت، ثم سار مبتعدًا عن مقر الجيش، وظل نارو متسمرًا في مكانه لساعات، يُراقب الجيش ويُراقب القادة.. يحاول جاهدًا متابعة أصغر الأخطاء التي يرتكبها الجنود؛ فتلك الحرب المنتظرة ستحرك الجبال من مكانها، بل سيندك الكوكب بأسره، ولكن.. ظل نارو شاردًا يراود نفسه، متى ستندلع الحرب؟ هل غدًا؟ هل بعد غد؟ هل بعد شهرٍ أم عام؟ أم أعوام عديدة؟ لا يعرف متى هذه الحرب، ولكن راوده حدسه باقتراب الحرب، وكان حدسه صحيحًا.. فالحرب ذات يومٍ قريبٍ آتية.. وسنرىٰ بحرًا من الدماء السيليثورية والنيانية، والبشرية بكل تأكيد.

2080| مقر منظمة «عين» السرية

ها نحن ثانيةً، تحت الأنقاض ببيت منقذي البشر المجهولين، ويتم الاجتماع بالكثير من القادة والعملاء السريين بينهم أوغو والذي قد ارتدىٰ بذلةً ليماثل زملاءه، جلسوا على طاولةٍ كبيرة بدت كالطاولة الزجاجية.. ولكنها كانت لوحة زجاجية إلكترونية مستديرة، ينبعث من مركزها صورة ضوئية تُرسم بالأعلىٰ فتُظهر كوكب الأرض، تلون غالبية بقاعها باللون الأحمر وبعض البقاع خضراء كتلك البقعة التي تحيط بجزر آنتي.. ونرىٰ رجلًا قد اشتعل شعر رأسه وذقنه بالشيب، وجهه ناصع البياض وبدىٰ في عقده الثامن، كان هذا الرائد «تاج الدين» هو رئيس عمليات المنظمة بأكملها..! فور دخوله أخذ البحث عن بياناتٍ مختلفة أثناء صمت الجميع، وعندما انتهىٰ من تجهيز البيانات المطلوبة بالاجتماع بدأ الرجل المُسن بالكلام بصوته المبحوح مشيرًا بإصبعه صوب الشرق: هناك.. لا فرصة لنا بخوض عملية واحدة حتى، خصوصًا في ظل انتشار الجيوش بأنحاء آنتي أثناء تدريبهم.. تم عقد هذا الاجتماع لسماع آرائكم بشأن قضية نيانوس

صمت لثوانٍ أثناء ذهابه إلى مقعده ليجلس واضعًا كفيه على بعضهما، نظر إلى عميل يقف بقربه وحدثه قائلًا: ميشيل.. أفصِح عما بعقلك

العميل ميشيل: سيادة الرائد، أقترح قتل الملكة آسيا.. يمكننا إرسال قناص ليقتلها برصاصة بالرأس آن خروجها من القلعة دون علمٍ من أحد، وعند موتها ستكون ضربةً بقلب شعبها لتجعلهم مهتزين متفرقين.. وقتئذٍ يمكننا البدء بالتحرك صوبهم وشجهم واحدًا تلو الآخر.. وسوف يساعدنا ورثة الأرض بكل تأكيد

تمتم تاج الدين برأسه مقوسًا شفتيه، صمت للحظاتٍ ثم أردف: وماذا عنك يا رون؟

العميل رون: برأيي سيكون التفاوض خير مخرج من تلك المخاطر سيادة الرائد؛ فمهما جهزنا من أسلحة مدوية طوال الستة والثلاثين عامًا التي مضت، فلن تأتي بثمارها أمام هؤلاء النيانيين

أردف بعد صمته: سيادة الرائد، يمكننا تهيئة الظروف لتعبير تعاوننا معها لنحارب سويًّا مع جيوشها ضد المملكة الأخرى، وبالمقابل تتعهد هي بحمايتنا وألا يتأذىٰ فرد من ورثة للأرض

تمتم الرائد تاج الدين برأسه كما فعل مسبقًا، وأخرج زفيرًا قويًّا بأنفه ناظرًا إلى قدميه.. ثم استند إلى تلك اللوحة الذكية بكوعيه.. يعض شفتيه قائلًا: لن يستطيع إنسيٌّ قتل آسيا مادامت بين شعبها وبالقرب من نارو، سينقذها في غضون لحظات، أما عن التفاوض.. فلا تفاوض مع قومٍ يذبحون آباءهم وأبناءهم من أجل السلطة والثروات

ثم أردف إلى من يقف قربه مباشرةً: أوغو.. ماذا عنك؟

رد العميل أوغو بصوته : سيادة الرائد.. أولًا لدي ما أتحدث عنه، بشأن النيانيين

صمت الجميع لثوانٍ حتى أردف ليُنصتوا له: النيانيون.. رأيت أجسادهم بأُم عيني تلتئم وتُشفى بسرعة لا مثيل لها، هذا إن طعنتهم في أذرعهم أو بطونهم أو حتى صدورهم..

وأكمل بعد صمتٍ آخر: ولكن.. هذا ليس كل شيء، تتمثل نقاط ضعفهم بالأجزاء الخلفية من أجسادهم.. القفا.. الظهر.. ما خلف الفخذين.. إنها أضعف الأماكن بأجسادهم، هذا ما استنتجته من أشكال دروعهم التي تحمي خلفهم أولًا وكذلك أكده لي ما حدث مع آيْ والحارسين بتلك الزنزانة، كما أنني شاهدت تدريباتهم لأيام وتجسست على وزيرهم الأكبر.. كان يُدعىٰ «أدولف»، بما أطلعته عليكم أظن أنه لدينا نقطة ضعف لهؤلاء السود.

هز الرائد تاج الدين برأسه مذهولًا، ثم حدثه قائلًا: جيد، بالطبع ليس مؤكدًا.. لكن الاحتمالات أمر لابد منه في آونة الحروب

مسح أوغو شفتيه بلسانه، ابتلع صمته وحدثه قائلًا: بخصوص الحرب.. هل قرأتم ملفي عن عهود كولا الخمسة؟

الرائد تاج الدين: قرأناه.. لكنك لم تذكر إلا تلك القوة التي تسمح للفرد بالاختفاء والاختباء بخفيّة وكذلك تلك القلادة التي تحمل قوة لانزال نجهلها، سينفع هذا عملاءنا بالتأكيد ولكن.. لا أعلم يا أوغو، لم نغادر بيت المنظمة لسنواتٍ عديدة، لم يرىٰ فرد من المنظمة وجوه النيانيين غيرك أنت

أوغو: لستُ وحدي، آيْ رأت وجوههم أيضًا.. وهي من بيت المنظمة كما تعلم

أخذت عينا الرائد بالتحرك هنا وهناك، وقال بقليلٍ من الضجر: نعم نعم لا وقت للحديث بهذه الأمور، من الآن وحتى قيام الحرب.. لن تغمض جفوننا إلا بفجر جلاء هؤلاء الغجر عن كوكبنا

وأردف: لدينا ما يكفي من الوقت كي نصبح على أتم استعدادنا لإنقاذ ورثة الأرض من الهلاك، اما عن الجنس الأسمر.. فلا فرصة لنا في الهجوم، ولكن بإمكاننا البقاء على قيد الحياة إن استغللنا مواردنا بطريقة صحيحة، وعهد كولا الذي جئنا به.. قد يكون بمثابة وسيلة لدسّ المكائد بين صفوف العدو، وكذلك لاجتلاب القلادة إن تطلب الأمر

وضع الرائد تاج الدين كفه على إحدىٰ عينيه ليقلده كافة العملاء السريين بتلك الغرفة الكبيرة.. كانوا عشرات الأعداد منهم، قالوا في آنٍ واحد بصوت كان أشبه بصوت العساكر:

"نعمل بالظلام لخدمة النور، ونعمل بالنور لنكون ظِلًّا لمن لا ظل له، نحن العين.. عين حقيقة القمر.. أرواحنا ودماؤنا في سبيل البشر"

وما أن انتهوا من قَسَمهم الذي لطالما تحدثو به بصوتٍ موحد حتى رأينا مارسيلا تراقبهم من الشرفة العلوية بالمقر تسمع كلماتهم التي هزت قلبها حماسًا وإدهاشًا.. ونطقهم لاسم المؤسسة «آيْ» جعلها تعود بذكرياتها مع ساركان، فابتسمت أثناء شرودها وهي تنظر إلى جماعة العين السرية، وخفتت بصوتٍ هادئ: سامحني يا ساركان، أنت أسمىٰ من أن أكون ابنةً لك، فخورةٌ بك.. يا أبي.

عند انتهاء اجتماعهم، عاد كلٌّ إلى عمله، وما أن أدار أوغو عينه من اللوحة الذكية لمح مارسيلا ليبتسم كلاهما.. أرسلت مارسيلا له قبلةً بالهواء فزادت

ابتسامته، ثم عاد إلى اللوحة الذكية من جديد؛ يُكمل عمله وبحثه بما هو مفيد للمنظمة

ـــ هل تظن أن البشر بوسعهم هزيمة جحافل كيب لار؟ هل سينجو الجنس البشري أمام هول جبابرة نيانوس وفراعنة آرا؟، سيتوجب عليك اكتشاف الأمر بنفسك يا عزيزي...

ـــ بعد 7 أشهر من الآن..

ساحة الجيوش النيانية | 2081

أشهرٌ من التدريب المختلف للأحزاب على القتال بشتىٰ الأماكن والطرق كانت كفيلة بجعلهم يتفوقون على قادتهم العشرين، لقد كان يومًا يخلو من الثلوج المتساقطة، تملؤه الحماسة النيانية، تتعامد الشمس على أجسادهم بينما يتبارزون بلا توقف، بعضٌ يقاتل على يابس الأرض، وبعضٌ آخر يطوف جوًّا، ويقف الكثير والكثير من الحراس يتراصون كالأسوار حول المملكة كلها، بينما يقف نارو أوسط الكثير من الجنود الذين يحاولون مهاجمته.. ولكنه يصدهم ويهزمهم بسهولة كعادته.. يطرحهم أرضًا ويودي بحماسهم وينهي شغفهم بالقتال فيستسلمون، قوة النسل الملكي بالطبع، تشاهد آسيا قوة ابنها الجافل وتبتسم عندما يطيح بهم أرضًا ويهزمهم.. ويطمئن قلبها آن رؤية أدولف قادمًا نحوها؛ تستبشر بحديثه وحكمته كما يستبشر ڤان-توراس بوزيره

جاءها أدولف بقلادته المعتادة ووجهه العابس دومًا، وعند قدومه أمام الملكة أحنىٰ رأسه تحيةً لها وهزّت رأسها له، ثم قال في ثبات: جلالتك.. لقد ارتفعت كفاءة الجيش بنسبة أربعين بالمائة في أقل من سنة أرضية واحدة.. إنه لإنجاز يُفتخر به

ابتسمت الملكة ثم صمتت وهي تنظر يمينًا ويسارًا إلى عظمة جيشها الخارق، ثم حدثته: ماذا يقول المجلس الأعلىٰ بشأن السيليثوريين؟ هل من الأفضل المبادرة بالحرب أولًا أم علينا التحلي بالمزيد من الصبر؟

رد أدولف بثقته التي لا مثيل لها: علينا الانتظار سيدتي، وبفضل موطنك البعيد كل البعد عن كيب لار استطعنا بناء الكثير من الأشياء داخل جنودنا.. لا يمكننا المجازفة بمبادرة الحرب في هذا الوقت، على الأقل نحتاج سنة ارضية أخرى لنضمن انتصارًا ساحقًا على جيوشهم

صمتت آسيا للحظات فأومأت برأسها موافقة على حديث الوزير، وقفت بقربه صوبَ جيشها.. وظلت تراقب تدريباتهم لا تبالي بأمور ورثة الأرض الذين يُعانون من تفشي الفقر والأمراض.

*****

ـــ اترك نيانوس بجيشها وعتادها، واترك آنتي بثلوجها وصقيعها، اترك الأرض بأهلها وغُزاتها بل واترك المجرة بأكملها لترىٰ ما يوزاي الأحداث..

ما بين المجرات، وتحديدًا بأول مجرة درب التبانة.. يُفتح الثقب الأسود.. ليخرج منه أسطول آرا بالمركبات السيليثورية سالمين، وقبل الدخول جوف القطاعات الكوكبية بدرب التبانة، نرىٰ ڤان-توراس داخل مركباه، ينزع جسده من تلك الكبسولة التي أنهكته.. وقال في سعادة: وصلت الوحوش أيها الحثالة.. هاااهه

خرج رايدن والوزير كلويْ في آنٍ واحد، وسارا صوبَ الأمام ليقفا بجانب ڤان-توراس.. نرىٰ ثلاثتهم واقفين بمقدمة السفينة أمام المجرة التي آوت البشر منذ عهدهم الأول «مجرة درب التبانة».. يشاهد الجميع تلك المجرة البيضاوية الجذابة، شاردين بخباياها لكنهم لا يعرفون إلا شيئًا واحدًا، الموت أو النصر، ظل الصمت غائمًا بالمركبة حتى قطعه رايدن وقال موجهًا حديثه إلى ڤان-توراس: تعلم الخطة جيدًا، لا أريد أخطاءً أُخرىٰ.. هل فهمتني؟

أومأ ڤان-توراس برأسه متفهمًا حديثه، ثم قال له: حظًّا موفقًا.. يا صديقي

حدق به رايدن للحظاتٍ وجيزة، ثم استدار صوبَ أيسر السفينة وسار نحو بابٍ جانبيٍّ صغير تقاربه لوحة تحكم في حجم اليد، وقف لثوانٍ أمام الباب.. أغمض عينيه البنفسجية ثم فتحها وضغط على الزر ذا اللون الرمادي، وحينئذٍ فُتِح الباب المعدني الصغير ليخرج رايدن بسرعةٍ عبره وينغلق الباب فور خروجه..

وها هو يطوف بالفضاء الخارجي بين آلاف من المركبات، التفَّ بجسده من جديد صوب مجرتنا، ثم وجه ذراعيه صوبها يقول في نفسه: سأجعل الموت خير أقدارها، سأنتزع قلبها وأعضه أمام البشر أجمعين

ظهرت ملامح الغضب على وجهه.. يرفع بذراعيه أكثر فأكثر..! يتقلص وجهه من الغضب.. وفي التو اللحظة صرخ صرخةً سمعها الأسطول كله حملت قوله الغاضب:- .. آآآسسيااااااا

في طرفة عين.. اختفىٰ رايدن ودلفت كل المركبات السيليثورية جوف تلك المجرة البشرية.

****

المكان المجهول | الزمان المجهول

بموازاة ما يحدث.. نحن الآن في مجهولنا المذكور، حيث الزمكان.. حيث العالم ذا الذراع الواحدة، يقف كما اعتدنا أن نراه هناك، ولكن هذه المرة ثمة شيء مختلف، كان وقوفه في زاوية المضلع الضخم.. يحدق بأشياء لا يراها غيره.. ولا يفعل شيئًا غير الوقوف كالصنم مبتور الذراع، وحتى طال الأمر أن استدار بجسده مرةً أخرى وسار نحو الخطوط الزمنية ليشاهدها كما اعتاد أن يفعل، ولكن ثمة شيء غريب هذه المرة، لقد عهدنا الخطوط لا تتقاطع بتاتًا ألبتَّة ولن تتقاطع وِفق ما تذكره الفيزياء الرياضية، ولكن آنها.. نرىٰ اثنين من الخطوط تميل قليلًا إلى بعضها البعض.. غير متوازيةٍ بشكل دائر كما البقية.. تتحرك باستمرارٍ وببطءٍ شديد، أخذ رشيد ينظر بيده اللامبتورة محدقًا بأسوارة أبرار المعدنية.. وقال في صوت عقله: ليست إلا مسألة وقت فقط... مسألة وقت.

***

جبال آنتي الجليدية | 2081

بعيدًا خارج نيانوس الأرضية، وعلى قمة أعلىٰ جبال آنتي الجليدية، نرىٰ أقدامًا سمراء تسير نحو الهاوية، وتكمل الأقدام سيرها حتى تصل إلى حواف قمة الجبل، وأثناء ذلك.. نرىٰ الشخص المُحمل بغضب الأحياء والأموات.. النياني الذي لطالما انتظر يومه الحاسم للانتقام، ينظر إلى بلدة ورثة الأرض والتي تبعد عنه آلاف الأميال، «رايدن».. غضب الليل.

(14) مداهمة على الجليد

قبل أيام...

وفي مشهدٍ يسبق الأحداث.. على طرف آخر من كوكب الأرض نهبط بأجسادنا بتلك الأنفاق تحت الأرض.. لنصبح بمنظمة «عين».. نرىٰ كافة العملاء والقادة كما رأيناهم مسبقًا، يعقدون اجتماعًا آخر بالمكان ذاته، وهذه المرة يكون كل فردٍ بالمنظمة متمثلًا أمام الرائد تاج الدين، كما نرىٰ مارسيلا.. تقف بالقرب من أوغو بينما يقف الجميع منصتين إلى حديث الرائد.. والذي تحدث بعد انتظارهم الطويل: سنقوم بتنفيذ الخطة التي وضعها أوغو..

انتظر حتى أردف: أمِن مُعترض؟

بعد ثوانٍ قليلة تحدث العميل ميشيل قائلًا: لا أرىٰ الحكمة في انشطارنا إلى مجموعاتٍ أصغر.. سنُباد قبل أن نصل للوزير ونأخذ قلادته

وضع الرائد كلتا يديه على طاولة الاجتماع، نظر إليهم واحدًا تلو الآخر قائلًا: نعم.. المنطق يقول ألا نغادر مقرنا من الأساس؛ الجنس النياني لا يعرف معنً للرحمة.. وإن علم فرد واحد بوجودنا سيعلم البقية، ولكن.. لا خيار آخر أمامنا، إن هاجمنا كمجموعات متناثرة سيكون لدينا المزيد من الفرص

ثم اكمل حديثه: هذه القلادة هي أملنا الوحيد بالنجاة.. لن نفشل.. نحن.. لن.. نفشل، هل فهمتم؟

أومأ كافة الموجودين برؤوسهم بمن فيهم أوغو ومارسيلا، ثم أدار الرائد وجهه وسار بعيدًا عن مربع الموجودين ليغادر قائلًا: جميعًا إلى الغواصات.. سنغادر بعد أربع ساعات، أوغو..!

- أجل سيدي

- آنما تنتهي من استعداداتك، سترافقني بالغواصة الخلفية

أردف بصوتٍ عالٍ: لكِ كذلك يا مارسيلا

وعندئذٍ غادر حجرة الاجتماعات، وغادر كافة العملاء حتى يستعدوا للذهاب نحو أراضي نيانوس الجليدية، بينما ظلت مارسيلا وأوغو بالغرفة المذكورة.. يحدقون فيمن يغادر الغرفة.. وساد صمتهما حتى نطقت مارسيلا: لم أرىٰ شخصًا يحمل نصف جنونك يا اوغو

عقب أوغو: لا خيار أمامنا، علينا مهاجمتهم قبل أن يقضوا على جنسنا

قالت في توتر: ماذا إن فشلنا في جلب هذه القلادة التي ذكرتها؟ هل سنُسفك دون رحمة؟

صمت أوغو للحظات إلى أن رد قائلًا: أأنتِ خائفة؟

فأجابه مُستاءة : لا أخاف على نفسي، بل عليك.. لم يبقَ لي سوىٰ ظلك، سأستظل به حتى نموت سويًّا.. لن تنوي تركي أليس كذلك؟

ابتسم أوغو ليقترب من حبيبته، ضمها بين ذراعيه.. وهمس دنو أذنها قائلًا: لن أتركِكِ، أعدُكِ بذلك..

أخذ يدفئُ جسدها بيديه قائلًا: اجلبي كافة أغراضك.. أتوق لرؤيتكِ تُحاربين.. آمل أن تأتي تلك الأشهر من التدريب بثمارها

أزالت الجميلة ذراعَيْ أوغو، ثم ابتسمت وسارت مُبتعدةً أثناء قولها ببشاشة: سنرىٰ من يحتاج للتدريب أيها المبتدئ

ابتسم أوغو وسار هو الآخر إلى الطابق العلويْ من المقر، ذهب صوب غرفته يجمع أغراضًا شتىٰ في حقيبته.. تتضمن أسلحةً ضوئيةً وذخائر، وأجهزةً صغيرة قد يحتاجها فيما بعد.. كما أخذ عددًا من القوارير الزجاجية الصغيرة التي تحوي سائلًا أخضر غريب، سُميت تلك بالقوارير الغذائية.. تحوي على مواد غذائية كيميائية.. ولطالما اعتمد عليها عملاء عيْن لتلبية حاجاتهم من الغذاء، وأثناء جمع الأغراض وقعت عيناهُ على صورةٍ صغيرة لوالده ساركان وهو يحمل أخته المتوفاة آيْ - كانت الصورة قبل النكبة بأعوام - فحدق بها للحظات، ثم ضمها إلى حقيبته تاركًا غرفته وغادر..

فعلت مارسيلا الأمر ذاته بغرفةٍ بها بعض العميلات الأُخريات، أخذت قناصةً طويلةً بحقيبةٍ في نصف طولها، وضمت كذلك الكتاب الذي أخذته من القصر القديم، كما أخذت نفس العدد من القوارير الغذائية تقريبًا، وقبل أن تُغادر.. تجمدت مكانها للحظات ثم سارت نحو مكتبٍ مجاورٍ لها.. وسحبت قلمًا ذا حبرٍ أسود.. رفعت كُم قميصها لتكشف عن ساعدها.. أزالت غطاء القلم.. وكتبت على

ساعدها الأيسر بالخط العريض «العميلـة 22-24»، وضعت القلم جانبًا وحملت حقيبتها على عجلة من أمرها وغادرت الغرفة مع البقيّة، وسارت بممر زجاجي رفقة من بالمنظمة، وأخذت تتقدم إلى الأمام تُفسح المجال وتسير بين عميلٍ وآخر مرددة "اسمح لي" .. "عذرًا" .. "سأمُر من فضلك"، وأكملت سيرها حتى رأت أوغو يسير بنهاية الممر.. عجّلت خطواتها لتلحق به وبعد لحظاتٍ أصحبت تلاصقه، أمسكت يده بينما يمشيان إلى نهاية الممر فابتسم أوغو ولم يلتفت بعينيه من أمامه، أكملا سيرهما سويًّا حتى دلفا إلى الغواصة التي تُرافق تاج الدين، وبعد دخول كافة العملاء إلى الغواصات أصدرت صوتًا بدىٰ كصوت الإنذارات، فُتِحت أضواء الغواصات للسماح برؤية الطريق المُمهد إلى جزر آنتي جنوبًا، وفي تلك الساعة.. غادرت الغواصات بيتها حاملةً أفراد «عيْن» ليسود الظلام على مقرهم المتربع تحت أنفاق المحيط.

جبال آنتي الجليدية | 2081

بعد أيام من مغادرة فيالق منظمة «عيْن» السرية..

رايدن.. نراه واقفًا بالقمة الجبلية، ينظر هنا وهناك متأملًا مكانه، ولم يطُل أمره حتى قام بفرد ذراعيه كما يفرد الطير شجناحيه، يغمض عينيه البنفسجية للحظات.. لنرىٰ جسده يُكسىٰ بثيابٍ مختلفة، عباءةٍ سوداء مُطرزة ذات غطاءٍ للرأس ليُخفي جزءًا كبيرًا من ملامح وجهه، وآنما انتهىٰ من سحره قام بوضع الغطاء على رأسه.. ثم اختفىٰ من مكانه بطرفة عين كما يفعل ذوو النسل الملكي دومًا، وكانت وجهته معروفةً بكل تأكيد

وما تلىٰ مغادرته كان البدء بيومٍ جديدٍ للجيوش النيانوسية، يستعدون لبدء القتال والمبارزة مع اتخاذ أماكنهم سواءً كانت بالجو أو على يابس الأرض، ونرىٰ القادة العشرين يطوفون على شكل حلقةٍ أعلاهم.. يقومون بالدوران حول مركز تلك الدائرة التي تشكلت بظلالهم كما تفعل الطيور الجارحة، وبعد لحظاتٍ من تلك الطقوس النيانية قام كل قائدٍ باتخاذ مكانه المُعتاد فيتبعه حزبٌ من الجيوش

والذين بدؤوا تلك التدريبات المتفرقة قبل أشهرٍ من اليوم، اتخذ الجميع أماكنهم ينتظرون مجيء نارو.. والي الجيوش وعزيز المملكة، بعد دقائق من الانتظار تحت أشعة الشمس العمودية أتىٰ نارو صُحبة بعضٍ من وزراء المملكة.. يشملون أدولف «الحكيم الأعظم للنيانيين»، والذي يحمل كتاب كولا كما اعتاد أن يفعل دومًا.. أتوا سيرًا بين كافة الفيالق الجوية والأرضية.. ينحني كل الجنود نحوهم بما فيهم القادة العشرون، ويُكملون سيرهم إلى أن وصلوا إلى ساحة القتال، فتوقف الوزراء وأكمل نارو سيره البطيء حتى دلف إلى أرض الساحة المُحترقة.. وقد اتخذ موقعه بمنتصف الساحة ليجتمع حوله الكثير من المحاربين النيانيين الأقوياء.. بعضهم مُسلح والآخر يعتمد على قدراته بالقتال، تأهب الجميع لبدء تدريبهم وما أن انطلقت إشارة من أحد المحاربين بمبنً يُقارب الساحة حتى اشتعلت الساحة بتدريب المحاربين..! يُكرسون قلوبهم وأجسادهم في سبيل خدمة الملكة آسيا، وها نارو يتفوق على كل من يحاول إلقاء جسده أرضًا أو ضربه بسلاحه..! وإلى هذه اللحظة يكون اليوم عاديًا تمامًا كباقي أيامهم المُعتادة، ولكن مع الأسف لم تدُم هذه الطمأنينة لوقتٍ أطول..

بعيدًا عن ساحة القتال بكيلومتراتٍ قليلة، نرىٰ ابن الملك الأكبر.. وأقوىٰ نسلٍ من السلالة النيانية يرتدي ثوبه الذي يغطي رأسه وأكثر جسده، نظر رايدن إلى الجيوش النيانوسية.. طالعهم وطالع تدريباتهم الجوية والبرية وحدق قليلًا ببعض القادة المحترفين، ظل مُتسمرًا في مكانه لدقائق وجيزة، وعلى أثرها أكمل سيره ببطء نحو مقر تدريبهم.. بثوبه الواسع.. تهطل أقدامه على اليابسة المليئة بالثلوج أسفله، ومع كل خطوةٍ يسيرها إلى الأمام تقترب النهاية أكثر فأكثر.. يُكمل سيره حتى صار على بُعدِ أمتارٍ قصيرةٍ من مربع الجنود.. يتقدم بين جيوش النيانيين.. يتخطاهم أجمعين ليُكمل سيره، وفي الوقت ذاته يلمحه الوزير أدولف والذي وقف بجانب الوزراء الآخرين.. وآنما لمحه تحرك تجاهه ليرىٰ لماذا يضع ذاك الغطاء على رأسه ومن يكون أو من تكون..

سار هو الآخر بين بقية الجنود يتخللهم سيرًا إلى ذاك النياني الغريب، وبعد لحظات.. يدلف رايدن إلى الساحة المُحترقة الخاصة بالتدريبات.. يسير بضع خطواتٍ أُخرىٰ ليُصبح على بعد أمتار قليلة من أخيه نارو.. والذي أطاح بكافة الجنود أرضًا أثناء وقوف رايدن يشاهده، وآنما انتهىٰ نارو ابتسم لنصره الساحق على الجنود صاح يُزمجر في حماسة: تحتاجون إلى المزيد.. هيااا قفوا من جديد.. أريد آخرين من التالي؟

ما أن انتهىٰ نارو من صيحته التفت إلى يساره.. ونظر متعجبًا لذلك الشخص الذي يرتدي ثوبًا واسعًا يغطيه بالكامل، وقد وصل الوزير أدولف إلى الساحة المحترقة ليصبح على مقربة من هذا الشخص.. وعندئذٍ صاح به عاليًا: أنت..!

فالتفت نحوه رايدن ولم يتفوه بكلمة، حتى صاح به نارو: ما هذا الثوب؟ ولماذا لا تتدرب كما البقية

ظل رايدن متمسكًا بصمته الغامض حتى بدىٰ على وجه نارو الغضب.. وقال بنبرةٍ مزفرةٍ لجنوده: تنحو جانبًا.. لنرىٰ ما خطب هذا

سار نحوه بضع خطواتٍ بينما يقول: هل أنت رسول من الملكة؟

لم يتلقَّ ردًّا من الشخص ذا الرداء الطويل ليغضب بشدة ويصرخ بصوتٍ هز ثلوج الساحة بأكملها: أجِب يا أخبل ..!!!

وآنما صرخ توقف الجنود عن تدريبهم والتفتوا إلى نارو والفتىٰ ذا الثوب الطويل ليرو ما الأمر، وأتت آسيا صُحبة ما تبقىٰ من الوزراء بالخلف لترىٰ أمر غضب ابنها نارو، والتزم رايدن ذات صمته لثوانٍ قليلة حتى سار نحو أخيه.. رويدًا رويدًا.. خطوةٍ بعد أُخرىٰ ليصبح على بُعد خطواتٍ منه، وقال له بنبرته المخيفة وصوته شديد الغِلظة: أين آسيا؟

وباللحظة تلك ارتجفت أبدان المحاربين والقادة والوزراء لحديثه...!! كيف؟ كيف يلفظ اسمها هكذا دون توابع كجلالة الملكة أو سموها..! تقلص وجه نارو بغضبه.. وقال كابحًا إياه: كيف تذكر جلالة الملكة هكذا؟ أنا..

صمت قليلًا ليتقلص وجهه أكثر.. وتتوهج عيناه.. طاف إلى الأعلىٰ ببطءٍ يتوعد بقوله: سأنتزع عيناكَ وقلبكَ إن لم تنزع أنت هذا الغطاء عن رأسك..

ظهرت ابتسامة تحت هذا الغطاء على رأسه، وفضّل البقاء في صمته عوضًا عن الحديث من نارو

بمشهدٍ يوازي ذلك وتحديدًا عند كافة حواف آنتي الشرقية والشمالية وما بينهما.. ندور لنراقب تلك الحواف المليئة بالغواصات الراسية، وبالأعلىٰ على يابس الأرض نرىٰ فيالق منظمة عيْن.. يقتربون أكثر فأكثر في خطوطٍ متراصة.. أقلهم تقدّم كثيرًا ليُصبح على بُعد أميال فقط من الساحة المحترقة، أما الغالبية فتخللوا المسافة بين حواف القارة ومركزها، أما عن الرائد تاج الدين فيبقىٰ خلفًا، نراه مُمسكًا منظاره.. ينظر به إلى الفيالق التي أرسلها إلى الأمام، وعلى يسار الرائد نرىٰ أوغو ومارسيلا.. يقفان كالأسود.. يحمل أوغو سلاحين سلاحًا بكل يد، بينما تحمل مارسيلا قناصة سوداءَ اللون رائعة..! ترتدي نظارةً إلكترونية تسمح لها بتقفّي آثار أفراد المنظمة؛ كي لا تُصيبهم عن طريق الخطأ إذا حدثت اشتباكات قريبة، وكذلك كي تعلم بوجودهم أثناء الإشتباكات، ظل ثلاثتهم يراقبون الأوضاع البعيدة ولكن دون جديدٍ من الفيلق، إلى أن تحدث أحدهم عبر جهازٍ لاسلكي إلى الرائد: سيادة الرائد..! أظننا وجدنا الوزير المقصود، ومعه كتاب يحمله تحت ذراعه، ولكنه أصبح في الطليعة وأضعناه بين الجنود ثانيةً، هل نقترب أكثر يا سيدي؟

أجابه تاج الدين على عجلة: كلّا.. الزما مكانكما حتى أقول

وافق المتحدث بقول "عُلِم" فترك الرائد جهاز اللاسلكي، ثم التفت إلى مارسيلا أوغو قائلًا: جاء دوركما

أوغو: ما الخطة؟

مارسيلا: إليك الخطة.. سأقوم بإطلاق عيارٍ برأس آسيا، ستحدث جلبة عارمة.. وفي تلك الأثناء ستقوم أنت باجتلاب قلادة الوزير

ضرب الرائد رأسه بكف يده.. ثم قال في تأفف: مازالت تقول لي نقتل آسيا، يا الله صبرك

عقب أوغو على جملة رائده: لا يمكننا فعل ذلك، سيُنقذها نارو كما ذكرنا مسبقًا

مارسيلا: وماذا سنفعل إذًا؟

أوغو: سأدلف إلى ساحة العراك تلك مُستعملًا عهد الاختفاء.. أدخل وأخرج بخفية حاملًا تلك القلادة، إن طرأ أمرٌ يعيقني ستعيقهم قواتنا.. ومارسيلا ستحمي ظهري

أومأ الرائد برأسه دون أن ينطق، ثم وضع كلتا يديه خلف ظهره ونظر إلى العميل ميشيل الذي كان يبعد عنهم بأمتار ليأتي إليه مسارعًا.. فحدثه الرائد قائلًا: تغييرٌ في الخطة الجديدة.. سيدلف اوغو إلى الساحة وحده

اعترض ميشيل بقوله: سيدي..! هذا يمثل خطرًا كبيرًا على اوغو.. لقد تدربنا بجدٍ على استخدام عهد كولا، سنحظىٰ بفرصة أكبر إذا دخلنا بعدة أفراد

صاح به تاج الدين غاضبًا: نفذ الأوامر يا كبشي، نفذ!

امتعض وجهه لثوانٍ، ثم هزّ رأسه موافقًا، أدار وجهه وسار بعيدًا يتحدث باللاسلكيّ قائلًا: من 41-26 إلى البقية.. تغييرٌ بالخطة البديلة، عاونوا اوغو.. أُكرر عاونوا اوغو دون الدخول إلى الساحة وحده.. لا نريد اشتباكاتٍ إلى أن نحوز بالقلادة.

وضع ميشيل اللاسلكيّ بحزامه المربوط حول خصره، ثم علّق القناصة على ظهره وصاح في أوغو: هيا.. ستُمهد القوات أمن الطريق إلى أن تصل إلى ساحة جيوشهم.. سنرافقك أنا وآيْ حتى نصل

وفي تلك الأثناء يسير تاج الدين خطواتٍ قصيرة صوب أوغو واقفًا أمامه، وأخذ يربت على كتفه مُبتسمًا، وقال حينئذٍ: بُني! لقد قدّمت عائلتك الكثير للمنظمة.. جدك مايلز.. والدك ساركان.. والآن جاء دورك لإنقاذ البشرية بأسرها، فلتجعل منك فخرًا لنا يا أسدي

صمت لبرهة ثم أردف يبتسم نحو أوغو ومارسيلا: جميعًا.. نعتمد عليكما يا أسدي ويا نمِرتي

خفّت ابتسامة الرائد قليلًا.. وهز رأسه قائلًا: وعلى الكبش الذي يقف ورائي كذلك

فالتفت إليهم ميشيل حانقًا بينما تعتلي البسمات وجوههم، وبعد آنٍ قصير ينطلق كل من أوغو ومارسيلا وميشيل صوب الأمام.. وبعد السير لمسافات طويلة أصبحوا جميعًا على قمة منحدر يُطل على ساحة العراك التي تأوي النيانيين

جنودًا كانوا أم حراس، ولكن آن وصولهم لتلك التبَّة وجدوا الجيش على غير وصف العميلان اللذان تحدثا إلى الرائد قبل مجيئهم، الجيوش غير مصطفة ولا متفرقة في أحزاب، بل يتجمعون على شكل خلقةٍ ضخمة حول نارو وشخص مُغطىٰ الوجه والجسد يقف أمامه..!

بينما نشب الغضب بالمكان، تقدمت آسيا صوبهما لتُصبح بصفوف الجيوش الأمامية، حدقت بذاك الشخص مُتعجبةً من ثباته وهدوئه..! وبعد ثوانٍ قليلة لحق بها وزيرها أدولف ليقف بجانبها.. وساد الصمت العارم حتى كسره رايدن بحديثه قائلًا: إذًا... ستنزع رأسي ها!، بل أنت من يبدو لي منزوع الرأس بالفعل

ثم التفت يمينًا ويسارًا ينظر بوجه هذا وذاك، حتى توقفت عيناه على الملكة آسيا والتي تقف قرب وزيرها أدولف، وحينئذٍ أنافَت الكراهة والغضب على وجه رايدن ولمعت عيناه بالشر تحت هذا الغطاء، وآنما انتهىٰ من حديثه بالملكة قام بنزع الغطاء عن رأسِه.. ليُظهر وجهه لنارو وآسيا وكافة من حولهما، وآنذلك الحين.. توهجت عينا رايدن..! طاف إلى الأعلىٰ فوق كافة المحاربين على اليابسة، وعندئذٍ قامت الحرس والجنود بالاستعداد لمواجهة هذا الغريب وطعنه وإبادته، التفّ عشرة من القادة حول آسيا ووزيرها، بينما ذهب العشر الباقون خلف نارو.. ويتأهب الجميع لقتل الغريب دون علمهم بأنه لا يُقهر، تزداد عيون رايدن توهُّجًا.. ويُخفض ذراعيه ويرفعها كما الطير..! لم تُبدِ آسيا ردة فعلٍ لذلك حتى باء بياض عينيه باللون الأسود.. وعندما رأت هذا بأم عينها أشارت باصبعها نحوه وقالت غير مصدقة بينما يهتزّ اصبعها: أدولف..! أخبرني ما.. ما هذا؟

حدق أدولف بوجه النياني الطائر لتسري الصاعقة بعنان جسده..! اتسعت حدقتا عيناه البنفسجية.. وقال بصوتٍ مُهشّم:

- أُصدق! أهذا؟؟

- نسل ملكيّ!!!!!

هرولت آسيا بالتخلل بين القادة من حولها تركض نحو ابنها حتى أمسك بها أحد القادة قبل أن تذهب إليه..! تراقصت رموشها بالدموع التي أبت أن تسقط من عينها.. لتصرخ بصوتٍ دكّ آذان الجميع: ابتعدد.. لاااا ابتعد... نااارووو..!

وباللحظة الحاسمة.. صرخ رايدن بصوتٍ قد خرج تؤًا من فوهة بركان قلبه الثائر مزمجرًا بما به من توق للانتقام.. ليُصبح غضب الليل جزءًا صغيرًا مما يجوب عينيه الثائرة...!

(15) بني آدم؟ أم بني سيليثور؟

رشيــد

إذ بنا نراهُ في وضعٍ مختلف، يجلس على مقعد أمام طاولة بأحد مقاهي البلدة، كان مُغلق العينين حتى فتحهما ورأىٰ ما رأيناه توًّا، رفع يده ليضعها على الطاولة وأخذ ينظر حوله يمينًا ويسارًا، لا يبدو على وجهه تعابيرٌ يمكن وصفها، ظلت تعابيره كما هي في كل الأحوال، وآنذلك رأىٰ على طاولته كتابًا يحمل اسمه على الغلاف بداخله قلم حبرٍ أزرق يخرج طرفه من الكتاب، وبجانبه يوجد كوب قهوةٍ ذا رائحة رائعة..! مد يده الأخرى ليلتقط كوب القوة ففوجئَ بما شعر به!! ذراعه اليمنىٰ.. إنها موجوده!!! لم تعُد مبتورة كما كانت..!! بل وأنها عادت أفضل من ذي قبل، مد يديه بجيوبه على عجلةٍ من أمره فأخرج هاتفًا ذكيًّا، ضغط على زر التشغيل لتومض شاشة الهاتف.. ويقرأ التوقيت: العاشرة وخمس دقائق مساءً، وتحت الساعة يُكتب تاريخ اليوم الحاليُّ.. السابع من مارس لعام 2024!!!!!

****

ساحة الجيوش النيانية | 2081

التفّ القادة العشر حول آسيا ووزيرها، وظل باقيهم حول نارو.. والذي كان الغضب يعتلي وجههُ المُظلم، وكافة الجنود يتأهبون لعراك ذاك النكرة الذي تجرأ على تحدي النياني الأقوىٰ، وآن رؤية آسيا لتشكل عيون ذاك الغريب بلونٍ أسود يغطي بياض عينيه تيقن عقلها بأنه يمتلك دماءًا غير عادية، دماءً ملكية.. نسلٌ

ملكيّ.. أصاب الذعر قلبها وعقلها وكادت أن تركض إلى ابنها إلى أن أمسك بها اثنان من القادة قائلين: كلا جلالتك.. سنتولىٰ أمره

ازداد قلبها خفقانًا وريبة..! اتسعت بؤرتا عينيها بينما تحمل الدموع وتأبىٰ أن تذرفها، صاحت لابنها لتُبعده ولم تكد أن تُنهي جملتها حتى ازداد الليل بعيون ذاك الغريب، وفي لحظةٍ غير متوقعة.. هبطت صواعقٌ شتى من السماء لتخترق رأسه تدلف إلى جسده.. وتنتشر الصواعق بكل إربةٍ من أشلائه.. يصيح صارخًا ويزداد غضبه وتظهر توقته للثأر بعينيه الغاضبة، ظل غضبه في ازدياد مستمر إلى أن استجمع قواه بكفَّيه وكأنها كرةٌ من الصواعق ليوجهها صوبَ أخيه نارو صارخًا بصوتٍ قد فاق صوت الرعد رُعبًا...!!

عقب تلك الصرخة نكبةٌ والت النكبة القمرية في دمارها؛ ففور صراخه بحنجرته العميقة أصاب نارو بصواعقه وبأسِه..!!! ظل طائفًا بالهواء يُفرغ طاقته بجسد نارو..! إبان ذلك.. تندكُّ الأرض وتُهدم الجبال.. تهطل فيضاناتٌ من الجليد على مثوىٰ ورثة الأرض وكافة الجنود عاجزين على الحراك.. فقط يتفادون شجَّ الأرض من تحتهم.. ظل كافتهم بعيدًا عن دائرة نارو حتى لا تُصيبهم تلك الصاعقة البنفسجية.. لم يستغرق الأمر دقيقة واحدة حتى دُكت جبال آنتي كلها وهطلت ثلوجها الهائلة على يابسة الجيوش، وهناك! على تلك التبة البعيدة.. نرىٰ أوغو صُحبة ميشيل ومارسيلا.. وثلاثتهم كادت أن تتوقف قلوبهم من هول المنظر..! ولحظة هطول الثلوج الغزيرة صاح بهما ميشيل مسارعًا: تراجعا بسرعة..!!! ستبتلعنا الثلووج هيَّاااا!

وها ثلاثتهم تركض أقدامهم بكل ما أوتيت من سرعة مبتعدين باتجاه مجيئهم ووراءهم فيضاناتٌ من ثلوجٍ تحمل صخورًا هائلة..! يُكملون ركضهم مُسرعين.. حتى صاح بهم ميشيل مشيرًا باتجاهٍ آخر قائلًا: هناك! إلى هذا الكهف هياا..!

ركضت مارسيلا خلف ميشيل ليدلفا إلى الكهف.. وآنما تركض جميلتنا ترىٰ ما خلفها.. فترىٰ الثلوج تتراكم أكثر فأكثر وتريد ابتلاع جُل ما يُصادفها.. ولكن.. هناك خطبٌ ما، أوغو! إلى أين ذهب؟

صاحت به مارسيلا أثناء ركضها إلى الكهف: أوغووو! أين أنت؟

فردّ ميشيل يلتقط أنفاسه أثناء ركضه بصوتٍ متقطعٍ إثر ركضه: آيْ!! لا وقت لدينا هيا

أكمل العميلين ركضهما بسرعةٍ شديدة، يقتربان من فتحة الكهف أكثر فأكثر، كادت كرة الثلج المهولة أن تقضي عليهما قبل أن يدلفا إلى مدخل الكهف بقفزاتهما الطويلة إليه، وتسير كرة الثلج المهولة من فوقه مُنحدرةً إلى تبَّـةٍ أخرى إلى أن ارتطمت بسفح أحد الجبال القريبة مما أدرىٰ إلى انهيارها.. انفجرت ثلوجها تتناثر هنا وهناك وتحدث صوت ارتطامٍ قد سمعته مارسيلا وأدركه ميشيل أثناء وجودهما بذاك الكهف..

بعد ثوانٍ من دخولهما جوف الكهف الصغير سارعت مارسيلا بالسير إلى مدخل الكهف ثانيةً وتبدو ملامح القلق على وجهها، ولم تكد أن تسير خطواتٍ بسيطة إلى أن أوقفها ميشيل صائحًا: إلى أين تذهبين؟ ألا تسمعين الأصوات بالخارج؟ علينا أن نصُد هلاكنا إلى أن نحصل على القلادة..

صاحت به مارسيلا بغضب شديد: ألا تمتلك من المروءة شيئًا؟ كنا ثلاثة، والآن نحن اثنان فقط، أين الثالث؟ لا أعلم.. وأنت؟ أنت أيضًا لا تعلم، والآن تريد مني ألا أبحث عنه؟

إبان غضبها على زميلها ميشيل سمع كلاهما أصوات دكّ الجبال وانهمار الثلوج بالخارج.. سمعا أصوات صخور تتساقط أعلىٰ ذلك الكهف لينظرا أعلاهما ليجدا سقف الكهف يهتز كما لو كان سينهمر هو الآخر، رد ميشيل وقتذاك: كلا.. لكنني أعلم أوغو جيدًا، بالتأكيد وجد طريقة أخرى.. لن يهلك أوغو بهذه البساطة، أنتِ لا تعرفينه جيدًا كما أعرفه

صمت قليلًا يلتقط أنفاسه ثم أردف: علينا الخروج من هنا، ولكن لن نعود إلى الساحة.. علينا أن نسلك طريقًا آخر لنبحث عن البقية، لن ننجح بمفردنا في هذا

مارسيلا: وأوغو؟

ميشيل: إنه بخير، أعلمه جيدًا.. لن تبتلع الثلوج أفضل عميلٍ للمنظمة

ثم أكمل: لا وقت لدينا لوضع خطة، فقط اتبعيني..

تقدم ميشيل إلى المدخل الذي دلفا منه إلى الكهف، وأخرج رأسه من جوانب المدخل ليرىٰ ما بالخارج فلم يستطِع رؤية شيءٍ سوىٰ الضباب الثلجي.. سار بضع خطواتٍ أخرى وكررت مارسيلا الأمر ذاته، فلم يلاحظا شيئًا! وحينئذٍ تحدث قائلًا: لا أرىٰ الشمس حتى...!! أيًّا يكن.. اتبعيني

سار ميشيل باتجاهٍ يُخالف اتجاه مجيئهما وسارت مارسيلا من خلف مباشرةً، ذاهبان نحو المجهول.. ولا ترىٰ أعينهما سوىٰ عاصفةٍ من الثلوج تُعيق رؤيتهما بشدة

بمشهدٍ موازٍ نعود إلى الساحة المُحترقة وما عليها..

نرىٰ الغريب رايدن يضع قبضة يده اليمنىٰ وركبته اليسرى على اليابسة من أسفله، ويبدو أنه استنزف قدرًا كبيرًا من طاقته لتفريغ قواه على أخيه، وعلى بُعد امتارٍ من مربعه نرىٰ القادة العشرة وقد تشكلوا في حلقةٍ مُحكمة الإغلاق لحماية الملكة من أقل الأضرار.. وبعد لحظاتٍ من انتهاء هذا الشر، فُكّت حلقة القادة ليظهر النور على آسيا من جديد، تفتح عينيها ببطءٍ لتنظر إلى السماء المليئة بالعواصف ثم تلتفت يسارها.. رويدًا رويدًا.. وتُكمل الالتفات إلى أن تقع عيناها على الغريب المذكور جاثٍ على إحدىٰ ركبتيه واضعًا قبضة يده على جليد أسفلِه، وآنما رأته ركضت نحو مربعه باحثةً عن نارو.. ابنها ذا النسل الملكيّ.. تركض وتركض دون أن تعبأ بأمر العواصف الثلجية المتكاثفة من حولها، وما أن وصلت لمربعه حاوجدته أضعف من ذي قبل، لا يقوىٰ على الوقوف على قدميه من جديد، وقفت أمامه محنية الرأس لتنظر إليه، وصرخت بوجهه قائلة: أين هو؟ أين نارو؟

لم ترىٰ آسيا ردًّا منه فأردفت في صوتٍ متوترٍ يرتجف من البرد: أين نارو؟ أيننن؟

نظرت ملكتنا إلى الأرض من حولها ولا ترىٰ غير العواصف الكثيفة تلك، الكثير من الثلوج تتساقط من السماء ومن قمم الجبال، رأت الكثير من الحراس يطوفون أعلاها فصاحت بهم: أنتمم! أين نارووو؟ هل تروونه؟

أخذ الحراس يطالعون المكان بحثًا عن نارو، وبدؤوا بالتحرك صوبَ اليابسة متفرقين كلٌّ يبحث بمفرده في محاولة لإيجاده أوسط تلك العواصف التي تعيق الرؤية

عادت عينا الملكة لذاك الغريب ليتقلص وجهها غضبًا وتتوهج عيناها الداكنة، سارت خطوات أخرى صوب الغريب لتصيح مُزمجرةً بصوتٍ ضاهىٰ صوت الأسود ليسمعه من بالأرض والسماء:

- أنا الملكة.. وُلدت من رَحِم الفقد والمعاناة، وُلدت بدموعٍ.. فذرفتها كلها.. وذرفت الدماء عقبها، لا يوجد مخلوق على وجه كيب لار يستطيع هزيـ..

قاطعها رايدن ناظرًا بعيونها ليتحدث بصوته القصِيّ بعد لحظاتٍ من الصمت: ما الخطب؟ هل دقّ الخوف قلبكِ الصغير؟

فردّت آسيا تُزمجر وتُلوح بكلتي يديها: سأُريك من الصغير

أخذت تُلوح بيدها ذات اليمين وذات اليسار.. تتوهج عيونها بالغضب النيانوسي البنفسجي لتتوهج كفوفها تباعًا، وحينئذٍ وجهت كفوفها صوبَ ذاك الغريب بينما تصرخ بإطلاق ما لديها من قوة..!

وآنئذٍ.. لم يحدث أي شيء..! توتر قلبها بخوف وارتعاد فكررت الأمر ذاته، فلم يُجدي نفعًا..! وفي تلك اللحظة صاحت به آسيا تُطلق عهد الحقيقة قائلةً في غضب: جولدافيوسساااا

وبعد انتظارٍ لم يدم لثوانٍ بات كل شيء كما هو..! لا شيء مطلقًا..! ارتسمت البسمات على وجه الغريب ليقول شامخًا: لن يُجدي عهد الحقيقى نفعه الآن، سبقكِ ڤان-توراس في ذلك.. لولا تفوهي بالحقيقة لما أتىٰ بجيوشه معي لأسترد عرشي

زاد وجه آسيا اصفرارًا آنئذٍ لتسأله بصوتٍ يرتجف حد الزلازل: لن أكررها ثانيةً.. مننن تكوون أنتتت؟

إبان ما يحدث سمعت الملكة أصوات المحاربين تنادي: أيتها الملكة أيتها الملكة..! لقد وجدناه

أشار أحدهم إلى بقعةٍ لا تبعد الكثير عنها فركضت نحوها لتجد بعض الجنود يجثون بالثلوج أسفلهم، تخللتهم إلى نارو.. فرأته..! مستلقٍ على ظهره مغمض العينين، يُشبه الموتىٰ لكنه لم يفارق الحياة، جثت الملكة على أرجلها ووضعت رأسه على ركبتيها محتضنةً إياه.. ونادته في همس بينما تسود عيونها لتقوم باستدعائه كما تفعل: نارو..! هل تسمعني؟ أنا أناديك

وفي محاولة استدعاء الغائب عن الوعي عاد الغريب للوقوف على قدميه ثانيةً، وبدىٰ أن قواه عادت لما كانت عليه بالسابق، سار صوبَ آسيا وجنودها، ومع كل خطوة يصيح محاربو نيانوس يدوُّون: تجمعوا هناا..!! احمو الملكة آسيا..!!!

اجتمع عددٌ ليس بقليل من جنود النيانيين حول الملكة فيجتمع الحراس آن سماعهم لصرخات الجنود.. وقام معظمهم بالبقاء حول ملكتهم آسيا وعزيزهم نارو.. بينما انقضّ البقية بالهجوم على ذاك الغريب بعضًا بأسلحته وبعضًا آخر مجردًا بقواه فقط، وما أن اقترب محارب أو حارس لجسده ضربه الغريب بقبضته ليشُج جسده..! اجتمع الكثير في آنٍ واحد يحاصرونه ويهاجمونه فازداد العدد من أمامه، توقف عن سيره ليُصبح مُحاصرًا بآلاف المحاربين والحراس.. وحينئذٍ صاح القادة العشرة بوجه الغريب قائلين: أيها الخائن.. استسلم لا فرار لك

فصاح الغريب مُوجهًا حديثه لهم: لستُ الخائن هنا، بل هي

وأردف: ماذا أيتها الخائنة؟ ألن تستسلمي بعد؟

نظرت آسيا الجاثية إلى ابنها السقيم، ثم عادت عيناها إلى ذاك الغريب وقالت في توعد: ستندم على ذلك..

ثم أردفت بعد صمتها لتصيح بجيشها ثائرة: اسفكوا دماءه

وباللحظة..

هاجم من عليها من المقاتلين ذاك الغريب بكل سرعة وشراسة، بعضهم يهاجمونه برًّا.. والبعض يطوفون أعلاه، جميعهم يتوقون لتحطيمه وتمزيقه إلى أشلاء من اللحم تكسوها الدماء، ولكن دون المتوقع لم تُجدي هجماتهم نفعها..! فعندما أوشك بعضهم على شج الغريب وتحطيمه قام هو برفع ذراعه ليُوجه كفه إلى أمامه، غطىٰ الليل عيناه وقلبه.. ثم انبعثت الصواعق من صدره وكفه لتخترق أجساد الجنود من حوله...!! أخذ يدور حول نفسه كالبرق موجهًا كفه إلى الأمام ومع كل درجة يدورها تدور معه صواعقه لتخترق الجيوش برًّا وجوًّا...!! وبعد دورانه حول نفسه تاراتٍ عديدة بالدقيقة كان ربع الجيوش النيانية يتمثل في أشلاءٍ من اللحم تكسوها الدماء..! تنغمس أجسادهم بالثلوج.. وأعينهم مُمزقة لا لون لها ولا هيئة، تحطت كريستالاتهم الحمراء بجبينهم فتُصبح مكسورةً منطفئة، لأمرٌ مروع أن ترى الملكة هذه الهزيمة الساحقة أمام أعينها.. ما أن رأته خرّ قلبها حتى كاد أن يصبح في فمها من هول الذعر..! زاد الذعر اكثر فأكثر عندما تقدم الغريب نحوها حاملًا غضبه بيديه، وآنما أصبح على بعد أقدامٍ قصيرة من مثواها توقفت قدماه عن السير لتُحدق عيناه المحتدة بآسيا.. الملكة الغجرية التي تذوقت أسوأ هزيمة شهدها التاريخ، حدقت به هي الأخرىٰ.. نظرات تتخللها الكراهية والكثير من الارتباك كذلك..

في ذلك اليوم..

تشهد الجبال بثلوجها..

تشهد الأرض بأُناسها..

تشهد نيانوس بشعبها على الدموع الأثمن على الاطلاق والتي انطلقت من جفون الملكة آنما خضعت لمصيرها، ذرفت دمعةً واحدةً كانت كفيلة بإسعاد ذاك الغريب، قال حينما رأىٰ وجهها يبكي: آآآه..! أخيرًاا شهدت عيناىَ الدموع البشرية! وليست أيَّ بشرية! إنها آسيا.. حاكمة المملكة وَ إلخ إلخ لا يهم.. سأصبح الحاكم على أي حال

أجهشت آسيا بصوتها فزمجرت باكية: من أنت؟

رد الغريب آنها.. وقال بصوته العميق: أنا؟

ثم أردف يُقلد آسيا في كلامها وأسلوبها ضاحكًا: أنا من جئتُ من هاوية الزمن، وأنا الذي سيُعيد المجد لهذه الأرض، أنا الذي سيكون في كل زمانٍ ومكان

وأكمل ضحكاته بينما تنظر إليه آسيا بذمٍّ واستحقار، وأكمل: ولكن أتعلمين؟ كان تصرفًا غبيًّا أن تقتلي أبي دون عبءٍ بالعواقب

قالت في تشوش: والدك؟ ، أرجوك.. أرجوك خبرني.. من تكون؟

فردّ مُبتسمًا: أنا؟ هه.. أنا تلك العواقب

وأردف بصياحه الرعَّاب: أنا رايدن الرابع عشر بن رايدن الثالث عشر.. حامل أقوىٰ دماء نيانوس.. أنا ملك نيانوس.. بل نيانوس ملكتي أنا

ظهرت ملامح الإنكار والخوف بوجها ليخرّ فمها ساقطًا إلى الأسفل فيُفتح في ذهول إثر هذه الصدمة.. واكتفت بصمتها تعجز عن الكلام.. ليُردف رايدن في فظاظة: أصدقائي يودون رؤيتك أتعلمين هذا؟

أنهىٰ العزيز رايدن جملته، ثم رفع بكفَّيه إلى السماء وكأنه يوشك على دفع شيءٍ ما، وإذ بصواعقه المدوية تتكون من جديدٍ فتسري بكامل جسده فتجتمع بذراعيه وصولًا لكفوفه الكبيرة!!! وعيناه! تزداد تبلُّجًا!! يزداد الأمر سوءًا عندما يبدأ بلفظ كلماتٍ عجيبة لم تفهمها آسيا، يتلفظ الكلمات فيزيد تبلُّجه وتزداد صواعقه! وباللحظةٍ وتلواها يضرب بصواعقه عنان السماء!! تتكون عواصف دامية ذات لونٍ بنفسجيٍّ قاتم!!! تزداد العواصف البرقية بالاتساع أكثر فأكثر ليتحول لون السماء الأزرق إلى بنفسجيٍّ مرعب!!! يخرج البشر من بيوتهم ناظرين إلى السماء.. ليرو تحولها بسرعةٍ جبارةٍ لأكوامٍ متكدسة من البرق البنفسجيّ!! أصاب قلوبهم الذعر أكثر من ذي قبل..

بالأمس كان رايدن سببًا في الانشقاق القمريّ.. واليوم يُعيد الذعر إلى قلوب ورثة الأرض بجلبه لتلك الصواعق الدامية..! بعد دقيقة من حدوث الأمر كفّ رايدن عن بثّ الصواعق بالسماء ليعود كما كان، بينما لم تفعل السماء ذلك، بل ظلّت بنفسجيةً تحمل غضب رايدن المكوم..! إبان ذلك.. ظهرت المحيطات والبحيرات وكافة المسطحات المائية باللون البنفسجيّ؛ لانعكاس ضوء السماء البنفسجيّ عليها فتُصبح المياه بنفسجيةً غريبة كما لو كانت حبرًا بنفسجيًّا مليئًا بالسحر..!

بالموازاة عند أولىٰ قطاعات المجموعة الشمسية، نرىٰ أسطول بني سيليثور ينتظرون بالفضاء، وبالسفينة الأمامية.. نرىٰ كلويْ يقف بالقرب من زعيمه ڤان-توراس، كلاهما يُحدق بكوكب الأرض، وآنئذٍ شاهدا تغيُّر لون المحيطات والبحار والأنهار من الأزرق للبنفسجيْ، وقتما رأو ذلك صاح الزعيم ڤان-توراس بقائد المركبة قائلًا: إنها إشارتنا.. تعجَّل هيا!

وحينئذٍ هب بإعلام البقية ليطوف أسطول آرا لوجهته المرجوة.. كوكب الأرض البشري، يطوفون بسرعةٍ شديدة لتخترق مركباتهم الفضائية مسارات كواكب المجموعة الشمسية.. يتخطون الكواكب واحدًا تلو الآخر وصولًا إلى كوكب الأرض.. ومن خلفه باتت وجهتهم تلك الجزر القطبية التي لطالما بالحياة والأمل..

ونرىٰ على الجانب الآخر بأراضي الجليد.. أوغو! والذي كان بوضعٍ غير مُبشر تمامًا! يتمسك بكلتا يديه بسفحٍ يتوسط إحدىٰ جوانب جبال آنتي.. بينما يحمل الهواء قدميه يأتي بها ذات اليمين وذات اليسار! وهو لا يزال صامدًا يُحاول الصعود إلى الأعلى.. يسعىٰ بجهده كاملًا ولكن دون جدوىٰ، ينظر ببطءٍ لما أسفله فيجد ضبابًا ثلجيًّا كثيفًا.. ولكنه يعلم أنه على ارتفاعٍ شاهق، وإذا أفلت يداه سوف تلتقي روحه بروح والده ساركان، نظر إلى الأعلىٰ من جديد.. فوجد السماء تتحول إلى صواعقَ بنفسجية كثيفة!!! خرّ قلبه خوفًا من هول هذا المنظر ليسعىٰ بكل ما أُوتىٰ من القوة والأمل للصعود إلى سفح الجبل، باء بالصراخ يحاول.. يعين نفسه على ثقل جسده.. وها هو ذا يضع كوعه الأيمن على سفح الجبل.. وبعد لحظاتٍ يتشبث بكوعه الآخر.. يتصبب وجهه عرقًا رغم برودة المكان.. يلهث كمن لم يذُق ماءً منذ أيام.. يلتقط انفاسه ويُقلص وجهه ومن ثم يقوم بالدفع بذراعيه إلى الأسفل ليرتفع جسده إلى الأعلىٰ، وما أن ظهر جذعه من خلا سفح الجبل ألقىٰ بجسده كاملًا إلى ما أمامه لينجو من الموت بأعجوبة، وظل مستلقيًا على ظهره يلتقط أنفاسه بسرعة.. تنظر عيناه إلى السماء البنفسجية المليئة بالصواعق، وبعد بضع ثوانٍ قام بجسده ليصلب ظهره، يضع يده على ركبته المجروحة ليتفقد جُرحها فوجده غائرًا للغاية، وحينئذٍ قام بخلع سترته ثم خلع قميصه، وارتدىٰ السترة من جديد.. شجّ قميصه بيديه إلى نصفين وربط بأحدهما ساقه بقوة حتى تلتئم، وأثناء ربطه لساقه سمع أصواتًا غريبة!! كأنه شخص يصرخ من بعيد، كلا ليس شخصًا واحدًا.. بل أشخاص، كلا.. إنهم آلاف الأشخاص على الأقل!!! وقف سريعًا ليتفقد الأمر.. ونظر حوله فلم يجد مصدر ذلك الصوت، إلى أن وقعت عيناه على أطراف السماء.. سار يعرج بساقه المجروحة، خطوةً تلو أخرىٰ.. وهكذا إلى أن وصل لحافة المنحدر.. وفي تلك اللحظة يقف أفضل عملاء عيْن متسمرًا كالصخرة ليشاهد هول هذا المنظر.. قال بصوتٍ خافتٍ لم يسمعه أحد: إنهم.. إنهم هم! لقد أتو!!!!

لم يكن أوغو وحده من يشاهد السماء حينئذ، كانت أعيُن الجيوش النيانية محدقةً بسمائها، وحدقت بها أعيُن ورثة الأرض ليؤوبوا خائفين مسارعين إلى منازلهم.. يغلقون النوافذ والأبواب.. يحمون بعضهم بعضًا، كل ابن يبكي في حضن أمه.. وكل ابنة تلبث بين ذراعي أبيها.. كل عائلةٍ من البشر تلتصق ببعضها البعض.. يجهشون بالبكاء رجالاً ونساءً وأطفالًا كأنهم يودعون بعضهم ويستعدون للموت المحسوم..

أما آسيا.. فمازالت جاثيةً أمام رايدن بينما تراقب الأمر ذاته.. المشهد الذي أغرق القلوب بالخوف والذعر.. آلافٌ من المركبات الفضائية تتشكل في أسطول آرا المهول!!! تحمل بداخلها بني سيليثورا كلهم وزعيمهم الموقر ڤان-توراس، تتقدم السفن إلى يابسة رايدن.. ويهبطون على هيئة أزواجٍ من السفن.. زوج يتلوه آخر.. بسرعةٍ وثبات، كانت أولىٰ المركبات التي حطّت على اليابسة المغطاة بالثلوج البيضاء هي تلك التي تحمل ڤان-توارس ووزيره كلويْ بداخلها، ولحظة هبوطها على متن اليابسة تنظر إليها آسيا بوجهها الفاتن الحزين.. لترىٰ عدو النيانيين الأول واقفًا خلف الحائط الزجاجي الأمامي من السفينة.. كان ڤان-توراس واضعًا يديه خلف ظهره بينما يحدق بنظراته الشامخة إلى آسيا والتي تجثم عاجزةً عن الكلام حتى.. وحينئذٍ تفوه الوزير القزم محدثًا زعيمه: ماذا علينا أن نفعل بها؟

ڤان-توراس: لن نفعل شيئًا يا كلويْ، الوعد يعني وعدًا.. إنها مِلك رايدن الآن

كلويْ: وماذا عن شرف مملكتنا؟

ڤان-توراس: تعلم جيوشنا بالاتفاق بيني وبين رايدن، لن نؤذي نيانيًا واحدًا إن انتهينا من هذه الحرب، أما عن آسيا.. فلا حياة لها من اليوم وحتى نهاية الأيام كلها

وأردف في تخمين: أعتقد أن رايدن سيقوم بتحويلها إلى خنزير

احتار كلويْ قائلًة: آمم عذرًا سيدي.. ما الخنزير؟

رد الزعيم بحيرة هو الآخر: لا أعلم، ربما شيء قبيح، سمعت ذلك الاسم من آسيا أثناء الحروب القديمة.. لا عليك

وأردف محدثًا قائد السفينة: كم من المركبات لم تهبط على متن اليابسة بعد؟

القائد: لقد أصبح أسطولنا كاملًا على اليابسة قبل قليل.. قبل جملة الخنزير سيدي

ڤان-توراس: جيد.. فليخرج الجميع إذًا

آنما أمره الزعيم بذلك فُتحت أبواب المركبات بأكملها لتخرج منها جيوش آرا العريضة .. يعتلي العبوس وجوههم كالمعتاد.. تتوق أعينهم الصفراء إلى قتل كل نيانيٍّ شهد حربًا ضدهم، ولحظة خروجهم اصطفوا في صفوفٍ منظمة ومتتابعة.. ينتظرون خروج الزعيم من مركبته ليتقدمهم، وفي ذلك الوقت كان هو بسفينته ولم يحرك عينيه من على آسيا من خلف الحائط الزجاجيّ.. وظل شاردًا يُحدق بالبشرية الملعونة إلى أن حدثه القزم قائلًا: أيها الزعيم.. مستعد؟

تمتم الزعيم برأسه مُجيبًا.. وقال بصوتٍ هامسٍ بينما يشاهد عجز آسيا: آنت اللحظة المترقبة يا ذات الخيوط السوداء.. آنت اللحظة.

(16) لقد أصبحتَ الوزير..!!

لا تزال الملكة جاثية ركبتيها على اليابسة، وما أن خرج ڤان-توراس من سفينته أصاب الذعر قلبها وعقلها؛ فهي تعلم مدىٰ كراهيته لوجودها ولحُكمه، أخذ الزعيم سيره رفقة كلويْ نحو آسيا والتي تحتضن رأس ابنها خائفةً لغياب حمايته، وبعد ثوانٍ قليلة.. خطا الزعيم خطوته الأخيرة ليتوقف أمام آسيا مباشرةً، بينما تتشكل جيوشه السيليثورية في خطوطٍ ودوائر متغيرة المسار من خلفه؛ لتجنب أي هجمات مفاجئة من النيانيين، وفي تلك الأثناء.. صاح الزعيم بوجهه العابس: ياا‌ا لكِ من آسيا.! لقد مر الكثير حقًا أليس كذلك؟

صمت قليلًا ليرىٰ تعابير وجهها.. ثم أردف مهددًا: فلتأمري القوم بالخضوع لرايدن، إنه الملك الآن وليس أنتِ

وأضاف كلويْ على حديث زعيمه: أنتِ متهمة بالخيانة طبقًا لقوانين كيب لار؛ لقتلك الملك رايدن الثالث عشر حاكم النصف الآخر من الكوكب

وإبان انتقال الحديث من الزعيم للوزير لآسيا حدث ما توقعته آسيا من جيوشها التي انتظرت اللحظة المناسبة.. وما أن أتت تلك اللحظة حتى انقضت الجيوش النيانية كما تنقض الأسود على فريستها!! حاصروا جيوش آرا يتشكلون في حلقة مُحكمة تتكون من آلاف الجنود النيانيين وهؤلاء هم من بقو على قيد الحياة، وأعلىٰ الزعيم بجيوشه يطوف القائد الوحيد المتبقي من القادة العشرين.. ومعه المئات من صفوة الجنود بالمملكة.. صاح مُعممًا حديثه إلى الجميع أسفله: باسم الملكة آسيا والوزير أدولف وكافة وزراء نيانوس العِظام سلّموا أنفسكم للموت.. وإلا ستذوقون ما هو أسوأ منه

وعلى اليابسة أسفل ذلك القائد يوجد أدولف حاكم الوزراء البقية.. بقلادته الآسرة المعتادة.. ويقف بجانبه كافة وزراء المملكة وجبابرتها، صرخ مُعقبًا على حديث القائد أعلاه بصوتٍ جفِل: ڤان-توراااس!!

وأردف بعد ثوانٍ: اخضع بجيوشك.. نُضاهيك عددًا وقوة، وأنت أيها النياني الغريب.. إن كنت الوريث الحقيقي للمملكة فأنت الآن مُتهم بالخيانة لمُعارضتك حُكم آسيا.. زوجة الملك الأخيرة، طبقًا للقانون لا يم...

فصاح رايدن مقاطعًا حديث الوزير: لا أكترث للقوانين أنت الآخر

ثم نظر إلى ڤان-توراس وأردف له مشيرًا إلى أدولف وكلويْ: عندما ننتهي من الحرب ذكرني بأن نضع وزراء حكمة غير هذين الاثنين

امتعض كلويْ بينما يحدق برايدن، وتحدث إلى نفسه هامسًا: عليك لعنة نيانوس

فالتفت رايدن وقتما سمعه قائلًا: ماذا قلت؟

رد القزم بارتباك: أنا؟ لم أقل شيئًا

وحينئذٍ صاح بهما ڤان-توراس قائلًا: اصمت يا كلويْ

ثم التفت إلى آسيا التي تجلس أرضًة وسار خطواتٍ قصيرة نحوها، خفض رأسه ناظرًا إليها ليُحدثها قائلًا: مصيركِ محتومٌ بالفعل يا آسيا.. وشعب نيان هم شعب

رايدن.. وشعب نارو كذلك، إن كان معنا في هذه اللحظة لكان استسلم لحُكم أخيه الأكبر ثم شجّ رأس أمه لما فعلته بزوجها

وأردف بهدوء بعد لحظاتٍ أخرى من الصمت: إن قامت هذه الحرب فلن يبقىٰ جنس البشر على قيد الحياة، سيموت الكثير من شعوبنا نيانيين وسيليثوريين.. سنعود بالكثير من الخسائر وسننتصر كما قلت مسبقًا لذا أُفضل استسلامكم

أخرجت آسيا زفيرًا مصحوبًا بالضجيج والآفات، ثم استجمعت شتات نفسها وجسدها لتقف على قدميها من جديد تاركةً نارو يستلقي على الثلوج أسفله، وحينما علقت عيناها على نارو قال لها رايدن: إنه أخي، سيكون على ما يُرام بعد اندلاعك

فالتفتت له آسيا بنظرةٍ منكسرةٍ مهشمة، وأومأت برأسها لكلامه، وبعد لحظات نظرت إلى الوزير أدولف بطرف عينها بينما يبعد عنها مسافة ليست بقليلة.. أخذت تنظر إلى محاربٍ وآخر حتى صاحت بجيوشها كاملةً بصياحها الىءي دوىٰ آذانهم: أنا آسيا الملكة، أُعلن استسلامنا أمام أسطول مملكة آرا الغائر

وآنما نطقت بهذه الكلمات صُعِق وزراء المملكة مما سمعته آذانهم، بدىٰ الغضب الشديد على وجوه كافتهم، عدا الوزير أدولف.. لم يُبدِ رد فعلٍ لحديثها، سارت لتبتعد عن الزعيم ڤان-توراس.. خطوة بعد أخرى نحو جيشها.. وآنما تسير ينظر إليها جميع من بالمكان.. وتقول أثناء سيرها بنبرة الاستسلام:

أنا آسيا..

ابنة البشر الضعفاء

حاكمة النيانيين الأقوياء

أُعلم استسلامي لمن يتمثل أمامي

من قادة وجبابرة ووزراء.

وآنما انتهىٰ حديثها كانت قد خطت بعيدًا عن رايدن والبقية لتُصبح بالمنتصف بين ڤان-توراس ومن معه على اليمين ووزيرها أدولف وجيوشها على اليسار، عم الصمت بالمكان حتى صاح بها رايدن: جيد.. والآن انزعي تاجك؛ إنه لي

أدامت آسيا النظر به مُطأطأة الرأس، ومن ثم وضعت يديها على رأسها كي تنتزع التاج كما طلب رايدن، ولكن.. آن ملامسة يديها لذلك التاج المُرصع بالكريستالات البنفسجية والسوداء.. ارتسمت ابتسامة يصحبها الشر على وجه آسيا.. لتصرخ بصوتٍ دوَّىٰ ودمر قلوب من سمعه: التاااااج ليييي !!!

وباللحظة ذاتها ركضت صوبَ أدولف والذي أخذ ركضه باتجاهها بمفرده وبسرعةٍ شديدة..!!! وإبان ذلك تشتعل عينا رايدن بغضبها ليُطلق صواعقه صارخًا نحو آسيا بينما خلع أدولف قلادته أثناء ركضه.. مد يده إلى آسيا وما أن لامستها أصابعه حتى صرخ مطلقًا عهد كولا بالاختفاء: هاي داراسكاا

وحينئذٍ..

اختفىٰ وزير الحكمة أدولف يصطحب ملكته قبل أن تُصيبهك صواعق رايدن بأجزاءٍ من الثانية..! كان الأمر وشيكًا، آنما اختفت آسيا صرخ القائد بالأعلىٰ قائلًا: نيـاناااا.. اهجموووا

هنا وهنا فقط.. أشرفت النهاية على الاقتراب بقيام الحرب بين مملكة نيانوس ومملكة آرا!! في مشهدٍ جزير.. يركض الجنود السُّمر باتجاه شياطين آرا العِظام!!! يصرخ الجميع إبان ركضهم لا يعرفون إلا شيئًا واحدًا.. إما تسفِك أو

تُسفَك..! بينما انطلق رايدن بسرعته الجبارة إلى ڤان-توراس والذي حمل نارو على ذراعيه بدوره، أمسك بذراع الزعيم وزيره القزم ليزيد من سرعته حال ذلك ليُصيح كالبرق البنفسجي!! وبين لحظةٍ وأخرى غادر العزيز الأكبر آخذًا من معه مبتعدين عن ساحة القتال تاركين خلفهم النيانيين والسيليثوريين لشن الحرب بقلوبهم ودمائهم..

يُهاجم النيانيون برًّا وجوًّا.. مستعملين سرعتهم وقواهم السحرية في هزيمة شياطين آرا.. بينما يحاصر محاربو آرا جيوش النيانيين، فيلكمون ويركلون.. يستغلون قوتهم البدنية للإطاحة بأكثر من محارب في آنٍ واحد، تحارب الجيوش النيانية في أحزابٍ تتفرق بالبر والجو وما بينهما.. بينما يحارب جيش بني سيليثور في صفوفٍ متلاصقة لا متفرقة.. كأنهم قبضة واحدة تلكم الجيش فتودي بعددٍ ليس بالقليل من مقاتليه.. تتطاير دماء الطرفين وتتناثر على الثلوج أسفلهم، وفي دقائق معدودة كان نصف الجيشين قد لقىٰ مصرعه إثر هذه الحرب الفتاكة..

****

في موازاة ذلك..

آسيا ووزيرها نراهما وقد فرَّا من بأس الحرب المشتعلة، أخذها أدولف إلى قمة جبلية تبعد كل البعد عن ساحة القتال، وآن وصولهما إلى هناك جثت آسيا أرضًا؛ شعرت بالسقم الشديد حيال استعمال الكثير من قواها قبل قليل، وعندئذٍ جثىٰ أدولف هو الآخر.. نظر إليها في حيرة فأمسك بيدها وضمهما ليضعهما بين كفّيه الكبيرين.. وقال في رجاحة صوته: جلالتك.. أأنتِ بخير؟

كانت آسيا منهكة بشدة وبالرغم من ذلك تمتمت برأسها مجيبة أنها بخير، تفقد الوزير ساقها حينئذٍ فوجد جرحًا غائرًا قد أصابها إثر ما حدث، وأردف قائلًا في عبوس: هناك جرحٌ غائر بجسدك.. الجسد منهك لغياب حاميه.. ولكن إن عاد لما كان عليه ستكونين على ما يُرام

قالت الملكة في توجُّسٍ وبعض من الخوف: نارو.. لا أعلم ماذا سيحدث إن عاد له وعيه، إن علم بالأمر..

حدثها أدولف يقول في عِزة وثبات: جلالتك.. عندما أتيتِ لأرض نيانوس للمرة الأولى كنتُ مجرد حارسٍ للوزيرة.. وأنتِ كنتِ أسيرة الملك.. لكنه لم يُرِد إيذاءك لفضول الجميع بسلالتك البشرية..

مد يده إلى وجهها ليرفع ذقنها بإصبعه، نظر في عينيها ليُردف: أرىٰ هنا عيونًا نيانية مدفونة.. قتلتِ الملك.. وأنا قتلت الوزيرة، هذا ما نحن عليه.. نحن نيانيّان

وأكمل بعد صمته الممتزج بأنفاسه: أنا وزير الحكمة بالمملكة.. لن يستطيعوا مجاراة حُكم دون موافقتي عليه، سينكر نارو أمر قتلكِ للملك.. ولكن سيرىٰ الأخ دماء أخيه بكل تأكيد

قالت آسيا في تتدبر بالمجهول: فقط لا افكر إلا بشيءٍ واحد.. من والدته؟ لم يُخبرني من زواجه بامرأة لم يُنزع رَحِمها من قبل

عقب الوزير قائلًا: ليست امرأةً عادية.. إنها نيانية الدماء.. رأيت ذلك في استعماله لقواه هناك.. لا تنطلق تلك القوة إلا بدماء ملكية أصلية، لديه قوة النسل الكاملة، والده نيانيٌّ كما والدته ويحمل دماءه الملكية من والده.. هذا يجعله لا يُقهر

آسيا: أريد أن أعلم.. أين كان هذا الرجل؟ هل كان معنا طوال هذه المدة؟

أجابها أدولف: أظنه لبث في مكانٍ ما وتعاون مع ڤان-توراس.. إنه يُخل بطبيعة كيب لار.. ما من نياني قد صافح سيليثوريًّا منذ أن قام أسلاف الدماء بصُنع عهود كولا

وأردف: لا وقت للبحث بطيات الماضي، الوقت يداهمنا..علينا أن نمضي قدمًا وإلا عثروا علينا قبل أن يعود نارو إلى صوابه.. وحينها ستكون نهاية كل شيء

صمتت آسيا إبان ما تنظر إليه نظراتٍ حادة.. وضعت يدها على قلبها.. تلمع عيناها بدموعٍ تأبىٰ السقوط.. قالت في توجُّسها وثقتها المهزوزة: لن أنتهي.. آسيا لن تنتهي

أدولف: إذًا عليكِ استعادة قوتك

وأردف: أظن أن النوم أفضل سبيل يسلكه البشر للتعافي والهروب من الألم، خذي قسطًا من الراحة يكفي جسدك

آسيا: وماذا ستفعل أنت؟ أحتاج إلى الحراسة في الوقت الراهن

أجابها أدولف في رجاحة: في الوقت الراهن بالذات لا يمكننا أن نثق بالحرس الجنود، وغير ذلك لا أعرف كم سيتبقىٰ منهم من أحياء

وأردف بينما يضع كفه على كتف ملكته: عليّ الذهاب جلالتك.. عليّ أن أفعل كما فعل رايدن

قالت تتدبر كلماته: ماذا ستفعل؟

فأجابها الوزير: لقد نجح بالتعاون مع بني سيليثور للمرة الأولىٰ منذ زمن بعيد، سيتوجب عليّ المحاولة أيضًا، لا أبتغي التضافر مع ڤان-توراس.. لكن وزير الحكمة السيليثوري أذكىٰ من عهدت من وزراء الكوكب.. ذاك القزم الأزرق الذي يُدعىٰ كلويْ

وأكمل: سأحاول وضع الحلول الممكنة لألّا تُسفك المزيد من الدماء، وعندما يحدث سنرىٰ ما الخطوة التالية

آسيا: ماذا إن فشلت؟

رد هادئًا: سأفعل ما بوسعي لعدم حدوث ذلك

وقتذلك أشار أدولف إلى كهفٍ يتواجد وراء آسيا، وقال لها: عليكِ البقاء هناك.. نحن على أكثر الجبال توسطًا واختباءً بالمملكة، بقاؤكِ هناك لبضع الوقت لن يأتي بكشف أمرك

مد يده إلى قفاه لينتزع قلادته.. علقها برقبة الملكة قائلًا: اعتني بنفسك جيدًا، ولا تبرحي مكانكِ.. إن حاصركِ جنود آرا عليكِ استعمال قوة القلادة، حاولي الفرار من الموت إلى آن إفاقة نارو؛ إنه الأمل الأخير في بقائنا على قيد الحياة

وحينئذٍ أدار الوزير وجهه تاركًا آسيا خلفه، وسار خطواتٍ بسيطة يفرد جناحيه كما الطير.. أخذ نفسًا طويلًا وأخرجه.. ثيابه مغطاةٌ بالثلوج.. سار صوبَ الهاوية ليقفز منها بينما تشاهده آسيا ثم وقفت ذاهبةً إلى الكهف المذكور، أما عن أدولف.. فما يزال يسقط إلى الأسفل.. بعد لحظاتٍ يصل إلى سطح الأرض وتحط قدماه وقبضتاهُ على الثلوج أسفله بكل ثباتٍ دون أن يتأذىٰ جسده أو تُجرح إربةٌ من كاحله! بعد لحظاتٍ وجيزة.. فك قبضاته عن اليابسة ليطيل جسده من جديد ومن ثم سار صوبَ أمامه، باتجاه الساحة التي تقوم بها قيامة الحرب في الوقت الراهن..

بأحداث تضارع الأحداث، نجد الرائد تاج الدين بين قواته بأطراف آنتي.. يغلبه التوتر التوجُّس؛ فما استطاع التواصل مع عملائه الثلاثة منذ مغادرتهم ولا يعلم ما إن كانوا على قيد الحياة أم لا، ظل في سيره ذهابًا وإيابًا يرتدي معطفًا بغطاءٍ على رأسه لشعوره بالبرد القارس.. بينما يظل بقية العملاء ينتظرون قراراته، وبعد دقائق وجيزة أتىٰ بينهم قائلًا: ما نسبة نجاحنا بتهريب البشر إلى بيت المنظمة السري؟

فأجابه أحد العملاء: صفر بالمائة.. سيدي

وتابعته عميلة أخرىٰ: إنه أمر مستحيل سيدي، قاع المحيط ليس مستقرًا.. حتى وإن عاد لما كان عليه لن تستطيع الغواصات العودة بنا إلى هناك قبل أسبوعٍ واحد على الأقل هذا إن ذهبنا بنصف عددهم فقط

رد عميل آخر: لن نستطيع العودة بجل هذا العدد.. إن أردنا حماية ورثة الأرض.. علينا حمايتهم على الأراضي الجليدية

تمتم الرائد برأسه بعدما اتفق كافة العملاء على الحديث ذاته، أخرج زفيرًا قويًّا مليئًا بالكلام الذي لم يقُله، ثم قال بنبرة حادّة: ستغادر القوات إلى بلدة ورثة الأرض لحمايتهم من أذىٰ الحرب

وأردف: اما أنا وكافة العملاء فسنمضي إلى ساحة الحرب.. لقد استقرت الظروف بعض الشيء لذا أظنهم قد كفوا عن القتال، وأظن أن النصر كان لصالح المملكة الأخرىٰ؛ رأينا أعداد سُفُنهم بالسماء.. كانوا حشدًا من الذباب يجتمعون حول كعكةٍ واحدة

أخذ يسعُل بشدة أثناء حديثه، ليُكمل بعد أن هدأ صدره: علينا إيجاد الوزير الذي تحدث عنه أوغو.. لقد قال أن قلادته هي مفتاحنا لردع هؤلاء الغجر عن إيذاء جنسنا البشريّ، وبالتأكيد سيكون مع ملكته في تلك الساحة

ثم أكمل ثانيةً: لا نسعىٰ لمواجهتهم.. بل نسعىٰ لحماية نسلنا إلى أن يهدأ المحيط، وعندئذٍ سنختبئ إلى آن مغادرتهم.. لا سبيل لدينا سوىٰ ذلك.

وضع كلتا يديه خلف ظهره.. وسار صوبَ الأمام مبتعدًا وحده.. وبعد خطوات قليلة توقف لينظر خلفه، وصاح بهم في غضب: ألم تسمعوا الخطة؟ هياا نفذوا!!

فصاح العملاء بلسانٍ واحد: أمرك سيدي

سار كافة العملاء المذكورين وراء الرائد ومن حوله، وكان عددهم المئات فقط من العملاء.. بينما استعدت آلاف القوات للسير من خلال حواف القارة وصولًا إلى بلدة ورثة الأرض لحمايتهم ولمد يد العون.. يحملون حقائب تحتوي على

الكثير من القوارير الغذائية يمشون بها بصفٍّ واحد حاملين أسلحتهم مُغطاةٌ وجوههم.. يسعَون لإنقاذ النسل من الهلاك

*****

في تلك الأثناء وعلى جانبٍ آخر من جزر آنتي، نرىٰ الرجل الذي فرّ من موته مُصابًا ثم ذهب مهرولًا صوبَ الساحة المذكورة بعد رؤيته للون السماء البنفسجيّ وأسطول آرا المهول.. كان أوغو يسير كالأعرج لا يقوىٰ على المشي الجيد، يسير بين الصخور المغطاة بالثلوج.. لا يُغير مساره بتاتًا ولا يُفكر سوىٰ بمصير من معه.. مارسيلا.. ميشيل.. الرائد.. تُرىٰ أين هم الآن؟ وهل هم بخير أم لا؟ هكذا كان يراود نفسه وهو في طريقه إلى الساحة.. بقيَ قرابة يومٍ كاملٍ في سيره على قدميه ولم يبقَ معه سوىٰ نصف قارورة غذائية فقط!

وبعد الكثير من السير بصخرةٍ عريضةٍ عالية، سمع صوتًا يأتي من يساره فهرول مسرعًا خلف إحدى الصخور ليختبيء..! حَبس أنفاسه ناظرًا بطرف عينه من خلف الصخرة.. وآنما وضع عينه على الرجل اتضح أنه هدفه الذي طال سعيه نحوه.. إنه الوزير أدولف! يسير وحده تمامًا بلا حراسة.. انتظر حتى يبتعد بما فيه الكفاية ليستطيع تتبعه سيرًا دون أن يُكشف أمره، يُكمل سيره ببطءٍ ورويَّة.. ويُكمل الوزير سيره بعباءته الطويلة ذات الأكمام الواسعة.. يضُم يديه لبعضهما ليتوارا تحت هذه الأكمام، بعد عدة دقائق من تقفي آثاره ظهر عن يمين أوغو بشريَّان يختبئان وينظران عن كثب، نظر إليهما أوغو فلم يستطع تحديد هويتهما لبُعدهما عن مرمىٰ بصره.. هذا إلى أن خرجا إلى الطريق كل منهما يحمل خنجرًا حادًّا بيده.. وعلى ظهورهم قناصات المنظمة، أدرك أوغو حينئذٍ أنهما ميشيل ومارسيلا!

تسلل بسرعة صوبهما ليلحق بهما.. وآنما انطلق كانت مارسيلا عن اليمين وميشيل عن اليسار وبالمقدمة أدولف يسير وحيدًا أثناء ضم يديه لبعضهما البعض لا يفترقان.. نظر ميشيل إلى مارسيلا يُحدثها بلغة الإشارة ملوحًا بأصابع

الإبهام والسبابة والوسطىٰ إلى الأمام.. يعني أنه سيُقدم إلى الأمام كي يُشتت الوزير ولتتكفل هي بطعنه من الخلف.. تسلل ميشيل بينما يتخلل الصخور والأشجار وصولًا لدائرة قريبة جدًّا من أدولف.. وعندما أصبح على بُعد أمتارٍ منه أحكم قبض خنجره جيدًا باليد اليمنىٰ تاركًا يده اليسرى لترتمي إلى الخلف ليُتقن هجومه بثبات، لم يتوقف أدولف عن سيره آنذاك، ولكن ما أن هبَّ ميشيل راكضًا نحو الوزير ليطعنه حتى أغمض مورد عيناه! أتىٰ ميشيل من خلفه وكاد خنجره أن يُلامس رقبته إلى أن استدار الوزير مبتعدًا بضع سنتيمتراتٍ إلى الخلف، ليُصبح خنجر ميشيل مغروزًا بصدر الوزير، نظر إليه ميشيل بعيون يملؤها التوتر والخوف بينما يظل الوزير مُغمض العينين كما هو..! أمسك العميل خنجره المغروز وأدخله بكامل قوته أملًا بموت أدولف ولكن دون جدوىٰ.. وآنذاك فتح الوزير عيناه ليرىٰ ميشيل عيون النيانيين للمرة الأولىٰ.. بلونها البنفسجيّ المخيف..!

وبعد لحظاتٍ وجيزة أخرج الوزير الخنجر من صدره مُمسكًا يد ميشيل، ثم وجه الخنجر صوبَ رقبة ميشيل يتقلص وجهه غضبًا..! امتلأ ميشيل بالخوف والريبة.. وصاح خائرا: أرجوك.. أرجوك لا تف..

وقبل أن تنتهي جُملته كان الخنجر يتخلل رقبته من اليسار ليخرج من يمينها....!!! وبالتو واللحظة أتت مارسيلا ركضًا تحمل خنجرًا آخر تبتتغي طعنه برقبة الوحش الذي قتل زميلها لتوّه! وجهت خنجرها إلى رقبته وقبل أن تفعل أدرك حينئذٍ بوجودها فتحرك يمينًا ثم أدار وجهه ليضربها فترتمي بعيدًا عنه!! ارتطم جسدها بتلك الصخرة الكبيرة لتتألم بشدة إثر اصطدامعا بينما بدأ الوزير سيره نحوها..! تدبّ أقدامه بالأرض لتُحدث صوتًا ضاهته نبضات قلبها.. مع كل خطوةٍ يخطوها بغضبه تُطلق مارسيلا ذخيرةً من مسدسها صوبه ولكنها لا تؤذيه ولو بالقليل، وتُكمل إطلاق الذكائر وصولًا للرصاصة الثالثة عشر.. وعند الرابعة عشر كانت الذخيرة قد فرغت، نظرت مارسيلا إلى سلاحها.. ثم رفعت رأسها ببطءٍ تنظر إلى الغاضب الذي سيقضي عليها...

وقبل أن تطول يده جسدها ليقضي عليها سمعت صوت قناصةٍ قويٍّ يأتي من خلف الوزير..! شُل جسده واستدار به ببطءٍ إلى الخلف.. ليرىٰ أوغو موصبا قناصته صوبَه.. تقدم خطوةً يعتلي الغضب لأوغو ثم أمسكت مارسيلا بخنجرها وركضت نحوه وطعنته بقفاه بقوة ثم أكملت طعناتها في ظهره لتسيل دماؤه على الثلوج المنهمرة...!! كانت هذه المرة الأولى التي رأىٰ بها أوغو دماء النيانيين، أما مارسيلا فكان أدولف ثالث ضحاياها من النيانيين، جثى أرضًا يختنق.. يُنازع روحه.. وظل هكذا إلى أن انطفأت كريستالة الحياة بجبينه متحولةً للونٍ رماديٍّ مدفون، وآنما حدث ذلك ركضت مارسيلا صوب اوغو بسرعة شديدة فوضعته بين ذراعيها!! قبلته برقبته ثم عانقته بشدة.. وقالت في رجاحة قلبها: حبيبي! مِت قلقًا عليك.. ماذا أصابك حتى تغيب عنَّا؟

فأجابها أوغو: قصةٌ طويلة

خرج آنها من حضن حبيبته وكاد أن يُردف حديثه قبل أن تُقاطعه مارسيلا لتصيح به قائلة: أوغو كاحلُك..! لقد جُرحت..!!!

قال لها بينما يتآوه داخله: ليس بالأمر المهم.. هل معكِ بعض القوارير؟

فأجابت بينما تحاول تخفيف آلامه: هناك الكثير في حقيبة ميشيل، تركناها بركنٍ مجاور قبل أن نأتي إلى هنا ويحدث ما حدث

وآنذاك أدار أوغو وجهه ليرىٰ جثة ميشيل.. وقال حينها: لقد أفنىٰ عمره بالمنظمة، واليوم يموت شهيدًا في سبيل جنس البشر.. إنه بطل

تمتمت مارسيلا برأسها مبتسمة.. وقالت آنذاك: ماذا سنفعل؟ كيف سنفعل؟

فردّ حينئذ: أولًا علينا التخلص من جثة ميشيل وأدولف حتى لا نترك أثرًا لما حدث..

جثم على ركبتيه ليبحث عن القلادة.. فلم يجدها..!!! "لا لا أين القلادة..!!!" عاود بحثه مرارًا وتكرارًا ولم يجد شيئًا، ورفع اكمام عباءة الوزير.. ليرىٰ نقوشًا ذهبيةً غريبة نُقشت على ساعده الأيمن...!! بدت ككلماتٍ كُتِبَت بلغةٍ غير مفهومة.. لغة الظلال.. قالت مارسيلا آنما رأت ساعده: ما هذه الرموز المشفرة؟ هل رأيتها من قبل؟

فأجابها أوغو محتارًا: كلا، ولكن ربما تكون تلك الحروف ترمز لأشياء أخرى.. أعطِنِي الكاميرا

أخرجت مارسيلا هذه الكاميرا الصغيرة من جيبها لتضعها بكفِّه، ومن ثم نهض أوغو من مربعه ليلتقط بعض الصور لجسده من الأمام والخلف عن يمينٍ ويسار، وقبل أي شيء.. قام بأخذ الكثير من الصور لساعد الوزير

آنما انتهىٰ من تلك الصور الكثيرة شعر برعشة تسري برأسه وصولًا لذراعه اليمنىٰ..!! فاهتزت ذراعه بقوةٍ شديدةٍ حتى جثىٰ على الأرض ثانيةً!!! سارعت مارسيلا صوبه لترىٰ ما به وحينئذٍ لاذ بالصراخ من الألم.. لم تُدرك مارسيلا ما يحدث له! هب بخلع معطفه ثم رفع أكمام ملابسه اليمنىٰ ليرى ما يحدث لذراعه.. ورآها تبرز أوردتها كما لو كانت ستنفجر!!! وجلده ينكمش ويتمدد بطريقة مخيفة...!! وبعد أقل من دقيقة في هذا الأمر كفت ذراعه عن الارتعاش والتألم.. ولكن حدث شيء جعل كلًّا من أوغو ومارسيلا كالأصنام الحية..! على ظهر معصم أوغو الأيمن.. رُسِمت تلك الرموز التي كانت على معصم أدولف!!! صاح آنما رآها: ما.. ما الذي؟!!! ماذا يحدث؟

حدقت به مارسيلا تفتح فمها من الصدمة.. وقالت في ذهول:

- لا أصدق.. أنتَ..

- أنا ماذا؟؟؟ آآ.. مارسيلا ماذا يحدث معي؟

وآنما يهذي بكلماته المبعثرة شعر بأشياء تلامس جسده...!!! اتضح أنها أقمشة!! أقمشةٌ ذهبيةٌ تتكون حول جسده فتكسوا ذراعيه وجذعه تباعًا إلى أقدامه.. لنرىٰ عباءةً تمتزج بالبنفسج والذهب مماثلةً لعباءة الوزير أدولف..! ذُهل كلاهما من الأمر وقال أوغو محدثًا فتاته:

- مارسيلا.. هذا ليس ما أفكر به.. أهذا صحيح؟

- بلىٰ.. أوغو أنتَ... أنتَ...

- ....

- لقد أصبحتَ الوزير!

(17) نصف قويّ ونصف بشريّ

جبال آنتي الجليدية | 2081

على أحد الجبال المتوسطة.. جوف كهفٍ تملؤه الظلمة الدامسة، جدرانه مغطاة بالجليد، نرىٰ الملكة آسيا تجلس شاردةً يعتليها الصمت المُمتزج بالأسىٰ، تفرُك يديها ببعضهما البعض.. تنفُخ فيهما لجلب المزيد من الدفء، وإبان ما تفعله تشعر بهزة قوية بالكهف دلالة لإقباله على الانهيار!!! تنهار العواميد الجليدية مدببة الرأس من سقف ذلك الكهف..! سارعت آسيا بالوقوف وسارعت بإيجاد مخرج الكهف الذي دلفت منه.. وبعد النظر يمينًا ويسارًا لا تجد مفرًّا للخروج...!! استندت بظهرها لأحد الحوائط تلتقط أنفاسها ذعرًا.. وجهها شاحب اللون.. وإبان خوفها المروع حدث ما لم يكُن بحُسبان عقلها الكبير..! أمام عينها مباشرةً.. تنفتح بوابةٌ سوداء فضائية!!!! وتزداد حركات صدرها خوفًا وفزعًا!!! تزداد البواية الدائرية اتساعًا حتى أضاءت بشدة كأنها تُقبل على انفجارٍ أو دمار.. ويزداد الضوء حدة حتى عجزت آسيا عن فتح عينيها الخائفة، وضعت ساعدها أمام عينيها لتحجب الضوء الذي آلمهما من شدته! وتظل لثوانٍ قليلة حتى استطاعت فتح عينيها ببطء شديد.. وآنما فُتحت أبصرت بهما رجلًا أربعينيًّا لا يظهر وجهه إثر الضوء خلفه.. شعرُه يمتزج ما بين الأسود والأبيض، يرتدي سترة ذات لونٍ بني.. يتطاير شعره وتترنح ثيابه من الموجات الخفية المُنبعثة من البوابة السوداء وراءه، نظرت إليه آسيا تتمعن النظر به.. لتجد أحد أكمام سُترته معقودًا من مُنتصفه!!!! وبعد ثوانٍ وجيزة سار الرجل نحوها ببطء أثناء ما ترتعد أعضاؤها بشدة..! يُكمل سيره إلى أن ظهرت ملامح وجهه بدايةً من الأسفل عند ذقنه وشفتيه البيضاء.. ثم إلى أنفه التي تحمل جرحًا مائلًا أعلاها وصولًا لعينيه البُنيتين وقد تبدل بياضهما إلى اللون الأحمر، لقد كان اللون الأحمر يُغطي عينيه وجفنيه.. ووجههُ المليء بقطرات الدماء أيضًا، ليُصبح اسمًا على مُسماه.. ذاك

الرجل لم يكن غريبًا عن آسيا.. لقد كان الأحمر!!! آن إدراكها لوجهه باءت بالبكاء والعويل صائحةً: هل.. هل أأننت! ك..كلّا لا..

وقتذاك مد رشيد يده بسترته ليُخرج مسدسًا ذا لونٍ فضيّ.. سار بضع خطواتٍ أخرى صوب آسيا حتى التصقت فوهة السلاح بجبينها.. أغمضت عينيها تسيل الدموع منهما.. تبكي وتنتحب بصوتها للمرة الأولىٰ!! وفي تلك اللحظة.. تسمع آذانها صوت العيار الناري.. - إطلاااق-

- لاااااااااااااا

هكذا صاحت الملكة آن خروجها من ذلك الكابوس البشع، فتحت عينيها ببطءٍ لتُبصر الكهف الذي نامت به قبل ساعات والذي لا يزال ثابتًا كما هو، رقدت تقوم بظهرها فتسيل بعض العبرات من جفونها.. تضع يدها على صدرها لتلتقط أنفاسها بعدما قطعتها كابوسها المرعب، وهمست آنذاك: يا إلهي رشيد..! رشيد..!!

ثم أردفت تُحدث نفسها بصوتٍ عالٍ: ماذا يريد مني؟ ألم يكفي ما حدث لي بسبب آلته السخيفة؟ سحقًا له.

نظرت ناحية يسارها لتُبصر مخرج الكهف.. ومن خلاله ترىٰ الثلوج تنهمر بالخارج.. وقفت على قدميها لتشعُر بتحسن كبير عن ذي قبل، ومن ثم سارت من المخرج بينما تضع ساعدها أمام عينيها لحجب ضوء الشمس، وبعد ثوانٍ تستطيع الرؤية جيدًا فتسير مبتعدةً عن ذاك الكهف.. توقفت قليلًا عند رؤيتها لطريق

النزول من ذلك الجبل لتأخذ شهيقًا قويًا قالت بعده بغطرستها المعتادة: يجب أن ينتهي هذا الأمر، واليوم قبل الغد.

وآنما استجمعت شتاتها انطلقت ملكة نيانوس نحو الغرب تقصد ساحة الحرب.. ولا نعلم ماذا دهاها كي تذهب إلى مربع ڤان-توراس وجيوشه!

بالوقت ذاته وببقعة أخرى من آنتي الغربية يكون النصر قد دق قلوب بني سيليثور فرحًا..! يُحاصرون عددًا مِمّن تبقىٰ حيًّا من الجيوش النيانية والذي يمثل أقل من نصفها فقط..! نرىٰ رايدن مجتمعًا بڤان-توراس ووزيره كلويْ.. والكثير من الحراس السيليثوريين من حوله، بدىٰ على عيني رايدن غضب الليل الكثيف..! كاد أن يُذيب جليد القارة بأكمله لشدة غضبه..! ظل في سيره ذهابًا وإيابًا أمام الجميع، يحدث نفسه أمام الجميع بصراخه: رايدن لا يجد آسيا.. رايدن أقوى محارب أنتجه الكون ولا يجد إنسانةً حقيرةً واحدة..!!

عاااااااااااا!!!

وإبان ضربه لليابسة بقدمه يُفرغ غضبه بها حدثه الزعيم قائلًا: رايدن.. إنها المرة السابعة التي تقول بها تلك الجملة قبل أن ينتهي اليوم، ألم تمل؟

نظر له رايدن حينئذ باستحقار، ثم صاح به: ألن يصيبك الغضب إن بدوت كالأخرق أمام بشرية تافهة؟

عقب كلويْ على حديثه إلى ڤان-توراس قائلًا: رايدن على حق.. كيف لنا ألا نجدها بتلك اليابسة الصغيرة؟ هناك خطبٌ ما حتمًا

وأردف بعد تفكير: وحدهُ أدولف من يستطيع إخفاءها في مكانٍ لا نعرفه، وزراء الحكمة فائقو الذكاء، ولكن لا أعلم.. ربما يستخدم عهود كولا باستمرار كي يُخفيها بعيدًا

عقب رايدن قائلًا: لن تُجدي عهود كولا نفعها؛ أسسها خمس محاربين من أسلاف الدماء القدماء حتى يستمر نسل النيانيين ليس إلا.. لألّا ينتهي نسلهم بأكل بعضهم البعض، لن تجدي نفعًا بوجود البشر في الوسط

وبينما يتحدث رايدن عن الأمر.. وجد صوتًا يتحدث إليه من بعيد فيصيح به قائلًا: ربما تجدي نفعًا إن حملها الشخص الصحيح أيها الملك

وفي تلك اللحظة التفت كل من رايدن وڤان-توراس وكذلك كلويْ صوب خلفهم.. ليرو اثنين من البشر يسيران نحوهم بينما يرافقهما بعض محاربي آرا.. وبعد دقائق من السير وقفا أمامهم لا يهابان شيئًا.. لم يكونا أيّ اثنين.. كانا أوغو ومارسيلا**!!!** تحدث كلويْ إلى أوغو متسائلًا: من أنت أيها البشري؟ ولماذا تضع عباءة تشبه عباءة الوزراء؟

وفي تلك الأثناء أبىٰ أوغو أن يتفوه بكلامه، بل قام برفع كم عباءته السحرية المتكونة.. ليُظهر تلك النقوش الذهبية منقوشةً على ذراعه الأبيض وليتفاجأ كل من رأىٰ ذلك.. قال ڤان-توراس آنما أبصرت عيناه تلك النقوش المضيئة: أليست تلك النقوش تشبه خاصتك يا كلويْ؟

أومأ كلويْ برأسه مجيبًا للملك، بينما عقب رايدن قائلًا: إذًا.. قتلت أدولف؟

فأجابت مارسيلا بأسلوبٍ يُماثل أساليبهم المتغطرسة: نعم.. الآن هو وزيرك

وأكمل أوغو الحديث ناظرًا للزعيم ڤان-توراس: ولكني كذلك مسؤول عن أمن وأمان سلالتنا البشرية، إن كنا سنلتقي لنقضي على ظُلم آسيا وتأخذون منها مرادكم ويعيش نسل البشر في سلامٍ فليكُن

سار خطوتين إلى الأمام رافعًا ذراعيه كالطير قائلًا: وإن لم نفعل، فها رأسي افعل بها ما يحلو لك، يمكنك نسف البشر بالكوكب بكل الكوكب إن أردت.. ولكن لن تستفيد شيئًا.. بل ستخسر الكثير، حتى لن تنال مرادك من تلك المرأة

نظر رايدن إلى كلويْ آنذلك ليهزّ كلاهما برأسه.. وقال رايدن: يبدو أنني وجدت وزير مملكتي الجديد، تعلَّم منه يا كلويْ.. إنه بشري لكنه أطول منك قامة!! بمن نأتي لتكون أطول منه يا غضروط؟

امتعض كلوي قليلًا ثم عقب قائلًا: أتفق مع البشري.. إنه من نسل آسيا.. يستطيع توقع ما تفعله على عكسنا نحن

رايدن: وفيما ترىٰ الحكمة أيها البشري؟

سار أوغو بضع خطوات إلى الأمام.. وأكمل سيره إلى أن توقف وطأطأ رأسه لينظر إلى نارو.. والذي ظل في سُباته موضوعًا على فراشٍ أحمر من الحرير له إطارٌ من الذهب شديد اللمعان.. قال على الفور بينما يحدق بوجه نارو: علينا إيقاظه

التفت إليه كافة الموجودين بمن فيهم كلويْ وڤان-توراس.. أما عن رايدن فلم يُعطِ رد فعل لثوانٍ قليلة، وبعد مرورها سار بضع خطواتٍ صوب أوغو.. وهمس كابحًا لتعجُّبـه: أتعني أن أُعلم أخي بما حدث حتى نتفاوض بأمر آسيا؟

فرد أوغو: كلا..

أردف بعد ثوانٍ صامتة: رأيت علاقتهما جيدًا، دماغها تتواصل بدماغه بطريقة غريبة.. ما أن يستيقظ سينطلق كالبرق في لحظاتٍ إلى مربعها.. حينها علينا اللحاق به

نظر إليه الثلاثة يتعجبون قوله وذكاءه!! وأتبع رايدن نظره إلى ڤان-توراس.. وحدثه بذهوله قائلًا: بات لدينا حكيمٌ آخر غير قزمك الصغير

نظر ڤان-توراس إلى كلويْ وأتبعه بقوله: عليك مجاراة الفتىٰ.. وإلا سيكون وزيريَ التالي

تراجع رايدن لما خلفه ليتوقف أمام رأس أخيه.. وتجمع البقية حولهما يراقبونه متأهبين لإيقاظه.. والكافة يستعدون لاستيقاظ ذا الدماء الملكية المُحمل بالغضب.. تهامست مارسيلا لأوغو قائلة: إن هاجم الأخ أخاه على هذه الأرض سيهلك من عليها دون أدنىٰ شك

***

بآنتي الوسطىٰ...

ها هي آسيا العزيزة والتي تُكمل سيرها وحيدةً لا تعبأ بشيء.. لم تكترث للثلوج المنهمرة التي غطت شعرها الطويل وأخذت سيرها خطوةً بعد خطوة.. وإبان خطواتها تظل شاردة بما قد يحدث فيما بعد، لم يجب بالها أنها ستصبح كالفريسة بعد ثوانٍ معدودة.. بعد الكثير من الخطوات وصلت آسيا إلى مكانٍ تملؤه التبات الثلجية.. نظرت صوبَ أمامها فوجدت شيئًا منغمسًا بتلك الثلوج.. اقتربت منه ببطءٍ بينما تحدق به محاولةً تحديد ما هو.. وعند توقفها أمامه سحبته ببطءٍ من الثلوج المكتاثفة، وما أن رأته عن كثب حتى دق قلبها وكاد أن يتوقف من الهلع..!!! راودت نفسها بصوتٍ عالٍ: لا.. لالالالا لا يمكنكم..

كان ذلك الشيء قناصةً تنتمي لمنظمة عيْن السرية، وعندما رأتها أدركت بوجود أسلحةٍ نارية بأيدي البشر، أخذت تركض بعيدًا عن تلك اليابسة تعود أدراجها.. ولم تكد أن تركض لعشر ثوانٍ حتى تُفاجأ بالكثير من النقاط الحمراء على وجهها وجسدها!!! كانوا مئات الجنود من البشر يحملون أسلحتهم التي تصدر شُعع الليزر منها!!! يُحاصرونها من كافة الاتجاهات واقفين في حلقةٍ عريضةٍ تحيط بآسيا..! وتُصبح الحلقة ضيقة أكثر فأكثر.. نسمع صوت الرائد تاج الدين خارج تلك الحلقة يصيح بها قائلا: آسيا..! بأمرٍ من قائد هذه الكتيبة اجثمي أرضًا.. وستصبح الأمور على ما يرام

ثم أردف بعلو صوته بينما يُصوب ليزر سلاحه على جبينها: ستكونين بخير.. لا نريد أن نؤذيكِ، فقط اجثمي أرضًا يا آسيا ونفذي ذلك الآن على الفور

صمتت آسيا آنئذٍ ولم تُبدِ رد فعل لكلام الرائد، وطال صمتها المُمتزج بأنفاسها حتى صاح تاج الدين مجددا: للمرة الثانية والأخيرة.. ضعي يديك خلف ظهرك واجثمي أرضًا.. لا نريد إيذاءك

لم تُبدِ ردة فعل من جديد، بل كانت شاحبة الوجه جفونها نصف مفتوحة.. وبدت العداوة والغضب الشديدين على ملامح وجهها..

بآنتي الغربية...

نرىٰ رايدن بينما يقف أمام نارو.. ويقف حوله الكثير من الحرس والجنود يتشكلون في حلقة كبيرة حولهم.. يبعدون مسافة لا تقل عن ثلاثة أمتار ولا تزيد عن خمسة؛ كي يتفادَو آثار تلك العملية الجنونية، وخلف رايدن يراقبه ڤان-توراس ووزيره.. ويقف خلفهما الجميلة مارسيلا والوزير أوغو.. والذي ظل ضامًّا يديه لبعضهما من تحت أكمام عباءته كما كان يفعل أدولف بالسابق، ظلت الأوضاع هكذا لبعض الوقت حتى توهجت عينا رايدن وكفَّ الجميع عما يفعلونه ليراقبوا ما يحدث..

تزداد عينا رايدن توهُّجًا أمام أخيه الذي بدىٰ كالجثة التي تحمل روحًا، تقدم خطوةً أخرى نحو أخيه النائم.. رفع ذراعه اليسرىٰ وأخفضها ثانيةً ليوجهها إلى نارو، ظل لثوانٍ.. حتى أضاءت كريستالة الحياة بجبين نارو بشدة..! وآنها قام كافة الحراس والجنود برفع أسلحتهم استعدادًا لأي عراك محتمل.. وبعد ثوانٍ أخرى يفتح العزيز نارو عيناه البنفسجية الياقوتية من جديد...!!! ليجد نفسه جاثيًا على اليابسة المغطاة بالثلوج..

ما أن فُتحت عيناه حتى طاف بالهواء بسرعة تضاهي سرعة البرق كعادته، يطوف كالنسر أعلىٰ رايدن وكافة الحراس والجنود، نظر إلى جميع من أسفله.. إلى ڤان-توراس.. إلى مارسيلا وأوغو.. وأخيرًا توقفت عينيه على رايدن بينما يحدق به في كراهةٍ وغضب، وصاح بصوته الغليظ: أنت؟!!

صمت الجميع حتى صاح به رايدن بوجهه العابس للغاية: أهلًا بك من جديد.. يابن أبي.

حدق به نارو كما فعل بالمرة الأولى.. وعلم جيدًا أنه ذا نسل ملكي مثله، ولكنه لم يعلم بعد كيف ومتى أصبح لنيانوس ذكرٌ يمتلك دماءً ملكية غيره...! توهجت عينا نارو وكاد أن يُنشئَ حربًا بينه وبين أخيه الذي لا يعرف له غايةً أو مبغىٰ.. لكنه شعر بشيءٍ آخر.. نداءٌ جعله يترك كل ما به ويهرول مسرعًا بعيدًا عن مربعه، إنها والدته آسيا.. تستدعيه بقلبها المنفطر لوجود خطرٍ شديدٍ يجوبها.. آن إدراكه نداء أمه اختفىٰ من أمام أبصارهم كما تضمحل النيران بالمياه..! وطاف بسرعةٍ تفوق أي سرعة إلى والدته المُحاصرة بعملاء منظمة عيْن.. وعندما اختفىٰ التفت ڤان-توراس إلى رايدن قائلًا: لقد نجحت خطة الفتىٰ البشريُّ.. ما التالي؟

فردّ الوزير أوغو من خلفه: نحن لن نفعل شيئًا.. فقط سننتظر..

بآنتي الوسطىٰ ثانيةً..

وبمشهدٍ موازٍ نرىٰ آسيا وقد طرحت أرضًا مكبلة بالأغلال بيدها ويلتصق وجهها باليابسة.. تتساقط دموعها على أنفها وخديها دون أن تنحب أو تتفوه بكلمة واحدة.. حولها الكثير من عملاء عيْن يحاصرونها كما لو كانت فريسة مجروحة..! ظن البشر أنه النصر، ولكنه لم يكن كذلك أبدًا.. ما أن حدث ذلك بدقائق قليلة.. وبينما يحاصر الجنود آسيا حتى لا تأتي بحيلها عليهم.. أتتهُم كرةٌ محملةٌ بعواصف الثأر المميتة تنفث النيران البنفسجية الكاحدة!!! دارت في مداراتٍ حلقيةٍ حول آسيا لتبتعد ويكبر قطر الحلقة أكثر فأكثر.. ليُطاح بكافة عملاء عيْن إلى الهواء بينما تحترق وجوههم وأجسادهم!!! يصرخون من الألم ثم تسقط أجسادهم ثانيةً إلى الثلوج فتهبط جثثهم بعضها محترقًا والآخر يسقط عظامًا يكسوها القليل من اللحم.. مئاتٌ من المحاربين البشر ماتوا في ثوانٍ قليلة، وباتت جثثهم قبيحة المظهر لا يزال اللهب البنفسجي يإجُّ بأجساد معظمها.. وبعد حدوث كل ذلك نرىٰ تاج الدين وبعضًا من الجنود من حوله يحاولون التحرك بينما تصرخ أشلاؤهم.. يزحف على بطنه برأسٍ نصفها مشوه تظهر عظامه..

والنصف الآخر بملامح تذوب إثر قوة النسل الملكيُّ.. ينظر الرائد أمامه ليرىٰ مشهده الأخير قبل أن يتحول لجثة محترقة.. يرىٰ عزيز نيانوس للمؤة الأولىٰ.. البشري النياني نارو يإجُّ جسده باللهب البنفسجي ناتجًا عن قتله لهؤلاء البشر.. تُومض عيناه كما لو أن ضوء العالم بها.. ويسير ببطءٍ نحو والدته التي لم تُعطِ رد فعل لسماعها تلك الصرخات البشرية من حولها وفضلت أن تبقىٰ مغمضة لعينيها حتى أتىٰ لها نارو ففتحتهما.. بينما ظل يشاهدهما تاج الدين إبان زحفه.. ليكون آخر ما رأته عيناه بهذه الحياة، وتسقط رأسه على جانبها ليظهر

جانب وجهه الذي لا لحم له، ويصبح جثةً قبيحةً كما حال البقية..

على الضفة اليسرىٰ ثانيةً..

نرىٰ رايدن ومن معه ينظرون إلى ذاك الاعصار الملتهب الذي يبعد عنهم مسافة أميال.. وقال حينئذٍ: ترىٰ من يحارب؟ لم يعد جنود غيرنا

ارتبك كلًّا من أوغو ومارسيلا لتُصيبهما الصاعقة! قالت مارسيلا في تلهُّف: يا إلهي!! الرائد!!!

بينما عقب أوغو بقلقه الشديد: أظنهم قومي وقد حاولوا ردعه عن أخذ آسيا، علينا التعجُّل يا رايدن

صمت رايدن لثوانٍ قليلة بينما يتبادل النظرات مع ڤان-توراس.. وبعدئذٍ صرخ بمن حوله قائلًا: سمعتم البشريُّ.. هيَّا

سار رايدن صوبَ كل من أوغو ومارسيلا وأمسك بيديهما.. ومن ثم اختفىٰ ثلاثتهم من مربع محاربي آرا بمن فيهم الزعيم ڤان-توراس ووزيره، وصاح

الزعيم في تلك اللحظة بجيوشه العريضة رافعًا قبضته إلى عنان السماء البنفسجية: كرسووواا قلوبكم

وضع بني سيليثور أيديهم على قلوبهم كما فعلوا مسبقًا ثم أخفض كل محاربٍ جذعه إلى الأسفل قليلًا بينما يتراجع بالتوازي مع من حوله إلى الخلف.. وفي لمح البصر هبت الجيوش العريضة بالركض في صفوفٍ منظمة باتجاه وجهتهم.. بينما مكث الزعيم ووزيره مكانهم يراقبون الجيوش تركض بسرعة كما الثيران الهائجة.. وبينما يراقبهم ڤان-توراس شعر بشيءٍ يتمسك برقبته وصولًا لكتفه.. نظر سريعًا ليجده وزيره القزم كلويْ...!! يتمسك به كما يتمسك الطفل الصغير بوالدته، حدثه القزم حينئذٍ:

- ماذا؟ أشعر بألمٍ في عظامي

نظر إليه الزعيم يستحقره، ثم نظر أمامه تارة أخرى.. تراجع خطواتٍ قصيرة للوراء ومن ثم قام بقفزةٍ تفوق تلك القفزة التي قفزها الوزير كلويْ بكيب لار مسبقًا، قفز بينما يتشبث به كلويْ على كتفه كالطفل الصغير.. وما أن يُنهي الزعيم قفزته يصل بها لعشرات الكيلومترات فيقفز الأخرى ليسبق جيوشه سريعًا للوصول إلى وجهته.

جثىٰ العزيز نارو على ركبتيه بسرعة ليُحطم أغلال والدته.. ونادىٰ بها

- أمي!

حملها على ذراعيه بلُطفٍ وروية.. وأردف بها قائلًا: افتحي أيتها العيون السوداء.. أنا هنا

وآنما تلفظ ابنها بجملته تساقط الدمع من عينيها.. فتحتهما ببطءٍ لترىٰ وجه نارو والذي استيقظ قبل دقائق قليلة.. يحملها بجسدها الصغير على ذراعيه، وأردف ثانيةً: أأنتِ بخير؟

تمتمت آسيا برأسها مبتسمة دون تفوُّه، وأكمل نارو: سيدفعون الثمن، سأسحق كل من أقدم على ذلك، سأحرقهم وأجمع رمادهم لأرتشفه ببعضٍ من ماء المحيط

وأردف بينما يحتدّ غضبه: لا سيما الوغد أوغو.. وبكل ما أملك.. سأجعله أكبر عِبرةٍ خُلقت

تحدثت آسيا بينما يحملها نارو بحلقها المجروح قائلة: أوغو؟ أين رأيته؟

نارو: رأيته هناك، كان يرتدي ثياب الحكيم الأكبر.. أظن أنه قد قتله

آسيا: إن مات أدولف.. هذا يعني أن أوغو قد أصبح وزيرًا لنيانوس..!!! سحقًا!!

وأردفت: علينا الذهاب يا نارو.. علينا المغادرة

نارو: ليس قبل أن أجعلهم أحياءَ بلا عظام، ليس قبل أن أقتلع قلوبهم وأضع مكانها كتلةً من اللهب المدوىٰ..

وأردف: سآخذك إلى أبعد مكان عن هنا، لم أرد قول هذا.. لكنكِ نقطة ضعفي الوحيدة

صمتت آسيا آنئذٍ، ثم صاحت به: وأنت نقطة قوتي الوحيدة يا نارو لذا أرجوك.. لنذهب من هنا قبل أن يأتوا إلى هنا..

وإبان تفوهها بحديثها لنارو كان رايدن على وصوله أمامهما يطوف أعلى الجثث وأشلاء الجثث.. بينما يقف أسفله مارسيلا وأوغو اللذان أتيا برفقته.. ينظران بكامل الأسىٰ لما حولهما.. ثلوجٌ تُغطيها الدماء.. ووجوهٌ لا لحمَ لها.. نظر رايدن لكل ذلك حتى صاح به قائلًا: هل فعلتم هذا؟

وآنذلك وصل خلفه الزعيم ڤان-توراس وما أن حطت أقدامه على اليابسة هبط كلويْ من على كتفه معدلًا عباءته.. نظرا لما حولهما من أشلاء لبضعِ ثوانٍ حتى صاح الزعيم قائلًا: هل هؤلاء...؟!!

هز كلويْ رأسه دون أن يتكلم، وحينها ركض أوغو مسرعًا تتخلل أقدامه تلك الجثث عندما رأىٰ جثة ترتدي بذلة الرائد تاج الدين، ثم تبعته مارسيلا ركضًا وفور وصولهما جثىٰ أوغو ليحمل رأسه برفق وما أن فعل تساقطت بعض الأشلاء منها.. عدل رأسه ليضعها عمودية على اليابسة ليرىٰ النصف الآخر من وجه الجثة.. ويرىٰ كلاهما نصف وجه تاج الدين محترقًا ينقصه الكثير من اللحم.. مسودةٌ ملامحه إثر ذلك اللهب، ما أن رآه الوزير أوغو أدمعت عينه حزنًا على موت قائده بينما وقفت مارسيلا من خلفه تُمسك بكتفيه فتُربّت عليهما، لقد جعل منه تاج الدين محاربًا لا يخشىٰ الموت، كان الفضل له ولوالده ساركان في تعليمه كافة الأشياء.. كانت مأساةً بشعة لأوغو..

وآنئذٍ.. هبط رايدن من الهواء ليصبح يابسًا وسار صوبَ أخيه وملكته الزائفة، وصاح بهما بصوتٍ صاخب: أما لكما أن تستسلما بعد؟

حركت آسيا قدمها وأمسكت بذراع ابنها ليتركها تقف أرضًا دون حملها، استندت إليه حتى استطاعت الوقوف بمفردها ولكن تتألم إثر ما أصابها، تضع يدها على جنبها الأيسر لشعورها بآلامه، وأخذت سيرها خطوتين باتجاه رايدن، ثم توقفت وقالت بصوتٍ عالٍ سبقه زفيرٌ بارد: إن كنت ظن أنك ستخدع الجميع بنسلك الملكي الكاذب فما أنت إلا خُثالة، لا مُلك لأحد بأرض النيانيين غيري أنا وجبلي نارو

سار أوغو بضع خطواتٍ ليظهر أمامها وحين رآها نظر بنظراتٍ قاسية، بينما تبادلت هي نظراتٍ يملؤها الحقد والغل، وصاحت به: مرحبًا أيها الوسيم!

لم يُبدِ ردة فعل سوى صمته لثوانٍ.. ثم قال: أظن أن السم البشريَّ باء بالفشل في قتلك

اشتعلت أعيُن نارو بغضبه الليلي وكاد أن يهب بسحق أوغو لولا أن رفعت آسيا كفها قائلة: مهلًا يابني.. دعهُ يكمل

فأكمل أوغو: حسنٌ.. بصفتي وزير نيانوس أعلنت رايدن ملكًا لمملكة نيانوس بصفته حاملًا للدماء الملكية الصافية لا الهجينة

صمت ثم أردف: آسيا.. أُتهمُكِ بالخيانة لقتلكِ الملك رايدن ومعاونتكِ للخائن أدولف على قتل وزيرة الحكمة الماضية.

سار نارو خطواتٍ أمامه ليتقدم آسيا بطليعته، وقال آنها: إن أردتم عرش نيانوس فهالكُم العرش.. ولكن قبل أن تعتلوه عليكم أن تطيحوا برأسي أولًا.. وأقصدك أنت يا رأس المُربع

هكذا كان يصيح إلى رايدن بغضبه، وآنما كف عن حديثه رفع رايدن رأسه شامخًا وصاح بالجميع خلفه: لا يبرح أحد مكانه، سأسوي الخلافات مع أخي بمفردي

هز ڤان-توراس رأسه مغمضًا عيناه موافقًا لكلامه.. وإلى أن ينتهي هذا الأمر لن تتحرك جيوش آرا إلا بأمرهما فقط

سار رايدن خطواتٍ قصيرة صوب أخيه كذلك، وبدأ كلاهما بالتحديق بعينَي الآخر.. تاج عينا رايدن بغضبها الليلي، بينما يظل رايدن ثابتًا كما هو، حتى صاح بأخيه: نارو.. والدتك آسيا حفيدة البشر قامت بقتل والدنا الملك، تلك هي الحقيقة التي لن تتغير

امتلأ نارو بمشاعر الإنكار البشرية، وقال ببعضٍ من القلق المكنون: لا أصدقك

رايدن: تعرف قوانين نيانوس جيدًا.. لا يمكن لوزير الحكمة بنيانوس أن يقول غير الحقيقة.. البشري أوغو لديه النقوش على ساعده

رفع أوغو كُم عباءته ليرىٰ نارو تلك النقوش الذهبية تُبلج بشدة أسفل كُمه.. ارتبك قليلًا ثم أدار وجهه لوالدته ليجدها تشاهد بلا ردود فعل، سار نحوها بضع خطوات قصيرة ليُصبح أمامها.. عيونه الكريستالية تُحدق عيونها السوداء.. وقال لها: لماذا يقولون ذلك عنكِ؟

تريث للحظات ثم قال: أمي.. هل فعلتِ ذلك؟

نظرت إليه آسيا دون تفوه، حتى صاح بها نارو بصوتٍ آلم آذان من سمعه: آسياااا.. هللل فعلتيبيي ذلككك؟

وآنما أنهى جملته أمسكت آسيا بكلتا يديه ووضعتهما على رقبتها سريعًا.. وقالت له بتهويل: وإن كانت هذه الحقيقة، هل ستقتلني؟

ارتبك نارو ولم يُجب..! فأردفت آسيا بعد إزالة يديه عن رقبتها: لن تقتلني.. أنا والدتك، كما أنني من وهبتك هذا الشأن

صمتت قليلًا بينما يستمع إليها الجميع، وأكملت ثانيةً: لقد وهبتك نصفك البشريَّ نارو.. من دونه ستكون مثلهم جميعًا.. ستقتلني كي ترث عرشك ثم تأتي بأطفالٍ ليسفكوا دماءك ويرثوا هم العرش وتظل الأمور هكذا، اذهب.. أريد رؤوسهم أجمعين.. عدا الوسيم.. أريده حيًّا!

طمر الظلام القاتل عينَي آسيا لتُصبح بؤبؤ عينٍ أسود كبيرًا ومخيفًا.. وملأ عيني نارو تباعًا.. استدارا ليقفا صوبَ رايدن برفقته وجيوشه.. ونرىٰ رايدن تومض عيناه بالضوء السفَّاك يسير على قدميه باتجاههما حتى أصبح الثلاثة على مقربة كبيرة من بعضهم.. وبعد ثوانٍ وجيزة جذب كلويْ كلًّا من أوغو ومارسيلا لخلفه لألأ يتأذّيا.. رفع ڤان-توراس قبضة يده ليتوهج خاتمه وتتوسع عيناه الغاضبة.. وظل واقفًا قرب صفوف جيشه ينتظر.. ولا يتدخل لأمر رايدن بذلك

وفي لحظة مليئة بالخوف والحسرات.. تصل جيوش عيْن والتي أرسلها الرائد تاج الدين إلى مربع ورثة الأرض.. حيث بدؤوا بحمايتهم وإخلائهم من تلك البلدة إلى جبلٍ ليس ببعيد، وأثناء رحلتهم إلى قمة الجبل ينظرون بعيدًا.. إلى الجيوش السيليثورية.. يعلمون أن الخطر قادم.. عليهم الاختباء بكهوف الجبال لألّا يصيبهم ما أصاب تاج الدين وكتيبته..

وبآنتي الوسطىٰ على أرض المعركة.. يُخمن بني سيليثور ما سيحدث إن تعاركت الدماء النيانية الملكية على ذلك الكوكب الضعيف.. يظهر أوغو ومارسيلا يدًا باليد.. يتبادلان بعض النظرات إبان صمت الجميع أمام المشهد الذي قد يكون الأخير، يشاهد كلويْ بملامحه الباردة كالمعتاد.. أما ڤان-توراس فكله توق لسحق آسيا ونارو إن تطلب الأمر

وبعد مرور لحظاتٍ من التوجُّس بين الجميع.. وإبان وقوف نارو على اليمين ورايدن على اليسار صرخ ثنائي النسل الملكيّ ملوحين بأيديهم لبعضهم البعض..! رايدن قبالة أخيه.. تشتعل أجسادهم إضرامًا حتى ذاب جُل الجليد أسفلهم ومن حولهم!! يخترق البرق كل إربةٍ من جسد رايدن..! ويزداد جسد نارو اشتعالًا وغضبًا..! تزداد قواهم أكثر فأكثر دون إطلاقها.. وبعد لحظاتٍ قليلة من مشاهدة ذلك يُلوح كلاهما بغيًا بإطلاق غضبه على الآخر..! صرخ رايدن ونارو آن إطلاقهما وكأنهما يُلقيان كتلةً من الموت!! وبلحظة رميهما لقواهما المُهلكة وإبان عبور البرق المحتد إلى النار البنفسجية الثائرة.. بالمنتصف بينهما.. فُتِحا بوابـةٌ سوداء تنفث الرياح الشديدة لتُقصي كل شيء عنها!!! ارتطمت قوىٰ النسلين الملكيين بها ليقع كلاهما أرضًا طائحين بها لتطيح آسيا تباعًا ويطيح الجميع من جنودٍ ووزراء أو حتى ورثة الأرض فوق الجبال.. نفر الجميع إثر تلك العاصفة التي لم يشهدها إنسيٌّ من قبل..! وبعد لحظاتٍ فقط تحاول آسيا فتح عينيها راقدةً على الثلوج فلا تقوىٰ على ذلك لشدة الضوء المنبعث من الفتحة السوداء.. يُحاول رايدن الاقتراب من تلك البوابة المجهولة فلا يقوىٰ إثر الموجات المُقصية التي تنبعث بلا توقف.. ظل الوضع هكذا لبعض الوقت حتى رأىٰ من عليها أقدامًا تخرج من الفتحة لتحط على اليابسة الثلجية! وبعد الأقدام.. يخرج جسد لم يستطع من بالمكان رؤيته إثر الضوء والعواصف.. وفي ثوانٍ أخرى من خروجه تنغلق البوابة السوداء باعثةً موجةً قويةً للغاية أطاحت بكل كائن على وجه اليابسة عدا ذاك الشخص الذي خرج من البوابة للتو!!

سارعوا بالنهوض بعدئذٍ ليواجهوا ذاك المجهول.. ينهض نارو فينظر لآسيا أولًا.. ثم يخطو على مهلٍ صوب ذلك الكائن الذي خرج من البوابة توًّا.. وفي كل خطوة تصبح الرؤية أوضح، يقترب ڤان-توراس إلى رايدن ليسيرا معًا صوبَ ذاك الكائن.. تبعتهما آسيا عندما رأت كل من عليها حول ذلك الكائن الغريب.. وفي أقل من دقيقة كان الجميع حوله.. هدأت تلك العواصف وزال انبلاج الضوء ليستطيع الجميع رؤية وجهه وجسده.. تخلل أوغو أجساد جنود ووزراء آرا ليقف بالصف الأمامي فيُصبح أمام ذاك الرجل.. وآنما رأته عيناه ضاقت بؤرتاهما واصفرَّ وجهه بأقل من الثانية!!! خر فمه يُتأتئ بحرف الألف.. حتى قال بصوتٍ ذابلٍ مرتبك: ياللرعد!

تبعته مارسيلا بنظرة تفوق نظراته المنكرة لتنظر إليه هي الأخرى وكلها وجهٌ شاحب.. بينما نظر إليه كافة غرباء كيب لار ولا يعلمون من ذاك البشريُّ الذي أتىٰ من اللاشيء..! وإبان سير آسيا ببطء تنظر لأطراف وجهه بينما تتخلل أجساد الجميع وصولًا للصف الأمامي.. تقف بالقرب من ابنها نارو لتنظر إلى الرجل بوضوح، وعندما وقعت عينيها على وجهه.. خر فمها ودق قلبها بقوة لدرجة سماع ابنها لدقاته!! حاولت التفوه متأتأةً فلم تستطِع حتى اصفر وجهها هي الأخرى ولا تصدق ما تُبصره عيناها.. أخذت شهيقًا من الفزع.. وأتبعته بقولها في جحود: ليس ممكنًا.. لا

وآنذلك صاح به ڤان-توراس بصوتٍ قاسٍ وجفِل: من أنت أيها الغريب؟

التفت أوغو إليه تارةً أخرى.. ورد عوضًا عن الرجل بكلماتٍ تتلاطم حروفها:

- هذا يكون.. هذا..

- إنه.. إنه رشيد!

(18) والأخير

حياة جديدة

حدق به ڤان-توراس ولم يفهم، فصاح به عاليًا: ومن يكون رشيد؟ هل تعرفه؟

صمت قليلًا بينما يتأمل كُم رشيد المعقود.. ثم صاح به هو الآخر: ماذا أتىٰ بك؟ من أين أتيت وكيف؟ ولماذا تملك ذراعًا واحدة؟ ما تلك البوابة الزمنية الغريبة أجِب على أسئلتي دون تأخيرٍ يا عجوز!

لم يُجِب الأحمر على أسئلته واكتفىٰ بالتحديق بعينيه فقط.. وإبان صمتخ صاح به رايدن مهوِّلًا إياه: نحن لا نكرر أسئلتنا لكنني سأكرر للمرة الأولىٰ والأخيرة.. من تكون؟

صمت الأحمر حينها، وبعد ثوانٍ قليلة أخذ بالسير إلى يمينه ليبدأ بالمرور من أمام كل من أوغو.. مارسيلا.. ڤان-توراس.. كلويْ وأيضًا رايدن إلى آن وصوله لدائرة نارو ووالدته آسيا فتوقف أمام كليهما.. والتفت إلى يمينه ليحدق بهما ثم استدار بكامل جسده نحوهما.. وبعدئذٍ ابتلع صمته ليتحدث بصوته الأجشّ: من ابنة طبيب إلى امبراطورة.. أليس كذلك يا آسيا؟

ارتبكت آسيا وزاد وجهها اصفرارًا لرؤيتها للرجل الذي لطالما حلُمَت بقتله لها أو العكس، ولكن عندما رأته خر وجهها خوفًا منه.. لقد أتى من اللاوجود بصدق..! رد نارو عوضًا عن أمه قائلًا: من أين تعرف الملكة أيها الغريب؟

رد رشيد بينما يقف كما التماثيل أمام حركةٍ من الجميع: أعرف كل شيء..

نارو الأول.. عزيز نيانوس الذي تربىٰ بحضن والدته البشرية

رايدن الرابع عشر.. عزيز نيانوس والوريث الأول للعرش

ڤان-توراس.. زعيم آرا الذي يحكمها منذ زمنٍ بعيد

أوغو.. حفيد أعز أصدقائي وابن الرجل الذي أفنىٰ عمره للبشر

آيْ -يقصد مارسيلا-.. رمز المنظمة الحي والتي غادر الشر قلبها حديثًا

أعرف كل من حولي عدا شخصٍ واحد، المرأة التي تحولت إلى كتلةٍ من الشر.. لماذا يا آسيا؟ أخبريني.. لماذا؟

إبان حديثه. أدمعت عينَيْ آسيا بدموعٍ غزيرة تساقطت كالمطر لكن دون صوت، وبينما تبكي صرخت بكلامها للأحمر قائلةً: لأنني أكرهك يا رشيد.. أكرهك!!

أكملت انتحابها لثوانٍ أخرى حتى أردفت:

- كنت السبب بكل متاعبي منذ طفولتي..

ماتت عمتي أبرار.. بسببك!

مات والدايَ وأخويْ.. بسببك!

ضعتُ بين الأزمنة وحيدةً لا يعرفني أحد.. بسببك!

بسببك أنت يا رشيد.

وأكملت ما تبقىٰ في حلقها بعلو الصوت صارخةً: هل انتظرت مجيء تلك اللحظة حتى تسألني لماذا؟ أتخالُ نفسك بريئًا من كل هذا؟

صمت رشيد لبعض الوقت أثناء استماع الجميع لجداله بآسيا.. ثم أردف بنبرةٍ هادئةٍ وبطيئة: أعلم خطئي جيدًا، أتىٰ خطئي بتسلسلٍ أدىٰ لفجوة زمنية غائرة.. ما كان لعالم كيب لار أن يلتقي بعالمنا بتاتًا.. لكن الزمنين التقيا إثر وجود اثنين منكِ واثنين مني في الوقت ذاته..

وأردف مقتربًا من الملكة الباكية: بينما تحاولين إنقاذ أبرار كان الزمن قد تلف بالفعل.. لقد سُرِقت سيارتها قبل كل ذلك.. وهذا يعني أن موتها كان أمرًا محسومًا.. وكذلك عند دخولكِ إلى الآلة وحدك.. لم يقبل الزمن بوجود اثنين من آسيا بالوقت ذاته فأرسلكِ إلى زمنٍ آخر.. هذا تفسيرٌ مُبسط لما حدث

التفت إلى أوغو الذي يقف بالقرب منه: حاولتُ لسنوات أن أراسل أفراد المنظمة أثناء تواجدي بالزَّمكان فلم يستطِع أحد ملاحظة ما أفعله، وكان آخرهم آيْ.. حاولتُ توجيهها لكتاب ساركان أملًا في بقائه على قيد الحياة وألا يتأذىٰ ولكن كان قدره الموت..

التفت ثانيةً إلى آيْ.. ليُردف حديثه: لم تكُن صدفة.. أنا من كسر المزهريتين

جزعت آيْ لسماعها قوله ولا تصدق ما يجري..! وهمست تُحدث نفسها: لم تكن مصادفة.. عرفت ذلك

وأردف رشيد محدقًا بآسيا التي لم تكف عن التآوه: لستُ وحدي من أخطأ.. قتلتِ الكثير من الأبياء عمدًا يا آسيا.. جردتِ البشر من كرامتهم وعائلاتهم.. لم تكن لعنة كولا هي السبب في كل ذلك، بل أنتِ يا آسيا.. أنتِ الصورة الحية للشر.

سقطت بعض العبرات من عينيها وكأنه قد إزال ستائر الكذب عن غشاوتها، وإبان كل ذلك بين الملكة آسيا والعالم رشيد بدىٰ وجه رايدن ممتعضًا نوعًا ما، وظل هكذا إلى أن صاح بهما: في الحقيقة.. لم أفهم أيًا من تفسيراتك وهذا يُشعرني بالغضب، فسر لي سبب مجيئك عبر تلك البوابة؟

تنهد رشيد بينما يبتلع صمته الغامض.. ورد حينئذٍ: جئتُ لأُصحح الماضي.. سآخذ آسيا

نطق نارو من خلاه قائلًا: تأخذها؟ تأخذها إلى أين؟

فرد رشيد: إلى المكان والزمان الصحيحين، فيزيائيًا.. هذا ليس عالمي أو عالم آسيا.. نحن الآن مجرد أخطاء تسير بذاك المدىٰ الزمني المُحطم

وأردف إلى آسيا بعد بعضٍ من صمته: إن ظلت الأمور كما هي ستتلاطم الخطوط الزمنية ببعضها.. ستفنىٰ العوالم إثر وجودنا هنا لذا علينا العودة من حيث أتينا يا آسيا

نظرت له بينما تمسح دموعها، وقالت له بصوتٍ مهزوز: لا.. هل تريدني أن أعود لأرىٰ مصرع عائلتي ثانيةً؟

رد رشيد قائلًا: لن يحدث ذلك.. فقط إن أصبحنا بالزمن الصحيح

التفتت آسيا لمن حولها بينما يراقبهما ڤان-توراس.. صاح محدثًا أوغو: أيها الصبي..! ذاب عقلي ولم أفهم بعد.. من هذا الرجل ذا الذراع الواحدة؟

فردّ حينئذٍ: إنه أول العابثين بالزمن، لولاه لما أتت آسيا لكوكبكم أو استطعتم المجيء إلى هنا من الأساس

وإبان حديثه سار رشيد صوبهم ليتوقف أمام أوغو ومارسيلا بالقرب من ڤان-توراس ووزيره، وعندئذٍ حاورته مارسيلا قائلة: أين كنت طيلة ذلك الوقت؟ هل كنت في زمنٍ آخر؟

فرد رشيد: كلا، كنتُ في شيء.. ليس شيئًا لكنه..

تلعثم بالكلام قليلًا ثم أردف: انظروا إنه معقد، لقد كنت في الزمكان

عقب أوغو: ماذا يكون؟

رشيد: حيث لا زمان ولا مكان

قال أوغو بحيرة: اااا حسنًا لم أفهم بعد.. ماذا تعني؟

رشيد: لا أعرف.. سيظل الزمكان مجهولًا بالنسبة للجميع حتى أنا

مارسيلا: ولماذا فضلت البقاء هناك إن كنت استطيع العودة إلى هنا؟ وكيف بقيت على قيد الحياة هناك؟

فرد رشيد: لم أستطع مغادرته.. توجب عليّ النتظار، دخلت إلى هناك عبر خللٍ بالزمن.. وغادرت عبر خللٍ آخر، عند دخول أسطول آرا للثقب الأسود عنىٰ ذلك خللًا بالزمن لذا انتظرت الوقت المناسب كي آتي الى هنا، هناك فجوةٌ لا قوانين لها.. هذا يعني أنني لم أستهلك ولو ذرة واحدة من جزيئات طاقتي.. هذا أنا ذاته الذي غادر آنتي.. لم أكبر يومًا واحدًا.. حتى أن جروحي التي سببتها الآلة لم تلتئم بعد

وأردف إبان شعوره بالألم في رأسه: لا طعام أو ماء أو حتى هواء، لم يكن هناك وعي سوىٰ لعقلي فقط، لا شيء يعمل سوىٰ جهازي العصبي، حتى أنني أشعر بالألم للتفكير في الأمر.. والآن لا أريد المزيد من الأسئلة، أشعر بالعجز أمام محاولات التفسير الفاشلة

التفت إلى خلفه ناظرًا لآسيا والتي تقف مع نارو تحادثه.. حيث قام نارو بطرح الأسئلة على والدته قائلًا: أريد أن أعرف الآن.. من أنتِ؟ من أنتِ يا آسيا؟

فردت: أنا؟ أمك.. نصف دمائك

فردّ مُمتعضًا بينما تهتز رأسه تأبىٰ الوثوق في ذلك: من كنتِ قبل أن تكوني أمي؟

ابتلعت آسيا حزنها بينما تجمع شتات نفسها.. وقالت بفمٍ حزين: كنت طفلة محطمة القلب مكسورة الأجنحة، لكنني لم أعُد..

وأردفت ثانيةً: سأغادر.. سأغادر حتى ينتهي كل ذلك

نارو: ما الذي سينتهي بالضبط؟

قالت آسيا بنبرة الضياع: أنا.. أنا لا أعلم

سار رايدن ليتحدث إلى رشيد.. سأله قائلًا: من أين لي أن أعلم إن كنت تكذب أم لا؟ ربما تكون إحدى حيل آسيا اللعينة؟

رشيد: الأمر بسيط.. إن فقدت البناية أحد أجزائها التي وُضِعت أولًا فيجب استرداد هذا الجزء حتى لا تقع وتُهدم، كذلك الحال الآن.. لقد تقاطع خطين زمنيين مما أدىٰ لإتاحة الفرصة لمجيئي إلى هنا.. إن لم أعد أنا وآسيا لزمننا الأصلي.. ستفنىٰ الكثير من العوالم التي لا تعد ولا تحصىٰ.. هذا لأننا جزء من الماضي.. نحن الحلقة المفقودة من زماننا

وأردف ملتفتًا لبني سيليثور وزعيمهم: كما يتوجب عليكم العودة إلى وطنكم.. إنه مكانكم.. مكانكم الصحيح أيها الزعيم

هز رايدن رأسه أمامًا وخلفًا.. وعقب قائلًا: أعتقد أنني مُعجب بأدمغة الرجال البشرية.. أنت وذاك الوزير -أوغو- قادران على حبك الأمور واقناعنا بها

وأردف إلى رشيد بعد تلويحه باليد إبان كلامه: انظر.. سأساعدك في العودة إلى ديارك ولكن آسيا.. آسيا يجب أن تنال عقابها؛ هي عارٌ على كيب لار

التفت له نارو بينما يحتدم غضبه ويوشك على بدء الحرب ثانيةً حتى هدأته والدته تتمتم برأسها، بينما قال رشيد محاورًا رايدن: لا يمكنني.. لا يمكنني بدونها أتذكر؟ إن فقدت البناية أحد أجزائها الأولىٰ فيجب استرداده حت..

أكمل رايدن يمسح وجهه بكف يده: حتى لا تُهدم.. فهمت، لا حاجة للتكرار؛ التكرار يشعرني بالغضب

ثم أردف قائلًا: كيف ستعود إلى زمنك الصحيح؟ كيف تُفتح هذه البوابة كما فُتحت؟

رشيد: سيتطلب الأمر شيئًا يفوق الضوء في طاقته وسرعته

علم رايدن أنه يتحدث عن قوة النسل الملكي؛ وحدهم من يمتلك أقصىٰ سرعة بمجرتهم.. تمتم برأسه بينما كان نارو محدقًا بأمه، هو لا يريد مغادرتها حتى وإن كان هذا صوابًا؛ نارو أول نياني يذوق طعم التعلق.. الحب.. تلك المشاعر البشرية قد شعر بها لنصفه البشري بداخله، يحب والدته أكثر من حبها له حتى..! اقتربت منه بينما يلامس وجهه بأصابعها.. وحاورته قائلة: لطالما كنت الصواب الوحيد الذي فعلته بحياتي يا نارو.. أنت الحقيقة التي أنارت حياتي وقضت على وحدتي، أعلم أنك غاضب لأمر والدك.. لكن تلك هي أنا يا نارو

وأردفت بينما وضعت يده على قلبها: ذاك القلب عانىٰ الكثير.. لا تكُن مثلي.. لا تكُن ضحية أقدارك.. كُن نارو فقط، ستصبح بخير ما أن تعتلي العرش

تنهد نارو بينما يحدق بعيني والدته.. وقال لها: رايدن أخي بالفعل، دماؤه صافية.. أشعر بغضبه في داخلي، سيكون هو الملك وولي أمري التالي، على الأقل لن يكون كاذبًا، لا يكذب النيانيون كما تعلمين

وآنذلك.. أزال نارو يدي والدته من وجهه وجسده، واستدار ليمشي خطواتٍ قصيرة إلى الأحمر.. وما أن وقف أمامه مباشرةً قال له: سأفعلها بنفسي

التفت لأخيه رايدن فأردف في نبرةٍ شديدة الغضب: هذا إن سمح أخي الأكبر بذلك

أومأ رايدن برأسه بينما يحدق بهما كل من كان حولهما.. وحينئذٍ حادثت مارسيلا رشيد: ماذا سيحدث لهذا العالم إن عُدت بآسيا؟ هل ستحدث النكبة القمرية ثانيةً؟

رد رشيد إبان تفكيره: هذا غيبٌ لا أعلمه ولن أستطيع تخيل ما سيحدث لعالمكم أو لعالمي حتى.. ولكن يمكننا فرض الاحتمالين.. إما أن يكون كل شيء على ما يرام.. أو سيفنىٰ هذا الخط الزمني تمامًا، لا خيار آخر أمامنا.. حتى وإن فنىٰ هذا الزمن علينا إنقاذ الأزمنة الأخرى من الفوضىٰ

هزت مارسيلا رأسها دون أن تتكلم.. نظرت لأوغو بينما يدور برأسها أوهامٌ عن المستقبل.. "ماذا إن اختفىٰ أوغو أو اختفيت أنا؟"، "ماذا إن تغير العالم وعُدنا غرباء كما كنا في طفولتنا؟" والمزيد من الأسئلة تجوب رأس جميلتنا مارسيلا،

وآنئذٍ شعر أوغو بارتباكها وحيرتها فأمسك بيدها محدقًا بعينيها.. نظرت له ليبتسم ابتسامته التي تُنسيها كل شيء فابتسمت له هي الأخرى دون عبءٍ بالاحتمالات

سار رشيد نحو آسيا ليتبعه نارو حتى أصبح ثلاثتهم يشكلون رؤوس مثلثٍ واحد.. صاح نارو لرشيد: ما التالي؟

رشيد: هل لديك فكرة عن علوم الفيزياء؟

لم يُجب نارو على هذا السؤال آنها.. فأدرف الأحمر: ستقوم بهز ذراتك وكأنك ترتجف كي تولد قدرا كافيًا من الطاقة.. وبعدما تنتهي ستطوف بكلينا في عنان السماء وتدور بشكل عمودي على شكل حلقة بأقصىٰ سُر...

وقبل أن يُردف حديثه رفع نارو كفيه مشيرًا لأن يتوقف عن الثرثرة.. وصاح به: فهمت المغزىٰ.. سأصنع فجوةً زمنية كالتي جئت بها إلى المجرة سابقًا

أخرج نارو زفيرًا مليئًا بالمشاعر البشرية التي فضل كتمانها عوضًا عن البوح بها، ألفت وجهه صوبَ والدته لتبتسم له ابتسامةً لم تعتد على رسمها.. كانت ابتسامةً تحمل الخير لا الشر كالمعتاد.. صاح بها ابنها قائلًا ببرود: حظًا موفقًا.. يا أمي

— ودون إبطاءٍ أو تأخير اشتعلت عينا نارو بالنار البنفسجية تاج بها بينما يُصدر جسده حرارة ترتفع مع كل لحظة تمُر به..! أغمض عينيه لثوانٍ قليلة بينما يتأمله الجميع من حوله ولا سيما آسيا والدته.. وفي لحظة مليئة بالانتظار المصحوب بالتوتر.. انطلق كالبرق يحمل أمه وزوج عمتها يطوف بالهواء إلى الأعلىٰ والأعلىٰ والأعلىٰ!! وآنما وصل للنطاق المناسب لفتح الفجوة السوداء قام

بالدوران بشكل عمودي في مدار دائريٍ ظهر لمن بالأسفل كأنه حلقة من البرق المصحوب بالنار البنفسجية...!! تأملت مارسيلا ذلك المشهد إبان تلاصقها مع أوغو.. وتأمل بني سيليثور دون رد فعلٍ غريب، دام دوران نارو لثوانٍ قليلة فقط.. وبعد مرورها.. صدر من الضوء الشديد ليُشتت أنظار من كان باليابسة أسفلـه..!!! وازداد الضوء في شدته حتى ظهرت بقعة سوداء من العدم ما بين ثلاثتهم.. وفي لمح البصر ابتلعتهما تلك البقعة ليكُف الضوء عن الانبعاث ويفتح الجميع أعيُنهم ببطء.. ينظرون إلى الأعلىٰ فلا يرون أثرًا لأي من ثلاثتهم..!!!

لم يدُم الأمر لعشر ثوانٍ حتى ظهرت تلك البقعة ثانيةً لتُقصي نارو من جوفها وتنغلق ثانيةً دون ضوءٍ منبعث.. وما أن أقصته خارجها سقط من الأعلىٰ نحو اليابسة ليلتقطه ڤان-توراس قبل أن يلامس جسده تلك الثلوج أسفلهم..! فتح عينيه ببطءٍ ليرىٰ وجه ڤان-توراس.. وحينئذٍ حرك قدميه ليقف عليهما دون مساعدة من أحد.. وصاح محدثًا رايدن: منذ متى وأنا هناك؟

التفت الجميع لبعضهم بعضًا بينما تسمّرت عينا رايدن على أخيه، وعقب الوزير كلويْ قائلًا: تسع ثوانٍ تقريبًا

حدق به نارو بينما يُنكر عقله ذلك؛ فهو يذكر تواجده هناك لوقتٍ أطول..! لكنه لم يتفوه بذلك أمام أحد، وفي تلك اللحظة وأمام جيوش آرا العظيمة صرخ ڤان-توراس بعلو صوته ليهز جبال آنتي ويابستها: أيها البشر!!! لا ظُلم ولا ظلام.. من الآن فصاعدًا أنتم.. أحراااار

سمع البشر أعلىٰ الجبال ذلك الصوت بتلك الكلمات.. وبالتو واللحظة صرخ ورثة الأرض فرحًا ومسرّةً برحيل آسيا عن وطنهم..! اعتلت الضحكات وجوههم بينما تهتف أفواههم بالحرية..! وعلى يابسة آنتي الوسطىٰ يسمعهم كل من عليها بمن فيهم ڤان-توراس وسلالته بأكملها، وآنما سمعت آذانه ذلك صرخ بمن حوله إبان رفعه لقبضته بالهواء قائلًا في حماسة: لقد رحلت آسيا

صرخ الحراس والجنود السيليثورية يرددون: "رحلت آسياااا"، وإبان تلك الأجواء المليئة بالسعادة ما بين الأجناس المختلفة صاحت مارسيلا كما يصيح بني سيليثور.. اقتربت كثيرًا من أوغو حتى تلاصقت به ومدت يدها إلى خلف رأسها لتسحبها نحوه رأسها.. وفي تلك الثانية تلاصقت شفتاهما لتُقبله مارسيلا أوسَط النيانيين والسيليثوريين.. أدام الوزير كلويْ تحديقه بذلك المشهد الرومانسي.. وقال في هدوء: رقة البشر تُشعرني بالمزيد من الألم في عظامي.

وآنئذٍ ننظر إلى نارو فنجده شاردًا في أفكاره.. وطال شروده حتى أتىٰ رايدن من خلفه قائلًا: سنغادر بعد قليل.. عليك أن تقرر ما سنفعله بشأن البشر

أومأ نارو برأسه دون أن يتكلم ليعود رايدن بين الجنود والحراس.. وحينئذٍ دقت الحيرة عقل نارو من جديد، وهمس إبان شروده:

- اللعنة..

- نسيت أن أسألها ما هو الخنزير.

****

مقهىٰ العرب | بابل بالعراق

إذ بنا نراهُ في وضعٍ مختلف، يجلس على مقعد أمام طاولة بأحد مقاهي البلدة، كان مُغلق العينين حتّى فتحهما ورأىٰ ما رأيناه توًّا، رفع يده ليضعها على الطاولة وأخذ ينظر حوله يمينًا ويسارًا، لا يبدو على وجهه تعابيرٌ يمكن وصفها، ظلت تعابيره كما هي في كل الأحوال، وآنذلك رأىٰ على طاولته كتابًا يحمل اسمه على الغلاف بداخله قلم حبرٍ أزرق يخرج طرفه من الكتاب، وبجانبه يوجد كوب قهوةٍ ذا رائحة رائعة..! مد يده الأخرى ليلتقط كوب القوة ففوجئَ بما شعر به!! ذراعه اليمنىٰ.. إنها موجوده!!! لم تعُد مبتورة كما كانت..!! بل وأنها عادت أفضل من ذي قبل، مد يديه بجيوبه على عجلةٍ من أمره فأخرج هاتفًا ذكيًّا، ضغط على زر التشغيل لتومض شاشة الهاتف.. ويقرأ التوقيت: العاشرة وخمس دقائق مساءً، وتحت الساعة يُكتب تاريخ اليوم الحاليٌّ.. السابع من مارس لعام 2024!!!!!

حدق بالتاريخ مُصفرةً ملامحه، يعتلي الصمت كل جزء من أجزاء وجهه..! تعجل بفتح الكاميرا الأمامية بالهاتف لينظر إلى نفسه بها، وآنما فتحها وجد نفسه صار أصغر بكثير..!!! لا تجاعيد بوجهه ولا شعرة بيضاء واحدة في رأسه!!! لقد أصبح يافعًا عن ذي قبل..!

آن تلك الأمور.. نظر إلى باب المطعم الذي دلفت إليه فتاةٌ جميلة ذات شعر مُصفف، ترتدي قميصًا ذا لونٍ أحمر وبنطالًا واسعًا من الجلد الأسود، كانت قرة عينه أبرار...!!!! فورَ دخولها حدق بها رشيد.. كادت عيناه أن تفرغ أدمعها إلى أن دلف وراء أبرار شاب ثلاثيني طويل يضم طفلًا رضيعًا ويحمله بذراعه، وبيده الأخرى ترافقه فتاة صغيرة في عامها الرابع أو الخامس، في لحظة دخوله طلبت أبرار من النادلة حجز طاولةٍ لثلاثة أفراد.. وآنئذٍ صاح بها الشاب مداعبًا إياها: ثلاثة فقط؟! هل سأظل واقفًا أم ماذا؟!

فضحكت أبرار ثم أردفت للنادلة: ثلاثةً من فضلك.. سيجلس الطفل على حُجري، هزت النادلة رأسها مُبتسمة وذهبت.. بينما سار الشاب نحو أبرار وقبلها قبلةً على شفتيها الحمراوتين..! وبعدئذٍ جلسا على الطاولة كما جلست طفلتهما الصغيرة، وأخذت الرضيع تداعبه إبان عودة النادلة تحمل قوائم الطعام

والمشروبات بيدها، فمررت واحدة إلى زوج أبرار بينما تداعب طفلها.. وقالت حينئذٍ: بارك الله فيه.. ما اسمه؟

فردت أبرار مبتسمة: سميته مُحمد على اسم أبيه بالطبع، ألا يُشبهه؟

النادلة: يُشبهه إلى حد كبير سيدتي، أدامه الله بصحة جيدة وبارك لكما فيه، تابعي مداعبته سأعود عند اختياركم للطعام

تمتمت برأسها مبتسمة كما فعل زوجها الأمر ذاته، بينما سارت النادلة نحو طاولة رشيد.. توقفت ونادت به: سيدي.. هل تريد شيئًا بجانب القهوة؟

عجز عن الكلام حينئذٍ، فعاودت نداءه:

- سيدي..!

- اااا.. سيدي..! هل أنت بخير؟

ارتبك رشيد آنما يتصبب وجهه عرقًا، ورد قائلًا: هاه! ها نعم أنا فقط.. أريد القهوة

التفتت النادلة إلى الكوب أمامه وأردفت له: مازالت كوبك ممتلئًا سيدي

أكمل رشيد النظر بعينيه يمينًا ويسارًا عند تلك الطاولة وما بين أبرار وأسرتها.. يعجز عقله عن تفسير تلك الأحداث

النادلة: سيدي..!

رشيد: آه ااا نعم.. بردت قهوتي.. أريد غيرها من فضلك

هزا النادلة رأسها مجيبةً له وحملت الكوب كي تأتي بغيره، بينما أكمل هو تحديقه بأبرار وزوجها، وضع يده على أذنه.. ثم إلى شعره حتى تتخلل خُصلُه أصابعه.. وبعدئذٍ وضعها على الطاولة مجددًا وظل محدقًا بأبرار وزوجها يمرحان ويسعدان.. يداعبان طفليهما، إلى أن وقعت عينا أبرار على عيني رشيد..! حينها كانت تبتسم وتعتلي الضحكات وجهها.. حدقت به لثانيةٍ أو اثنتين ثم عادت عيناها إلى زوجها مجددًا.. وحينئذٍ تساقطت عبراته نحو حذائه ولم يكد أن يبكي حتى سارع بمسح دموعه خشية أن يرىٰ أحد بكاءه، وبعد ثوانٍ.. ابتسم..! ابتسم أثناء مشاهدة الجميلة التي تجلس قرب زوجها، ثم نظر إلى الكتاب الموضوع فوق الطاولة فشده نحوه، وفتحه وأمسك بقلمه الحبري، فوجد الصفحة مُحبرة، ومكتوبٌ أعلاها بخط عريض: "مصطلح السفر عبر الزمن" وتحت هذا العنوان توجد أسطرٌ فارغة، وآنئذٍ.. نظر إليها بكامل الحزن والأسىٰ، ثم وضع يديه في جيوبه إبان التحديق بالكتاب.. بينما آبت النادلة مجددًا، وضعت كوب القهوة الدافئ على الطاولة قائلةً: تفضل سيدي، صحة وعافية.

وحينئذٍ عادت النادلة للداخل من جديد، وعادت عيون الأحمر إلى أبرار والتي لاحظت أنه يحدق بها منذ مجيئها إلى المطعم، وبعد فترةٍ وجيزة.. أنهىٰ الأحمر قهوته اللذيذة، ثم حمل كتابه بيده وسار نحو الباب ببطء.. وعند وصوله إلى باب المقهىٰ التفت لثوانٍ معدودة إلى أبرار للمرة الأخيرة وكأنه يودعها بعينيه، ومن ثم التفت إلى الباب ثانيةً.. وغادر المطعم إلى شوارع البلدة، كانت الشوارع فارغةً لا مارّة بها، سار يحمل كتابه يُفكر بما رأىٰ.. وبما حدث، وظل يجوب شارعًا تلو الآخر حتى سمع صوت رنة هاتفه.. فأخرجه من جيبه سريعًا ليرىٰ

من المتصل.. فوجده رقمًا مجهولًا لا صيغة له، أجاب المكالمة واضعًا الهاتف على أذنه: أجل؟

رد صوتٌ عميقٌ ورزين: من 24-22 إلى 45-21.. لديك مهمة صباح الغد، سيتم إرسال الإحداثيات فور إنتهاء المكالمة

فهمس رشيد لنفسه: 24-22..!

ثم أردف يصيح بالهاتف: ساركان..!!!

رد الرجل قائلًا: ساركان؟!! هل سيتصل بك ابني ذا العشرة أعوام في مثل هذه الساعة ليُسديك المهمة؟

ارتبك رشيد وقال في تلعثم: أنا.. ن..نعم نعم.. حسنًا اااا.. سأكون هناك بالوقت المحدد يا مايلز

الرائد مايلز: جيد.. سيكون غدًا

ثم أردف: هل أنت بخير؟

غلب الصمت لسان ساركان للحظات، ثم ردَّ مبتسمًا يهز برأسه: نعم.. نعم نعم أنا بخير

وآنئذٍ أغلق مايلز مكالمته، بينما وضع رشيد هاتفه بجيبه كما كان.. أكمل المشي لأمتار إلى أن وصل لرصيفٍ مجاور فجلس عليه ووضع كتابه على ركبتيه، وتأنىٰ باستنشاق الهواء الليلي تحت الضوء المنبعث من مصابيح الشوارع، حينها نظر إلى كتابه.. وفتحه وعاود قراءة الكلام المكتوب عن السفر عبر الزمن، وبعد انتهائه من قراءة العنوان قام بتمزيق تلك الصفحة وقطعها إلى أشلاء**!!!** ضمها لبعضها وكوَّرها ثم ألقىٰ بها على الطريق، لتظهر أمامه صفحة جديدة كحياته الجديدة تمامًا، أمسك بالقلم الحبري الأزرق.. وكتب عنوانًا جديدًا بالخط العربي العريض:

القانون الأول والأخير للزَّمكانيـة

.

.

.

«زمن الإنسان كقلبه، إن حاول إخضاعه فشل.»

تمت بحمد الله.